الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامـعة وهران01



كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية

قسم الحضارة الاسلامية

تنظيم العقار في الأندلس خلال عهد الموحدين

الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية

رسالة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية

إعداد الطالب: تحت إشراف

صلاح الدين وانس أ.د الحمدي أحمد

لجنة المناقشة

أ.د عبد المجيد بن نعمية.. ....جامعة وهران1.......رئيسا

أ.د الحمدي أحمد............جامعة أدرار....مشرفا ومقررا

أ.د حوتية محمد..............جامعة أدرار...........عضوا

أ.د صالح بو سليم............جامعة غرداية..........عضوا

د بوركبة محمد...............جامعة وهران1.........عضوا

د العباسي محمد.............جامعة وهران1.........عضوا

السنة الجامعية : 1436هـ-1437هـ /2015م-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

جدي الطالب أحمد طاليبو(1870-1924م) الذي خط المصحف بيده وكان من أعلام من منطقة تديكلت .

وإلى شيخنا وشيخ أبي المغفور له بإذن الله الشيخ الطالب محمد المغربي(1932-2016م).

وإلى العائلة الكبيرة وانس.

وإلى الأسرة الصغيرة زوجتي أم جنى و الأمورة "جنى".

وإلى كل الأحباب والأصحاب والمخلصين

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة جهدي المتواضعة.



مقدمة

يجمع الكثير من الدارسين أن التاريخ السياسي المتمثل في توثيق الأحداث ووصف المعارك والحروب والفتن لاقيمة له إدا خلا من مضامين خدمة الإنسانية خاصة فيما يتعلق بحياة الناس وما يحتاجونه في معاشهم ويتعلق الأمر بعصب الحياة ألا وهو الاقتصادية.

لهذا اتجهت الدراسات الحديثة الجادة إلى العناية بالتطورات الاقتصادية وآثارها وأبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية على الفرد والمجتمع.

ومنذ وقت ليس ببعيد رسمت لنفسي خطا في الدراسات االأكاديمية من أجل الدراسة والتنقيب في تاريخ فردوسنا المفقود وأملنا الموعود، وترسخت الرغبة في دراستها من كل الجوانب، خاصة وقد تناولت في دراستي للماجستير حقبة مهمة عرفت عند المؤرخين بعصر الطوائف الأول متناولا جانبا مهما لطالما غفل عنه الكثير من الباحثين- لاصطباغ هذه الفترة الزمنية بوضع أمني متأزم – ألا وهو الجانب العلمي محاولا الوقوف على أدوار العلماء السياسية والعلمية إبان تلك الحقبة، وظلت الرغبة متقدة والعزيمة متواصلة لاستكمال دراسة هذا التاريخ المشرف من تاريخ بلادنا.

لكن هذه المرة متناولا حقبة مهمة عرفت عند الدارسين بعصر الطوائف الثاني لأميط اللثام حول موضوع أحسب فيما تناهى لي من خلال المناقشات مع المتخصصين والمهتمين لم يسبق التطرق إليه، وإن كانت كل الدراسات الفلاحية والعمرانية قد أشارت إليه في مواضيع تتعلق بالدراسات الاقتصادية العامة، ويتعلق الأمر بالعقار الأندلسي في هذه الفترة، ليس وضعيته فحسب وإنما كيف نُظّم وكيف استغل وكيف تصرف فيه.

ومن هنا تبرز **أهمية الموضوع** والمتمثلة في:

-طبيعة الأندلس الجغرافية ذات المساحة الشاسعة والاراضي الخصبة الصالحة للزراعة.

-حاجة التاريخ العربي لمثل هذه الدراسات، ذلك أن البحث التاريخي في هذه الفترة إتجه إلى معرفة الماضي من خلال وحداته الحضارية.

-دراسة الموضوع تسعف في فهم النظم التي سادت في الغرب الإسلامي لخمسة قرون تلت عهد الموحدين:"ذلك لأن النظم الإدارية الموحدية ظل العمل بها في الغرب الإسلامي خلال هذه الفترة، لاسيما وأن الدول التي ورثت إرث الموحدين إستمرت في تقليد رسومهم من بينها النصرية في غرناطة، ويبدو على حد قول عز الدين أحمد موسى، أن كثيرا من نظم الموحدين ظلّ العمل بها حتى بعد أن انقرضت هذه الدول.

-كانت الفترة الموحدية فترة تراوح حضاري بين المجتمعين المغربي والأندلسي، ورغم تبغية الأندلس إلى المغرب سياسيا وإداريا إلا أنّ تأثير الحضارة الأندلسية ظل بارزا على كل النظم في بلاد المغرب الإسلامي.

-ولعل خير ما يصور لنا أهمية الموضوع هو أنّ التجربة الموحدية تنطق بتجربتين هامتين وهما[1]:

أ-محاولة الموحدين صبغ المجتمع بفكرة واحدة وذلك عن طريق سيطرة الطلائع التي تؤمن بهذه الفكرة.

ب-الفكرة القائمة على إحياء الإسلام في نفوس تلك الطلائع وتشييد مجتمع الإسلام ودولته بطريقة تحتذي فترة الرسالة حذو القدة بالقدّة.

-حساسية الموضوع –العقار- وأبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية

[1] - عز الدين أحمد موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، ص10.

لذلك ارتأيت أن أتناول الموضوع من جوانب متعددة متناولا الجانب الحضاري الذي وصلت إليه دولة الموحدين في الحسبان، محاولا أن أقدم دراسة متواضعة بما يتاح لي من وقت وتصله يداي من مصادر ومادة علمية تخدم الموضوع، وبما تتحمله نفسي من جهد – لأبيّن كيف وصلت الحضارة الإسلامية إلى أزهى عصورها، وماهي الأدوار التي أدّاها العقار الأندلسي والآثار التي خلّفها على كل الاصعدة إبان عصر الموحدين، ومن هنا تمحورت إشكالية البحث في: **ماهو البعد الحضاري لتنظيم العقار الأندلسي خلال عهد الموحدين؟ وما هي آثاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية على الفرد والمجتمع؟**

وتتفرع عنها الإشكاليات التالية:

ما ماهية العقار؟

ماذا نقصد بالوعاء العقاري الأندلسي؟

كيف تطورت نظرية التوحيد عند الموحدين من الدينية الى السياسية؟ وما انعكاسات ذلك على العقار؟

كيف تأثر العقار عمارة كان أو أرضا زراعية أو اقطاعا بحالات الحرب والسلم على استقرار المجتمع الأندلسي؟

هل تحقق لدولة الموحدين من خلال وضعها لخطة شاملة للعفار تأسيس **حضارة مطبوعة** بطابعهم الثلاثي: العظمة، الدين ، التجديد؟

لا ننكر وجود دراسات سابقة في جوانب شتى من تاريخ الأندلس الحضاري والاقتصادي، والتي اعتبرتها أرضية خصبة لمواصلة البحث والسير قدما على خطاهم فنجد على سبيل المثال لا الحصر:

- الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب و الأندلس 238-488هـ/852-1095م دراسة تاريخية مقارنة، ل/ يحي أبو المعاطي محمد عباسي وهي عبارة عن

رسالة مقدمة لنيل درجو الدكتراه من جزأين، عن قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة1421هـ/2000م

-أثر الاقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث هجري حتى ظهور الخلافة250-316هـ ،ل/ ابراهيم القادري بوتشيش، وهي عبارة عن رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الاسلامي

-الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصري المرابطين ولموحدين من484 الى620هـ/1092الى 1223م ل/سامية مصطفى محمد مسعد وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتراه من جامعة الزقازيق

- الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي مابين القرن4-9هـ/10-15م ل/ عبد القادر ربوح، وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية والانسانية جامعة الجزائر، 1426-1427هـ/2005-2006م.

الصعوبات التي واجهتني

1_ صعوبة عدم وجود وثائق كافية تدعم الدراسة.

2_ افتقار الدولة الموحدية مذهب فقهي معتمد خلال الفترة الأولى حتى فترة الناصر، وهي تعتبر الفترة الذهبية في تاريخ الموحدين وبعده مالت شمسهم إلى المغيب. وساد المذهب المالكي كامل أرجاء الأندلس.

3_ صعوبة فصل هذا الموضوع عن الجانب الفقهي.

4_ وجود الكثير من الوثائق المفتوحة التي لا تحمل لا أسماء ولا تواريخ فيصعب على الباحث توظيفها والإفادة منها رغم أنها معاصرة لفترة الدراسة.

منهج الدراسة:

وقد اعتمدت في دراستي وبناء على الإشكالية المطروحة على منهجين

المنهج الوصفي التاريخي: الملائم لوصف الأوضاع الاقتصادية في الأندلس

والمنهج التحليلي: المناسب للنصوص التاريخية وشرح أفكارها والاستنباط منها وهو الأساس لأنه الأداة القادرة على التوغل في دروب التاريخ مهما كانت معقدة والوسيلة المثلى للتنقيب في كتب النوازل وفي أعماق المجتمع سعيا منا لفهم الظواهر واستنطاقها، مع المقارنة في بعض الحالات إن اقتضى الأمر.

وحسب ما وصلت إليه من مصادر ومراجع وما توفر لي من جهد ومادة علمية، تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة، أما الفصل الأول فعنوانه: الحياة الاقتصادية في الأندلس خلال عهد الموحدين. مستهلا هذا الفصل بالأوضاع الزراعية محاولا الوقوف عند أهم العوامل المساعدة على ازدهار الزراعة وعلاقتها بالصناعة والتجارة، أما الفصل الثاني فهو فصل مفاهيمي ركزت فيه على ماهية العقار والتعريف اللغوي والإصطلاحي وأنواعه وأقسامه أما الفصل الثالث: فهو حجر الزاوية في البحث وركنه الركين حيث عنونته: خطة العقار في الأندلس خلال العهد الموحدي، وقسمته إلى أربع مباحث: منشآت اقتصادية وعمرانية واجتماعية ومرافق عمومية، وأخيرا الأراضي الزراعية، أما الفصل الرابع والأخير فعنونته: أبعاد وآثار العقار على الأندلس في العهد الموحدي محاولا إبراز ذلك على كل الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل مع كل معاني التقدير والاحترام والتبجيل إلى أستاذي الفاضل المشرف على البحث **البرفسور**: **الحمدي أحمد**، على توجيهاته وبذله كل الوسع والإعانة المادية والمعنوية لإنجاح هذا البحث وإخراجه في أحسن صورة وأبهى هيئة، وشرف لنا أن يكون إضافة إلى المكتبة الأندلسية،فنسأل الله تعالى أن يجازيه خير ما جازى أستاذا عن طلبته وأن يكون في ميزان الحسنات، والشكر موصول إلى كل من مد لنا يد العون علمنا أولم نعلم، وهم كثر لا يتسع

المقام لذكرهم، ما بين داعم بمصدر أومرجع أو مشجع أو مصوب أوناصح،وأخص بالذكر القائمين على المكتبة الوطنية بالحامة، والمجلس الإسلامي الأعلى، والمركز الثقافي الإسلامي المركزي بالجزائر العاصمة، والمركز الثقافي الإسلامي بعين صالح، والموقع الإلكتروني"مكتبة المصطفى" والمجموعات البحثية الجادة على الشبكة العنكبوتية على الخدمات القيمة التي قدموها لنا دون أن ننسى أعضاء اللجنة الموقرة المناقشة على سهرها وتعبها لدراسة رسالتي.

هذا ونسأل اللهYأن نكون قد تقدمنا نحو الهدف خطوة، وأضفنا إلى الجدار لبنة، إلى بعث الدراسة في تاريخ الفردوس المفقود أعاده الله علينا، آملا أن يكون هذا البحث أرضية خصبة لمن يأتي بعدنا ليستكمل البناء، راجيا من الله Y أن يبعث من هذا الجهد شعاع الأمل ويوقد روح الأمة من جديد،أوعلها تجد هذه الكلمات صلاحا محررا أو محمدا فاتحا أو مهديا موعودا، وعلى الله قصد السبيل وهو الموفق لكل خير.

عرض و تحليل للمصادر والمراجع المعتمدة

أولا: المصادر

أ–كتب الحسبة والفقه والنوازل

تعتبر كتب الحسبة من المصادر الهامة في دراسة النواحي الاقتصادية، في الأندلس، حيث أنها تجسد صورة الحياة اليومية في أسواق الأندلس خاصة فيما يتعلق بمراقبة الصناعات ورصد المعاملات المالية.

وهناك عدد لا بأس به من كتب الحسبة الأندلسية أفدت منها: أحكام السوق ليحيي بن عمر، وكتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب لكل من ابن عبد الرؤف ، ابن عبدون والجرسيفي وكذلك هنا كتاب آداب الحسبة للسقطي المالق من أواخر القرن **6**وأوائل القرن**7**هوكتاب وثائق في شؤون الحسبة

مستخرج من مخطوط الأحكام الكبرى لابن سهل وقدمت كتب الحسبة إفادة كبيرة للباحث حيث أنها ذكرت الكثير من أسواق الأندلس ورصدت كما هائلا من طرق الغش والتدليس والعقوباتالتي يوقعه أمين السوق على المخالفين.

وقد أفادتني كتب الفقه في رسم صورة إقتصادية وعمرانية واوردت معلومات عن كيفية التملك وفق أحكام الشريعة ومن أهم كتب الفقه : المعيار المعرب والجامع المغرب لفتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب **لأبو العباس الونشريسي(913هـ/ 1507م)** وهو كتاب يحوي الكثير من الفتاوى الخاصة بالنشاط الإقتصادي والمعاملات التجارية في الأسواق الأندلسية .

ابن رشد الحفيد ت(**520هـ/1126م**) وقد أفدت من كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد الذي تضمن إشارات مماثلة لما في المعيار وإن كان المؤلف قد عاصر الفترة المرابطية إلا أني أفدت منه الكثير من الأحكام المتعلقة ببناء الدور وأحكام الطرق وبعض المسائل الفلاحية.

ومن أهم كتب النوازل التي أفادتني كتاب **إبي الأصبغ عيسى ابن سهل الجياني** ت(**486هـ/ 1093م**) من خلال الأجزاء التي خلفها محمد بن عبد الوهاب الخلاف وقد أورد ابن سهل نوازل كثيرة فيما يتعلق بأحكام وراثة الأملاك والتصدق بها وتملك البساتين والضياع وغيرها والأحباس ونوازل إقتصادية .

ب- كتب التاريخ العام :

2- ابن عذاري المراكشي(كان حيا خلال **712 هـ/1312م**) : " البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس"، تبرز أهمية الكتاب لما يزخر به من روايات مستقاة من مصادر معاصرة لزمن البحث، وقد إعتمد على كتب فقدت كما اعتمد على عدد من المصادر في القرنين **5**و**6**هـ منهم البكري، الرقيق القيرواني وغيرهم، وتتميز معلوماته بالدقة لتنوع المصادر التي استقى منها المعلومة، وكتابه يؤرخ لفترة طويلة من

تاريخ المسلمين تمتد من الفتح إلى غاية بدايات القرن الثامن الهجري وقد أفدت منه في الجزء المخصص بالموحدين، فقد قدم فيه إشارات تتعلق بالجانب الإقتصادي خاصة فيما يخص الفلاحة، التجارة والسياسة المالية للدولة.

2- **عبد الواحد ابن علي المراكشي** (كان حيا خلال **613**هـ /**1216**م):" المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ،يعد من أهم المصادر التي تناولت تاريخ الموحدين نظرا لمعايشته كثيرا من ولاتها وخلفائها ومعرفته الدقيقة بسياستهم ومنهجهم الإداري وتوجهاتهم الفكرية، والسمة الغالبة على الكاتب يشهدها القاسي والداني إلتزامه بالموضوعية وبعده عن الإطراء والمدح والإنحياز رغم كرم الخلفاء له وتفيأ في ظلال خيرهم ذلك أنه كتب كتابه في المشرق بعيدا عن تأثيرات البيت الموحدي.

وقد أفدت منه نظم الموحدين الإدارية والإشارات الإقتصادية التي تظمنت كتابه المتعلقة بالأندلس خاصة فيما يخص الصناعات المعدنية، وسياسة الموحدين في تنظيم الأسواق ورواتب الجند.

3- ابن صاحب الصلاة (**ت.594 هـ/ 1198م**) : " تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين لمن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين"، يعد هذا الكتاب من أهم المصادر التارخية في عصر الموحدين وذلك لتميزه بأمرين أساسيين:

الأمر الأول :حيث أن المؤلف قد سجل ماشاهده بنفسه .

أما الأمر الثاني: إعتماده على من سبقه من الرواد وهم أبي القاسم ابن أبي هارون وأبي محمد سيدرال ابن وزير وأبي العلاء ابن عزون كما نقل على ابن حيان وابن العربي. بينما نقل على ابن صاحب الصلاة كل من : ابن القطان، ابن عذارى، ابن الخطيب،ابن خلدون والمقري وقد أفدت منه لتعرضه لإشارات في جوانب النشاط الإقتصادي الأندلسي وكذلك تعرضه لأسواق إشبيلية والأسواق

التي إنتشرت في الأندلس. وقد تفرد ابن صاحب الصلاة بوصفه للأسواق المصاحبة للركب الخلافي وأسعارها في رحلته إلى الأندلس سنة **566هـ/1470م**

4- المقري: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمان بن أبي العيش بن محمد (**ت. 1041 هـ/1631م**) : "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" وقد نقل المقري عمن سبقه مثل: الحجاري، وابن الخطيب، والمؤلف المجهول في وصفه لقرطبة وتكمن أهمية هذا المصدر في أنه نقل فقرات من مصادر مفقودة. وقد أفدت من هذا المصدر في الدراسة التمهيدية والفصول الأول والثالث والخامس من خلال وصفه لقرطبة ومدن الأندلس، حيث عدد أسواق قرطبة وعدد حوانيتها التي بلغت أيام المنصور محمد بن أبي عامر ثمانين ألفا وأربعمائة وخمسة وخمسين حانوتا. عصارة وخلاصة نظرياته التي أفرزتها دراسته للقبائل والمجتمعات وقد استفدت منه فيما يخص تعريفات العلوم التي تناولناها، النقلبة منها والعقلية.

ج – كتب الجغرافيا:

الحميري محمد بن عبد المنعم (ت. في أواخر القرن التاسع الهجري حوالي **710** هـ/ الخامس عشر الميلادي) الروض المعطار في خبر الأقطار, فقد أفادني في تحديد المواقع الجعرافية وبعض الأماكن بالأندلس.

الإدريسي، الشريف محمد بن عبد الله (**ت. 560 هـ / 1166م**): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وفيه وصف للمدن الأندلسية ووديانها والمسافات في ما بينها وهو يشبه كتاب الحميري.

الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري (ت بعد 541هـ/ 1146م) كتاب" الجغرافية" يتناول الزهري في هذا الكتاب جغرافية المشرق والمغرب ولكن حظ

الأندلس كان حظا وافرا، وقد اعتمد الزهري على مشاهداته الشخصية وعلى المسعودي وابن حيان والعذري.

وقد أفادني هذا المصدر في الفصل الأول حيث ذكر كل ما تشتهر به المدن الأندلسية من معادن وصناعات .

ثانياً : المراجع:

- أحمد بن عبد العزيز العميرة: نوازل العقار دراسة فقهية تأصيلية لأهم قضايا العقار المعاصرة، دار الميمان للتوزيع والنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى1432هـ/2011م.

عز الدين أحمد موسى:

- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت ، الطبعة الأولى1403هـ/1983م.
- الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بدون تاريخ طبع.
- محمد المنوني : حضارة الموحدين، دار توبقال، للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى1989م.



الفصل الأول

الحياة الاقتصادية في

الأندلس خلال عهد الموحدين

تمهيد:

إن إنتصار الموحدين على المرابطين والقضاء عليهم وإخماد كل الثوار في الداخل، مكنهم من فرض الأمن والاستقرار في ربوع دولتهم في الغرب الإسلامي، وهناك علاقة وثيقة بين الأمن والاستقرار والتطور الاقتصادي، فقد شدّد عبد المؤمن في أمر قطّاع الطريق "حتى كانت الظعينة تخرج من بلاد نول لمطة وتنتهي إلى برقة وحدها لا ترى من يعرض لها ولا من يكلمها"[1]، وسار على نفس السياسة يوسف والمنصور حتى أنه في أيام يوسف :يسير الراكب حيث شاء من بلاد العدوة في طرقها من جبلها وسهلها آمنا في نفسه وماله لا يخاف إلا الله أو الذئب"[2].

ويذكر صاحب روض القرطاس عن زمن المنصور مثل هذا القول[3]، ونتيجة للأمن والاستقرار اتسعت الزراعة وراجت التجارة ونهضت الصناعة وكثرت الجبايات وتدفقت الأموال على الخزانة العامة وارتفع الدخل العام للبلاد[4]، وهذا ما أكده المراكشي في كتابه المعجب "ولم تزل أيام أبي يعقوب هذا أعيادا وأعراسا ومواسم كثيرة خصب وانتشار أمن ودور وأرزاق واتساع معايش لم ير أهل المغرب أياما قط مثلها واستمر هذا صدرا من إمارة أبي يوسف"[5]، وهذا ما سأحاول عرضه في هذا

---

1 – محمد المنوني: **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء، المغرب،**1989**م ، ص**15**.

2 – ابن صاحب الصلاة عبد الملك: **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين لمن جعلهم الله ظائمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ،بيروت، لبنان ،الطبعة**1**، **1964**م، ص**286**، ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تحقيق احسان عباس،ج**3**، دار الثقافة، بيروت، لبنان،الطبعة**1**، **1983**م ، ص**65**، **136**.

3 – ابن أبي زرع : **الأنس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ،طبعة حجرية، ص**143**.

4 - سامية مصطفى محمد مسعد: **الحياة الاقتصادية لإقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين** من484-**620**هـ/**1096**-**1223**م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى**1423**هـ/**2003**م، ص**71**.

5 – عبد الواحد المراكشي: **المعجب في ذكر أخبار إفريقية والمغرب**، تحقيق محمد سعيد عريان ، مطبعة الإستقامة، القاهرة،،**1950**م ،ص**330** .

الفصل باحثا عن أسباب التقدم في جميع المجالات محاولا ربطه بالموضوع، وماهي دلالات تأثيره على الحياة الاقتصادية بما فيها العقار باعتباره محورا للبحث.

المبحث الأول

الأوضاع الزراعية

تمهيد:

لقد حظيت الفلاحة بمكانة هامة عند أهل الأندلس، وهي كما يعرفها ابن خلدون:"هي صناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب، بالقيام على إثارة الأرض وازدراعها، وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج جبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبته ودواعيه، وهي من أقدم الصنائع لما أنها محصلة للأقوات المكمل لحياة الإنسان غالبا"[1]، وقد عرفت الفلاحة الأندلسية في القرنين الخامس والسادس ازدهارا وتطورا ليس على مستوى الأرض فحسب بل حتى على مستوى التأليف والأبحاث العلمية الجادة، وتشهد المكتبة الأندلسية تنوعا في التآليف في هذا المجال، نذكر منها[2]:

- مجموع الفلاحة لابن وافد.
- كتاب الفلاحة لمحمد بن إبراهيم بن بصال.

---

1 – عبد الرحمان بن خلدون: **المقدمة**، إعتناء ودراسة، أحمد الزعبي دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، **2001**م، ص**442**.

2 – Fadhel Hamada,Unos del desarrello economico en la epoca de los reyes de taifas(Actas del IV coloquio Hispano-Tunecino-Palma de Mallorca,1979)Instituto Hispano-Arabé de cultura,Madrid,1983.P:156. L,Bolens,Les méthodes Culturales au moyen-âge d'agronomies, P:21. ابن العوام، **كتاب الفلاحة**، تقديم محمد الفايز، باريس مطبوعات الجنوب(Actes Sud)، ديسمبر **2000**م، ص**22**.

- كتاب المقنع في الفلاحة لأبي عمرو أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي.
- كتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي.
- زهرة البستان ونزهة الأذهان للطغنري الذي أهداه للأمير أبي طاهر تميم بن يوسف بن تاشفين.
- كتاب الفلاحة لابن العوام

وهذا القدر الكبير من الأعمال الفلاحية في عصري الطوائف والمرابطين يجعل مؤرخي العلوم أمام ظاهرة فريدة من نوعها، حيث تقول الباحثة لوسي بولنز(Lucie Bolens):إنَّ هذه المرحلة ؛عبارة عن ثورة خضراء كبيرة، ذات تقنيات زراعية عالية. ويشاركها نفس الرأي جورج سارطون[1] في المدخل إلى تاريخ العلوم، وقد نوه بنفسه حين صدور كتاب الفلاحة لابن بصال.وقد ساعد مناخ الأندلس وأرضها وتربتها المتعددة على تجارب ابن بصال وابن حجاج وابن العوام[2]،

هذا وقد وجد المسلمون في الأندلس أرضا خصبة قابلة للزراعة، فعملوا على زراعتها حتى تحولت إلى جنة خضراء، فأصبحت الزراعة من أهم المجالات التي وضح فيها تأثير المسلمين، حتى قيل"إن المسلمين كتبوا بداية أعمق وأكبر تطور عرفته الزراعة في هذه البقعة التي كانت آلت إلى التخلف والكساد"[3]، وكان النشاط

1 – جورج سارطون، ابن بصال: **كتاب الفلاحة**، نشره وترجمه وعلق عليه خوسي ماريا مياس بيكروسا ومحمد عزيمان(**231** صفة بالأسبانية و **182** صفحة بالعربية)تطوان، المغرب، معهد مولاي الحسن، **1955م**.ترجمة مجلة تطوان لمقال الأستاذ جورج سارطون الأستاذ بجامعة هارفارد وهو تعليق صدر بمجلة"أسيس"(ISIS) مجلد **47** الصادر في مارس **1956م**، ص **74-77**.(مجلة تطوان)سنة **1957**م، ص **195-198**.

2 – محمد الأمين بلغيث: **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، غير منشورة – جامعة الجزائر، السنة الجامعية **1423**هـ - **1424** هـ / **2002 – 2003**، المجلد الأول،ص**40**.

3 – إكسبيير اثيون غارثيا سانشير: **الزراعة في اسبانيا المسلمة**، (ندوة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس- بيروت **1999**م)ص**1367**.

الزراعي في مجمله مزدهرا رغم اختلافه من منطقة لأخرى لاختلاف الظروف الجغرافية، وماذكره الجغرافيون والرحالة يدل على المستوى الجيد وغزارة الإنتاج، وعلى أن المسلمين طوروا التقنيات الزراعية السابقة مضيفين إلى التراث الزراعي المحلي العميق الجذور معارف جديدة للزراعة التطبيقية، وهذا تناول لمجال الزراعة في الأندلس.

أولا: عوامل ازدهار الزراعة

1-الأندلس الطبيعة والجغرافيا.

لقد كان لطبيعة أرض الأندلس الخصبة دور كبير في ازدهار الزراعة ووفرة المزروعات، وساعد في ذلك طبيعة المناخ والتنوع التضاريسي، حيث تقدمت الزراعة بالأندلس خلال عهد الموحدين حتى حكم الناصر الموحدى وزاد الإنتاج الزراعي، وشهدت البلاد وفرة في المحصولات، وقد تظافرت عدة عوامل طبيعية تمتعت بها المنطقة يضاف إلى ذلك القوى البشرية والتي اتخدت فلاحة الأرض مهنة لها وأخيرا اهتمام ولاة الأمر بقيام زراعة ناجحة بالبلاد، وسنحاول أن نشرح هذه العوامل بشيء من الشرح والتفصيل منها:

أ- طبيعة السطح:

اشتهرت الأندلس بخصب تربتها وكثرة أنهارها وتنوع تضاريسها، حيث ساهم السطح وما يتضمنه من تربة خصبة وأنهار متعددةأ بالاضافة إلى مناخ متنوع في تقدم الزراعة بالأندلس.

ونشاط أهلها وكان لضم الأندلس إلى المغرب أثره الكبير في استقرار الحالة الأمنية التي تساعد على الإنتاج.

ب- خصوبة أراضي الأندلس: طبيعة الأندلس التي يغلب عليها الأراضي الزراعية الخصبة والمياه الجارية من آبار وأنهار وبحار بالاضافة إلى المناخ فهو من العوامل المساعدة على توفير بيئة زراعية متطورة، ومن أقاليمها الخصبة إقليم غرناطة

الذي يتميز بخصوبة أراضيه وكثرة أنهاره وقد وصف الحميري إقليم غرناطة قال :"وفحص البيرة[1]– وهي أصل غرناطة– أزيد من مسافة يوم في مثله يصرفون فيه مياه الأنهار كيف شاءوا كل أوان من جميع الأزمان وهو أطيب البقاع وأكرم الأرضين تربة ولا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وشارحة الفيوم، لا تعلم شجرة تستعمل وتستغل إلا وهي أنجب شيء في الفحص"[2]، ووفرة مزروعاته[3]، ويؤكد ابن الخطيب حيث يقول:" ومن كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة ورعى بعد رعى طوال العام"[4]، وكذلك كانت إشبيلية الواقعة غري قرطبة وبينهما ثلاثون فرسخا[5]، والتي كانت مقرا لحكم الروم ثم أصبحت مقرا لحكم الأندلس أيام الموحدين(**541–640**هـ/ **1146–1242**م)، وكانت أعظم من الأندلس وقد كثر بها شجر الزيتون والفواكه ولاسيما جبل الشرف الذي تطل عليه إشبيلية[6].

---

1 – الفحص هو البسيط الأخضر وقد سبق التعريف به عن فحص غرناطة، انظر ابن الخطيب لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة** ج**1**، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، مصر: القاهرة، مكتبة الخانجي، ج**1**، الطبعة الثانية (**1393**هـ– **1973**م) .ص**99**هامش 2،1،ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة،**1989**، ص**187**.

2– الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، لبنان– بيروت، دار الكتب العلمية، **1975**م، ص**23**.

3 – عن خصوبة إقليم غرناطة انظر ابن الخطيب: **الإحاطة** :ج**1** ص**98** – **99**، لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق محب الدين الخطيب، محمد مسعود جبران، ، المطبعة السلفية، 2009م ، ص**25**، المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت. **380**هـ/**990**م) : **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، طبع بمدينة ليون بمطبعة أبريل **1960**م.المقري (احمد بن محمد التلمساني (ت. **1041**هـ/**1631**م)، نفح الطيب، ص**235** ، ،ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب** ، ج**2**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة،سنة**1953**- **1955**، ص**102** - **103** ،ابن غالب: **فرحة الأنفس** قطعة نشرها لطفي عبد البديع بعنوان "المنتقى في فرحة الأنفس"،مجلة المخطوطات العربية، العدد الاول ، **1955**،ص**28**، شهاب الدين ياقوت الحموي: **معجم البلدان**: ج**5** مادة غرناطة ،تحقيق :ف.وستنفلد، ليبزيغ، بروكهاس، **1866**- **1873**. المقرى: **نفح الطيب**، ج**1**ص**148**، ص**149**، ص**177**.

4 – ابن الخطيب :**الإحاطة في إقليم غرناطة**، ج**1**، ص**98**، **اللمحة البدرية**، ص**22**.

5 – نقولا زيادة: **الجغرافية والرحلات عند العرب**، دار الكتاب المصري، القاهرة، **1987**م، ص**66**-**67**.

6 – ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص**115**، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج**1**، ص**232**، محمد عبدو حتاملة: **موسوعة الديار الأندلسية**، ج**1**، مطبوعات الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى**1420**هـ/**1999**م.

ج–وفرة ثروة مائية وتعدد أنهارها: ساعدة على قيام زراعة ناجحة في الأندلس الثروة المائية الهائلة، حيث يبلغ عدد أنهار وأودية الأندلس تسعة أودية[1]، ثلاثة منها في كل من الشرق والغرب والجنوب، ففي الشرق يوجد وادي إبرة شمالا، وأهم حواضر سرقسطة وطرطوشة وتطيلة، وفي الوسط يوجد وادي طورنه، وهو نهر بلنسية، وفي أعلاه ألبونت، وفي جنوبه وبحذائه يسير نهر شقر، ويقع عليه شاطبة جنوب المصب، وقونقه أعلاه، ويصب في الجنوب الشرقي وادي شقورة، وهو وادي مرسية "قاعدة تدمير"، وفي الجنوب مدينة أوريولة[2].

ومن أودية الغرب وادي دويره، وتقع عليه مدينة شنت اشتيبن وبرغش، وسمورة وبورتو، وفي الوسط نهرتاجة، ويقع أعلاه وادي الحجارة وطليطلة وطلبيرة وقورية،وشنترين، وأشبونة، وجنوبايوجد نهر وادي آنة، ويسير بحذاء تاجة جنوبا، كما يصب على الساحل الجنوبي الغربي، وتقع أعلاه مدينة أقليش، وماردة وبطلييوس ومرتلة، وتقع أكشنبة عند المصب[3].

أما أنهار الجنوب، فأشهرها الوادي الكبير، وتقع عليه قرطبة وإشبيلية ووادي لكة "نهر البحيرة" وتوجد مدينة أركش وشريش، ثم وادي اندريش، وهو وادي ألمرية[4].

---

1 - الحميري: **الروض المعطار**، ص**96- 124- 64-47- 56-102-181- 34**.

2 - الحميري: **الروض المعطار** ، **ص44- 98- 115- 130 -123 - 164 -122 - 164 – 113- 175-146- 191**.

3 - الحميري: المصدر نفسه، ص **153- 18 – 14- 103 -31 -32**.

4 - يحي أبو المعاطي محمد عباسي :**الملكية الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس، (238- 488**هـ) /(**852- 1095**م)، دراسة تاريخية مقارنة وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا عن قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، **1421**هـ -**200**م، ص**434**.

وهكذا امتلكت شبه جزيرة الأندلس مجموعة من أحواض الأنهار الغنية، شكلت كل منها وحدة حضارية، وساعد ذلك على محاولات الاستغلال السياسي، وكانت معظم الأنهار تجري من الشرق إلى الغرب، أو عكس ذلك من الغرب إلى الشرق، أي أن أكثر الأقاليم ارتفاعا هي الهضبة الوسطى، حيث خط تقسيم المياه، وهي المنطقة الممتدة من الشمال إلى الجنوب، والمنحازة نحو الشرق أكثر من الوسط، مما جعل أحواض الأنهار التي تصب في المحيط غربا أكثر طولا من المنصبة في الشرق، وهذا يعني أن الهضبة تسير مع مسار روافد الأنهار من الشمال إلى الجنوب بميل ذات اليمين وذات الشمال أو غير ميل، ولا يوجد نهر يجري من الجنوب إلى الشمال[1].

وكانت لهذه التضاريس الجغرافية آثار فادحة في فترات الدولة المركزية، فكانت هذه الخصوصية الجغرافية تساعد على تكريس الجوانب السلبية، وظهر ذلك في فترة الفتنة في القرن الثالث الهجري، وفي عصر الطوائف في القرن الخامس الهجري[2].

وتتبع الأنهار في الأندلس المدن والأقاليم والقرى التي تقع عليها، فإقليم جلق"ونهره —يسقى ماوازى قنطرة سرقسطة عشرون ميلا، ويخرج نهر جلق من جيان البرطانين، ثم يخرج إلى ناحية وشقة إلى سرقسطة، ويقع في إليبره، والجزء الأعلى من

---

1 – عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبطه: محمد سعيد العريان ومحمد العلمي، مطبعة الإستقامة، القاهرة،**1949**، ص**375**، الحميري: **الروض المعطار، ص23**، القلقشندي :**صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، ج5، دار الكتب المصرية، القاهرة، **1919** ،ص **235**.

2 – كحيلة: **أندلسيات** (مكتبة مدبولي، **1989**م)ص**134** ومابعدها، المولدون في التاريخ الأندلسي(ماجيستير– آداب القاهرة**1978**م)، ص**21**– **47**.

نهر جلق يروي من الصخيرة إلى منزل حسان على قنطرة سرقسطة عشرون ميلا"[1]، وكذلك أقليم بلطش وشلون[2].

وفي مدن وقرى الأندلس توفرت هذه الخصائص والمميزات، وهذا ما وصف به الكثير من الأقاليم، فغرناطة تميزت بتربتها الخصبة وأوديتها الطويلة تخترقها الأنهار وترويها الأمطار وساعد ذلك كله على تعاقب الزراعة في هذا الإقليم طوال العام، ومن أهم هذه الأنهار نهر شتيل الذي ينبع من جبل شلير ويتدفق عندما تذوب الثلوج فيغذى الأودية[3]، ويروى البقاع، وكان جبل شلير مصدرا هاما للمياه عندما تذوب الثلوج التي تغطيه طوال العام فيتفرع منه أنهار وجداول صغيرة[4]، بالإضافة إلى نهرى حدرة[5] والمنصورة[6] وشهد إقليم غرناطة أنهارا موسمية مثل وادى ألمرية[7] الذي يفيض شتاءا ووادى مالقة الذي يفيض في الربيع[8]، وبالإضافة إلى الأنهار والأودية

1 – أبي العباس أحمد العذري: **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتلميع الأثار**، تحقيق : عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد **1965**، ص **24**.

2 – أبي العباس أحمد العذري: المصدر نفسه، ص**25**.

3 – محمد بن علي الشباط:**صلة السمط** المعروف باسم تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، استخرج الجزء الخاص بالاندلس أحمد مختار العبادى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مجلد **14**، طبعة سنة**1967-1968**، ص**113 - 114**، طبعة سنة **1971** ص**140- 141**، ابن الخطيب: **الإحاطة**: ج**1**، ص**117- 118**، الحميري: **الروض المعطار**: ص**23- 122**.

4 – ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربى، طبعة الجزائر، سنة**1982**م، ص**140-141**، ابن الشباط : **صلة السمط** المعروف باسم الاكتفاء ، ص**145**، القلقشندى: **صبح الأعشى** ، ج**5**، ص**214**، ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج**1** ص**96**، الحميرى : **الروض المعطار**، ص**23** ، الإدريسى : **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** – صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، حققه دوزي ودي خوييه، ليدن،**1866**، ص**203**.

5 -: القلقشندى: المصدر السابق،ج**5** ص**215**، ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة** : ص**190**، هامش رقم**4**.

6 – ابن الخطيب: **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب**:ص**34**، حاشية رقم**8**.

7 – القلقشندى: المصدر السابق: ج**5** ، ص**217**.

8 – ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، ج**1**، ص**423**.

التي ذكرت وجدت في إقليم غرناطة العيون أيضا[1] وأسهمت هذه العيون والأنهار والأودية وكذلك الأمطار في جعل إقليم غرناطة إقليما خصبا صالحا للزراعة طوال العام[2]، ويصف العمرى في كتابه مسالك الابصار غرناطة بقوله:"كثيرة المطر والأنهار والبساتين والشجر والفواكه ولها نهران شنيل وحدرة"[3]، وقد كثرت غلاّت إشبيلية نظرا لصحة تربتها[4]، ولكثرت بساتينها وأشجارها المثمرة فإن القوارب تمشي بواديها(الوادي الكبير) لمسافات بعيدة تحت ظل الثمار[5].

د–تنوع تضاريسها واعتدال مناخها

وساعد على ازدهار الزراعة، خصوبة أرض الأندلس، وكثرة مائها، لوجود عدد كبير من الأنهار والوديان والعيون، قليلة الهوام ذات السموم، معتدلة المناخ معظم شهور السنة[6]. مما مكن من زراعة أنواع متعددة طوال العام[7]، وهو الأثر الأكبر في ازدهار الزراعة في الأندلس .

---

1 – القلقشندى: **صبح الأعشى**، ج**5**، ص **215**، الحميرى: **الروض المعطار**، ص**23** – **45**.

2 – ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج**1**ص**98**، لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية** ، ص**22**.

3 – انظر:ابن صاحب الصلاة : **المن بالإمامة**، ص**190** هامش**4**، ص**191** هامش**3** ، شكيب أرسلان : **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، المطبعة الرحمانية، بفاس، المغرب، الطبعة الأولى،1355ه /1936م: ص129.

4 – ابن الكردبوس: **تاريخ الأندلس**(قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، نشر المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، **1981**م، ص**139**.

5 – الزهري: **كتاب الجغرافيا** ، تحقيق محمد حاج صادق، نشر مجلة الدراسات الشرقية، دمشق، **1968**م، ص**88**.

6 – المقرى: **نفح الطيب**، ص**140**.

7 – يقول ابن الخطيب: ومن كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة، ورعيا بعد رعي طول العام، ابن الخطيب: **الإحاطة** ، ج**1**، ص**96**.

2- تفوق الأندلس على المغرب زراعيا.

رغم أن الأندلس كانت تابعة للمغرب من الناحية الإدارية إلا أنها تفوقت عليه في مجالات شتى، وقد حاول الموحدون استغلال ذلك في خدمة نظامهم وازدهاره وترسيخ نفوذهم وملكهم، وتأثير الأندلس على المغرب حضاريا وثقافيا وعلميا بارز من خلال تقليد المغرب للأندلس في الزراعة والعمارة، ويمكن أن نورد جملة من العوامل التي ساعدت على ذلك:

-نشاط أهل الأندلس في هذا المجال وتأثرهم بالبيئة الطبيعية الباعثة على العطاء والدافعة للعمل.

-مهارة أهل الأندلس في الفلاحة، وخبرتهم بالأرض، واستنباطهم الأنواع الجديدة، والمختلفة المتعددة من الفواكه والحبوب والقطاني والبقول[1]، ووجود طبقة متخصصة عرفت بطبقة الفلاحين الذين نشأوا على أرض الأندلس واتخذوا الفلاحة مهنة يتوارثونها عن آبائهم وأجدادهم، حيث يقول ابن خلدون أنها-الفلاحة- اختصت بصناعتها البدو(....)لا يقوم عليها الحضر[2]، وهذه الطبقة اخذت على عاتقها مهمة فلاحة الأرض واستغلال الظروف الطبيعية في استثمار المحاصيل الزراعية المختلفة فقبائل دكالة امتهنت الزراعة وقامت بزراعة البساتين والحدائق المختلفة[3] وكذلك كثير من قبائل

-المؤلفات الأندلسية في الفلاحة ودورها البارز في دفع هذا العلم وتطوره،والتأليف فيه[4]، حيث تطورت الزراعة وعرفت طرقا عديدة لمعالجة أمراض

---

1 - المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**،تحيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت،**1408**هـ / **1988**م، ج1، ص**147**.

2 - ابن خلدون: **المقدمة**، ، ص**442- 443**.

3 - مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، دار النشر المغربية، **1986**، ص**209**.

4 - ظهرت كتب ابن بصال وابن أبي خير الإشبيلي، وابن العوام، وابن لبون، وحمدون الإشبيلي والطغنري.

النباتات والقضاء على آفاتها، نجد مجموعة من العلما ألفو في جوانب مختلفة لهذا العلم: ومن أمثلة ذلك: ابن بصال، وابن أبي خير الإشبيلي، وابن العوام، وابن لبون وحمدون الإشبيلي والطغنري

3- اهتمام ولاة الأمر بالزراعة:

وعندما ضم المرابطون الأندلس، إلى العدوة لجأوا إلى النظام القديم الذي كان معمولا به في الأندلس قبل الحاجب المنصور بن أبي عامر وخلفائه، وهو نظام الاقطاعات الزراعية التي تمنح للجند او غيرهم، مقابل خدمات يؤدونها للدولة، يقول الطرطوشي:" وكان هؤلاء يشغلونها ويرفقون بالفلاحين، ويربونهم كما يربي التاجر تجارته، فكانت الأرض عامرة، والأموال وافرة، والكراع متصلة، والسلاح فوق ما يحتاج إليه"[1].

وشجع المسؤولون في الدولة الفلاحين على الحرث والفلاحة إذ هي العمران ومنها العيش كله والصلاح جله، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال، وبها تملك المدائن والرجال، وببطالتها تفسد الأحوال، وينحل كل نظام[2]، وكثرت الأمثال العامية التي تشجع على الزراعة وامتهان حرفة الفلاحة، ومعرفة الأوقات المناسبة لزراعة محصول معين[3].

---

1 - مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص**209**.

2 – ابن عبدون: **رسالة في القضاء والحسبة** (ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة)، ص**5**.

3 – يقولون:" يارايدين العصير، أي كنتم وقت الزبير"، "هذه هي الصيف، من حب لقط، ومن حب رقد"، إذا رأيت الضباب أبشر بالطياب"،" الفول إذا نور، شهرين يدور".

وكذلك هو الشأن بالنسبة للموحدين حيث اهتم خلفاءهم بالزراعة وشجعوا المزارعين على استغلال الأرض[1] وحرصوا على توفير مياه الري اللازمة للزراعة، اذ اهتم المنصور الموحدى اهتماما كبيرا بتوفير مياه الري[2].

وقد شهدت المنطقة الكثير من الحملات العسكرية التي خرجت للغزو والجهاد نتيجة للظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها البلاد، وقد حرص قادة الجيوش خلال هذه الحملات على حماية المزروعات والحفاظ عليها وقد تجلى ذلك حين حذّر ابن تومرت أتباعه من التعرض بإتلاف للمزروعات والحفاظ عليها

ثانيا: نظم الدولة الموحدية في تسيير الأرض وطرق الانتفاع بها:

كانت الأراضي الفلاحية على عهد الدولة الموحدية تستغل بطرق مختلفة ومتعددة، يمكن حصرها في شكلين اثنين، استغلال مباشر من طرف ملاك الأراضي، وهو متعلق بالمناطق الريفية التي يسودها الطابع القبلي، والطريقة الثانية تعتبر غير مباشرة، تتمثل في الكراء و الشراكة و الإجارة، حيث نجد انتشار هذه الطرق في المناطق الآهلة والمدن الكبيرة.

1/ الانتفاع المحلي البسيط (الاكتفائي الذاتي)

تكون من طرف أفراد القبيلة أو الأسرة الكبيرة الواحدة، تتوزع مساحة الأرض بينها في ملكيات صغيرة، تزاول كل أسرة أنشطتها الفلاحية من أجل تأمين اكتفاء غذائي لها، تعتمد في الأساس على المزروعات و الأشجار المثمرة، ويشترك ملاك الارض في بعض الاعمال التي تقتضي التوحد؛ كالحرث و الحصاد، وإجراء

1 – حسن علي حسن :**الحضارة الإسلامية بالأندلس في عصر الموحدين و المرابطين**، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الاولى،**1980**،ص**236**.

2 – حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية بالأندلس في عصر الموحدين و المرابطين** ، ص**237**.

المياه، ودرء بعض الجوائح المقدور على درئها التي من شأنها تملك وتفسد المحصول كالجراد مثلا[1].

2/الانتفاع المتعدي (المشترك)

تتجسد هذه الصورة إما في عملية الكراء، أو الشراكة، أو يكون الانتفاع بالأرض بالمقابل عن طريق الأجرة (الإيجارة)، ، أو المزارعة، أو المغارسة، أوالشركة في الأملاك الزراعية، أو الخماسة:

1-الكراء فإنه ينبني على عقد يقتضي استغلال الأرض لمدة زمنية اقلها سنة، وقد تزيد، حسب نوع الانتفاع وما يتطلبه من وقت[2].

2-الشراكة بين المالك للأرض والطرف الأخر،حيث يكون هذا الأخير طرفا في عملية استثمار الأرض بأي نوع من أنواع الشراكة ؛إما بالعمل أو المال أو غيرهما ، مقابل حصة معينة يأخذها من المحصول،تقدر غالبا بالخمس في بلاد المغرب ، بينما الشائع في بلاد الأندلس أنها كانت تقدر بالثلث أو الربع[3].

3-الإجارة ؛ فهي طريقة يلجأ إليها ملاك الأراضي في حالة عدم القدرة على الانفراد باستغلال الأرض فيتخذ الأجراء للقيام بأعمال معينة، وأخذت هذه العملية صبغة المشاركة في الاستغلال على الرغم من أنها عمل بالأجرة نظرا للمقابل

1- ابن القطان، أبومحمد حسن بن علي بن محمد المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ماسلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،ط**1** ،**1990**،ص**208**. وبالنسبة لتحفيز المؤسسات الدينية كالزوايا و المتصوفة على ظاهرة التعاون الاجتماعي أو ما يسمى بالتويزة في المجتمع المغربي ينظر:ابن الزيات التادلي، أبويعقوب يوسف بن يحي: **التشوف إلى رجال التصوف**، تح: احمد التوفيق ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب، ط**2**، **1997**م، ص**91- 92- 210- 383**.

2 – الونشريسي، أبو العباس احمد بن يحي ، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب** ، نشر:محمد حجي، الرباط، **1401**هـ /**1981**م، ج**8**، ص **221- 372**. الحسين اسكان : **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي 518**هـ -**668**هـ/**1125-1270**م، مركز الدراسات التاريخية و البيئية ، المغرب، ص**156-166**.

3 –نقلاعن بغداد غربي: **العلاقات التجارية للدولة الموحدية** ، دكتورا غير منشورة ، جامعة وهران،كلية العلوم الانسانية ،اشراف محمد بن معمر، ص**25**.

الذي يأخذه الأجير، وهو عبارة عن جزء من المحصول أو ما يصطلح عليه"بالقطيع" الذي ظهر في فترة المرابطين والموحدين[1].

4–المزارعة: المزارعة في اللغة مفاعلة من زارع، وهي الإنبات أو المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها[2]. وعند فقهاء المالكية " الشركة في الزرع"[3]، وهي عندهم شركة ابتداء وانتهاء، وأكثر الفقهاء يعدون المزارعة إجارة ابتداء وشركة انتهاء، فهي إجارة لأنها تمليك المنفعة بعوض، وهي شركة لأن المحصول الخارج من الأرض يكون مشتركا بين المالك والمزارع على شروط العقد[4]بينهما.

وأجاز الفقهاء المزارعة إذا دفع صاحب الأرض أرضه إلى من يزرعها بنصيب معلوم مما يخرج منها كالنصف والثلث والربع، ولم تتعين حصة أحدهما أو كليهما، وقد تكون المزارعة في أرض بيضاء، أو في أرض ذات شجر، وأجمع كثير من الفقهاء على جواز المزارعة مطلقا للعمل بها في بلاد الإسلام دون إنكار من علمائها[5].واشترط المالكية[6] في جواز المزارعة في الأرض ذات الشجر:

- أن تكون حصة العامل في المزارعة مثل حصته في المساقاة على الشجر.
- أن يكون البذر من العامل.

---

1 –بغداد غربي: **العلاقات التجارية للدولة الموحدية**، ص25.

2 – أحمد بن محمد بن علي الفيومي: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ص**252**.

3 –الشيخ محمد عليش: **فتح الجليل (وهو شرح مختصر خليل)**،(المطبعة الأميرية**1294**ه) ج**3**، بدون تاريخ الطبع، ص**328**.

4 – أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي: **معالم السنن**، وهوشرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية، حلب– سوريا، ج**5**،الطبعة الأولى **1351**ه/**1932**م ص**54**.

5 – ابن حزم الأندلسي: **المحلي**، عُني بتصحيحه للمرة الأولى إدارة الطباعة المنبرية، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة النهضة – مصر. **1337**ه.، ج**8**، ص **267**.

6 – ابن رشد: **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، ، دار التوفيق، سنة**1983**م، ج2، ص **247**.

- ألا تتجاوز أجرة الأرض البيضاء وحدها الثلث من مجموع أجرتها وثمن الثمار التي في البستان بعد خصم المصاريف التي أنفقت عليها.

ويعد عقد المزارعة من عقود المعاوضات المالية كالإجارة، فيشترط في عاقديه الأهلية[1] وولاية إبرام هذا العقد، ولا يشترط فيمن يدفع الأرض لغيره مزارعة أن يكون مالكا لعينها بل يكفي أن يكون مالكا لمنفعتها[2]، ولا يشترط أن يكون مسلما، ويصح العقد اذا كان ذميا[3].

ويشترط في الأرض المتعامل بها في المزارعة شروط وهي:

- أن تكون معلومة مبينة الحدود، وأن توصف وصفا يميزها عن غيرها.
- أن تكون معينة[4].
- أن يمكن استيفاء المنفعة المقصودة منها- المزارعة-

ويحدد عقد المغارسة الأعمال التي يقوم بها العامل وهي: الحرث والسقي وتفريق السماد ونحو ذلك، أما التي يقصد بها اصلاح الأرض نفسها مثل حفر الأنهار وشق الترع فإنها تجب على المالك[5].

حصة العامل والمالك من المزروع "شروط الناتج"

وتتوافر في عقد المزارعة شروط معينة في حصة العامل أو المالك، وهذه الشروط هي:

---

1 - تتحقق الأهلية بأن يكون العاقد عاقلا مختارا غير محجور عليه بسفه أو فلس، أما شروط ولاية أبرام العقد فيكون أصيلا عن نفسه أو وليا أو وصيا أو قيما أو وكيلا عن غيره، الكسائي: **البدائع**، ج**6**، المطبعة الجمالية، مصر **1910**م، ص**176**.

2 - ابن قدامى المقدسي: **المغني**، ج**5**، مكتبة القاهرة، بدزن تاريخ نشر، ص**379**.

3 - أحمد بن المرتضى: **البحر الزخار**، ج**4**، مكتبة الخانجي، **1948**م، ص**64**.

4 - الكسائي: **البدائع**، ج**6**، ص**178**، البهوتي: **كشاف القناع**، ج**3**، **453**.

5 - ابن قدامى: **المغني**، ج5، ص**370**.، البهوتي: **كشاف القناع عن متن الإقناع**، ج**3**،دار الكتب العلمية، بدون تاريخ نشر، ص**451**، **452**.

1- أن تكون الحصة مذكورة في العقد، فلا يصح للعاقدين أن يسكتا عن ذكرها[1].
2- أن يكون الناتج المتحصل للعامل والمالك معا[2].
3- أن تكون حصة كل من المالك و العمل من نفس الخارج[3].
4- أن تكون حصة كل من المالك والعامل معلومة القدر كالنصف أو الثلث أو الربع مثلا[4].
5- أن تكون حصة كل منهما جزءا شائعا في الجملة مثل النصف والثلث والربع،وهكذا[5].
6- ألا يشترط لأحدهما زيادة معلومة مع حصته الشائعة، فلا يصح أن يشترط لأحدهما نصف الخارج مع زيادة عشرة أرادب أو قيمة البذر أو قدر الخراج[6].

4-أ-آثار المزارعة الصحيحة بين المالك والعامل

يترتب على المزارعة الصحيحة حقوق على المالك هي[7]:

1- تسليم الأرض إلى العامل.

---

1 -الكساني:**البدائع**، ج**6**- ص**177** .

2 -الكساني:**البدائع**، ج**6**- **177**، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي :**الاختيارلتعليل المختار**، تعليق محمود أبو دقيقة،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ج**2** – **140**.

3 – الكساني: **البدائع**، ج**6**- ص**177**، محمد بن أحمد متولي: **الروض النضير في تحرير أوجه الكتاب المنير** ، ج**3** ،تحقيق خالد بن حسن أبو الجود، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، الطبعة**1**، **1427**هـ ،**2006**م ، ص**352**.

4 – محمد أحمد متولي: المصدر نفسه: ص**177**،ابن حزم الأندلسي: **مراتب الاجماع**،مكتبة القدسي،مصر**1357**هـ)، ص**60**.

5 –الكساني :المصدر السابق:ج**6**، ص **177**- **178** .

6 – ابن قدامه : **المغنى** ،ج**5**، ص **161**، البهوتي:**كشاف القناع** ،ج**3**- ص**455**.

7 - الكسائي: المصدر السابق، ص**177**.

2- القيام بالإصلاحات اللازمة للأرض.

3- عدم الحيلولة بين العامل والانتفاع بالأرض.

4- عدم ضمان العيب.

5- إعطاء العامل الجزء المشروط له من المحصول.

4-ب- حصة المزارع:

دلت كتب النوازل على اختلاف حصة المزارع ، فهناك مزارعة على النصف والثلث والربع والخمس والسدس، وقد يخالف بعض الزراع أحكام الفقه جهلا منهم، مثل رجل يحرث الأرض على الربع أو الثلث من غير أن يجعل له رب الأرض نصيبا من الزريعة[1]، إلا أن العادة أن يزارع الرجل المزارع على جزء معلوم[2]، فإذا لم يحدد هذا الجزء يقع النزاع مثل رجل دفع أرضا بيضاء له إلى قوم يعملون فيها دخنا، فعمل القوم، فحرثوا فدعاهم صاحب الأرض إلى أخذ الزريعة فأبوا، فلما حصد الدخن ذهب العاملون معه إلى أن يعطوه الثلث، فقال لهم: خذوا الزريعة وأعطوني الشطر لأرضي[3].

وكثيرا ما يلجأ الفقهاء في النزاع في المزارعة إلى عرف أهل البلد ،مثلما وقع لرجل أدخل المناصف في أرضه، ويجعل معه النصف في جميع الزرائع، فيعمل العامل في تلك الأرض، ويحصد الزرع ويدرسه ويذروه، ويأخذ صاحب الأرض نصيبه، ويدعو العامل صاحب الأرض إلى أن يقسم معه الكان قبل أن يخيطه، فابى

1 - أبي الوليد ابن رشد: **فتاوى ابن رشد**، دار الغرب الإسلامي ،ج**3**، بيروت، لبنان- ص**1367**.

2 - الونشريسي :**المعيارالمعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس**،ج**8**، مطبعة الشافعة،فاس ،ص**166**.

3 - القاضي عبد الرحمان بن قاسم الشعبي (المالقي): **الأحكام**، تقديم وتحقيق طارق الحلوي، دار الغرب الإسلامي،**1992**، ص**321**رقم **460**، والدخن نبات عشبي حبه صغيرا أملس كحب السمسم ينبت برياً ومزروعا(المعجم الوسيط ج**1** ص**285**)

رب الأرض أن يأخذ نصيبه إلا بعد أن يتم مؤنته من الطبخ والخبط، ويقال للعامل عليك مؤنته ونفقته[1].

وقد يكون نصيب المزارع الخمس أو السدس أو العشر، كما وقع لمخمس دخل على قليب، وشرط أن يرد قليباً مثله[2]، ومخامس آخر زارع رجلا سنتين: في الأولى على الخمس وفي الثانية على السدس[3]، وحكم الفقهاء في الصورة الثانية أن هذا مكروه، ويفسخ مالم يقع العمل، فإن قام بالعمل، كان الزرع بينهما على ما جعل واحد منهما من الزريعة، ولزمهما النفقة في العمل على قدر ذلك، ويقوم كراء الأرض وعمل العامل ثم يترادان الفضل بينهما إن كان لأحدهما فضل في الكراء[4]، وكذلك أعطى رجل أرضه على العشر، ولم يجز الفقهاء ذلك، وقالوا: لصاحب الأرض كراء أرضه، وليس له من الزرع شيء[5].

4- ج-إعطاء الأحباس مزارعة:

فقد أعطى إمام الأرض المحبسة على المسجد لشريكين مزارعة ، وزال من الإمامة إبان الزراعة، فلما كان قبل زواله بيسير دفع للشريك الواحد حظه من الزريعة، وزرع الشريك ماكان بيده، وزال من الإمامة، ومكث الحصن مدة من شهر أو نحوه بغير إمام، فزرع الشريك الآخر ماكان بيده من تلك الأرض، وجعل الزريعة من عنده[6].

1 – الونشريسي: **المعيار**، ج**8**- ص**175**.

2 – المالقي: **الأحكام**، ص**310**،رقم**609**.

3 – المالقي: المصدر نفسه، ص **310**،رقم**610**.

4 – المالقي: المصدر نفسه، ص**310** ،رقم**610**.

5 – المالقي: المصدر السابق، ص**310- 311**،رقم**611**.

6 – الونشريسي :**المعيارالمغرب**، ج**8**، ص **141- 142**.

4-د- فسخ المزارعة:

ويجوز فسخ المزارعة بتراضي الطرفين، فقد انعقدت مزارعة بين المتزارعين لأعوام وتشاهدا على ذلك، ثم إن أحدهما رغب في حل الأمر قبل أن يشرعا في العمل، والجواب أن ذلك له، وإن شرعا في حرث أو زريعة لم يكن له ذلك[1].

ثالثا: العوامل المؤثرة على الزراعة في الأندلس:

شهد الغرب الإسلامي حتى نهاية الناصر الموحدي فترة من الرخاء الإقتصادي والإنتعاش المادي نتيجة لما تنتجه الأرض من المزروعات والثمار، إلا أن هذا لم يمنع وجود بعض فترات القحط وارتفاع في الأسعار وقلة في أنواع الطعام وهناك الكثير من العوامل أدت إلى حدوث هذه الأزمات كالكوارث الطبيعية (الزلازل والفيضانات) أو نتيجة للحروب والفتن في البلاد وما يصحب ذلك من تدمير وهلاك للحرث والنسل.

أو من أجل التضير والتهيأ لخوض معارك تستلزم تجنيد ثروات البلاد مما يؤدي إلى قلّة المواد وارتفاع الأسعار والغلاء

أو قد يكون بسبب إهمال بعض الولاة لمهامهم وتقصيرهم في أدوارهم أو بسبب تنوع الفساد الإداري وتفشي ظاهرة الغش والرشوة والإجتكار مما يترتب عنه قلّة في المواد الغذائية.

---

1 - الونشريسي : **المعيارالمغرب**،ج**8**، ص**158**.

الكوارث الطبيعية

شهدت بلاد الأندلس في عهد الموحدين العديد من الكوارث الطبيعية كان لها وقعها على الإنتاج الزراعي، ونقصد بهذه الكوارث النوازل والمسغبات والجوائح التي لا دخل للإنسان فيه ولا طاقة لَهُ به.

وأدت إلى حدوث مجاعات وانتشار الأوبئة والأمراض، بالإضافة إلى ماكانت تتعرض لهُ البلاد من تدمير وخراب مثال ذلك إنحباس المطر على المناطق التي تعتمد على الزراعة أو هطول الأمطار بغزارة أكثر مما تحتاجه الأرض مما يؤدي إلى تلف المحاصيل الزراعية، أو هبوب الرياح الشديدة والعواصف التي تؤدي إلى اقتلاع الأشجار أو الأعاصير والثلوج أو انتشار الجراد الذي يأتي على الأخضر واليابس.

ومما لا شك فيه أن تلك الكوارث الطبيعية تُعدُ من أسباب الأزمات الاقتصادية وتؤثر على حياة الفرد والمجتمع، والمجاعات التي يتعرض لها الإنسان في كل زمان ومكان، لأنها تعصف بالمزروعات والحاصلات وتلحق بها أكثر الضرر ويتبع ذلك ضعف المحصول وقلّته، وبالتالي يحدث نقص في الغذاء بل وندرته في أحيان كثيرة.

المبحث الثاني

الأوضاع الصناعية

تمهيد:

كانت الأندلس منذ الفتح حتى سقوط غرناطة، دائمة الرواج التجاري والصناعي على الرغم من فترات الاضطرابات التي تعتريها من حين لحين. وقد خص ابن خلدون صنائع الأندلس بالفصل الثامن عشر في مقدمته[1]. وتجلى هذا النشاط في صناعة الجلد والخشب والأسلحة وضرب العملة وصناعة الخمور والسكر والزيوت والصابون، والصنائع المعدنية مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص وصناعة الزجاج والزئبق والرخام والكُحْل والكبريت الأحمر . وكانت تصدر من هذه، الصناعات الجلدية والفخارية والزجاجية ومَبْرِيات الخشب وأدوات الموسيقى والمصنوعات المعدنية والبسط والورق والكتان والحرير، ومواد الصباغة مثل الزعفران[2]

هذا وقد تنوع النشاط الاقتصادي في بلاد الأندلس بين زراعة وصّناعة وتعدين، وتبرز قيمة الصّناعة في كونها ترفع من مستوى معيشة الشعوب بمّا تدّره من مال وما توفره من رفاهيّة للإنسّان بمقتنياتها المختلفة. وعلى الرغم من أهمية الصّناعات، إلا أنّ كتب التاريخ العام الأندلسية معظمها لم يوّل الاهتمام بمجال الصّناعة والصّناع، وجاء حديثها عرضيًا ضمن السياق العام، في حين أنّ كتب الحسبة الأندلسية وردت فيها مادة فقهيّة تخص صّناعة هذه البلاد ليس من الزّاوية التّنظيريةّ بل تعداها إلى تصوير واقعها ضمن فضائها، ممّا يفتح لنا أبوابًا من المعرفة التاريخيّة الّتي تعيد للصّناعة دورها الحيّوي في خدمة الإنسّان والرقي بالمجتمع

[1] - ابن خلدون: **المقدمة**، طبعة ثالثة، بيروت، **1967**، ج **1**، ص **716**.

[2] - عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري** ، دار الشروق، **1403**هـ-**1983**، ص**205**.

الأندلسي. لذلك بلغت الصّناعة الأندلسية خلال القرنين (**4-3**ه/**9-10**م) تقدمًا لم تشهده البلاد قبل الفتح الإسلامي. وحظيّت بعض الصّناعات بشهرة في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، فبرع أهلها في استغلال المنتجات الزراعيّة والحيوانيّة والمعدنيّة لوفرتها، وعلى أساسها قامت الدولة بتشجيع ودّعم النّشاط الصّناعي مما ترتب عنه تقدم في مختلف الصّناعات خاصة صناعة الأسلحة وصّناعة السفن، الّتي أقيمت لها العديد من دور الصّناعة في مختلف مدن الأندلس، بالإضافة إلى تقدم الصّناعة النسيجيّة والخزفيّة والعاجيّة والجلديّة وغيرها من الصّناعات الّتي لها دور في الحياة الاقتصادية والاجتماعيّة والثقافيّة .

وسأركز هنا على العوامل التي ساعدت على ذلك:

أولا: عوامل ازدهار الصناعة

1-توافر المواد الخام النباتية:

ساهمت المحاصيل الزراعية في توفير المواد الخام النباتية اللازمة للصناعة، فتوافر القطن في قرى وأحواز أندرش[1]، وألمرية[2]، وفحص إلبيرة[3]، وإشبيلية[4]، ورندة[5]، وتوافرت أشجار التوت في أحواز بسطة[6]، وألمرية وقابس فيقوم من الشجرة" الواحدة منها من الحرير مالا يقوم من خمس شجرات من غيرها[7].

---

1 - الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس** ، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة **2**، **1984**،ص **32** .

2 - ابن بصال: **الفلاحة ، ص 114**.

3 - ابن سعيد: **المغرب في أخبار المغرب** ،ج**2** ،ص**91**.

4 - الحميري:**الروض المعطار**، ص**21**.

5 - ابن سعيد: **المغرب** ،ج**1** ،ص**329**.

6 - الحميري:**الروض المعطار**،ص**44 - 45** ، المقري: **نفح الطيب** ج**1** ،ص**162**.

7 - أبو عبيد البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** (وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك)، تحقيق دوسلان، مطبعة أدولف جردان، الجزائر،**1911**م، ص**17**.

2-اهتمام ولاة الأمر بالصناعة وبناء المصانع

وقد أشار عبد الرحمن بن أبي بكر إلى كثرة المصانع في عهد الناصر الموحدى حتى بلغ عدد مصانع الصابون سبعة وأربعين مصنعا، ومصانع سبك النحاس مائة واثني عشر مصنعا ومصانع الغزل مائة وواحد وأربعين مصنعا وغير ذلك من المصانع[1]. وقد قامت الصناعة في المنطقة على دعامتين أساسيتين

الدعامة الأولى: توفر المواد الخام في البلاد وهذه المواد إما معدنية أو نباتية أو حيوانية:

أ-أما المواد المعدنية فقد تنوعت مادتها وأماكنها ومن هذه المواد معدن الحديد .

ب-أما الدعامة الثانية: في ازدهار الصناعة فهو توفر الأيدي العاملة المدربة على الصناعات المختلفة والتي انتشرت في انحاء البلاد، وقد اكتسب الصناع خبرتهم نتيجة للمهارات و الخبرات التي تجمعت لديهم عبر السنين والتي توارثها الأبناء عن الأجداد بالأضافة إلى أهمية موقع الأندلس.

ج- الاستفادة من خبرات الأندلسيين:حين قامت دولة المرابطين وصار إقليم الأندلس خاضعا لسلطانهم استفاد ولاة الأمر من خبرات أهل الأندلس في الصناعة، فيوسف بن تاشفين حين عمد إلى التوسع في البناء والتعمير استقدم كثيرا من صناع الأندلس[2].

وجرى على نفس السياسة خلفاء الموحدين من استقدام الصناع المهرة إلى العاصمة مراكش وغيرها من المدن المغربية، وذلك للاستفادة بخبراتهم، ومن أمثلة

---

[1] - عبد الرحمان بن أبي بكر(السيوطى): **البستان في أخبار الزمان** ، مخطوط ورقمه **29**، **30**، بدار الكتب المصرية.

[2] - أبي الحسن علي الجزنائي : **زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، اعتناء بيل، مطبعة كابونيل،**1922**، ص**32**، ابن القاضي المكناسي: **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام في مدينة فاس**، القسم الأول، دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط، **1973**م، ص**27**.

ذلك استقدام الخليفة عبد المؤمن الحاج يعيش المالقى والذي أمره بصناعة مقصورة هندسية ميكانيكية بالمسجد الجامع. وقد وضعت المقصورة على حركات هندسية ترفع بها عند خروج الخليفة وتخفض لدخوله[1] كذلك حين عزم الخليفة عبد المؤمن على كسوة مصحف سيدنا عثمان فانه حشد عددا كبيرا من الصناع من العاصمة وسائر بلاد المغرب والأندلس فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والمجلدين وغيرهم[2] ولا شك أن تشجيع ولاة الأمر للصناع الأندلسيين على المجئ إلى البلاد[3] قد أثمر تقدما صناعيا نتيجة الاحتكاك المباشر بين الصناع من البلاد والخبرة الصناعية الوافدة من الأندلس، وحتى في أوقات الحروب وما يصحبها من سفك الدماء فإن الخليفة عبد المؤمن كان حريصا على حياة الصناع حتى لا تصاب الصناعات باضمحلال وقد ظهر ذلك جليا حين استولى عبد المؤمن بن على، على العاصمة مراكش وقضائه على المرابطين، فإنه أبقى على أرواح الصناع وفي ذلك يقول ابن الأثير " لما فتح عبد المؤمن مراكش أقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل، اختفى كثير من أهلها فلما كان بعد سبعة أيام أمر فنودى بأمان من بقي من أهلها فخرجوا فأراد أصحابها المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع وأهل الأسواق من ننتفع به، فتركوا وأمر بإخراج القتلى من البلد فأخرجوهم"[4].

---

[1] - ابن صاحب الصلاة: **تاريخ المن بالامامة** ،ص**139** حاشية.

[2] - المقرى : **نفح الطيب** ،ج**2** ،ص**141** ، السلاوى الناصري: **الاستقصا** (أخبار دول المغرب الأقصى)،ج**2** ص**128**.

[3] - حسن علي حسن :**الحضارة الإسلامية بالأندلس في عصر الموحدين والمرابطين**، دارالعلوم، جامعة القاهرة،الطبعة الاولى **1980**، انظر ص**261**- **262**.

[4] - ابن الاثير: **الكامل** ،ج**8** ، ص**301**.

3-النشاط التجاري والاجتماعي ودوره في رواج منتجات الصناعة الزراعية:

وكان لنشاط التجارة أثره الواضح في رواج منتجات الصناعة الزراعية، حيث توفرت الأسواق الداخلية والخارجية لتصريفها، وأعطى الاستقرار فرصة طيبة للإنتاج والاستهلاك المحلى للسلع المصنعة كل حسب متطلباته من الصناعات الكمالية أو الضرورية، وتتغير هذه الصورة وقت الثورات والفتن والحروب.

وارتبطت الصناعات والحرف بالمدن أكثر منها بالريف فعندما تنشأ مدينة تنظم فيها الأسواق والدكاكين مثلما حدث في المهدية حيث رتب فيها الصناعات، وجعل لكل طبقة سوقا خاصا بهم"[1] .

ثانيا: أهم الصناعات في الأندلس :

1- **المنسوجات:** أنتج الأندلسيون أنواعا عديدة من المنسوجات منها: الحريرية والصوفية والكتانية والقطنية والبسط[2]. أما الحرير فقد تعددت أنواعه، فمنه الحلل الموشية وينسج في قرى ألمرية وقرطبة ومالقة ومرسية[3]، ومنه الديباج المصنوع في ألمرية وقرطبة ومرسية[4]. أما العتابى فاشتهرت به ألمرية، واستخدمت النساء المعاجر الشفافة لتغطية الوجه[5]، وهناك السقلاطون والخمر والأصبهانى والجرجانى[6].

---

[1] - البكري: **المغرب** ، ص**30**، سوادى عبد محمد: **الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية في المغرب** ، ص**336-345**.

[2] - أحمد العبادى: **من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية** ، ص**142** ومابعدها.

[3] - الإدريسي: **صفة المغرب وأرض السودان ومصر الأندلس**، نشر دوزي وديغويه، طبعة ليدن،**1866**م، ص**197**.

[4] - ابن سعيد: **المغرب** ، ج**2** ،ص**193**.

[5] - السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس** ،مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،**1984**م، ص**157**.

[6] - الأهواني: **ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام** ،ج**1**، ص**56**.

ويرجع انتشار صناعة الحرير في الأندلس للعناية بتربية دودة القز ووفرة شجرة التوت التي تتغذى عليها دودة القز، وكانت مدينة ألمرية أكبر مدينة في صناعة الحرير، فبلغ عدد الانوال بها**8500**نول[1]، وعرفت بعض القرى بتجهيز الحرير مثل قرية"نارجه"-من أعمال مالقة- وصنع الديباج بقرية"فنيانة"بالقرب من وادى آش[2].

وكان الصوف أكثر الملابس انتشارا لبرودة الأندلس وخاصة في فصل الشتاء، ومن المنسوجات الصوفية البسط"السجاد" والأوطية واللبود والممطر" فلم يساوهم في أعمال لبودهم أهل بلد على وجه الأرض"[3]، واشتهرت أرياف قونقة وجنجالة وسرقسطة بصناعة الأوطية والبسط، ويصف ابن حوقل[4] صناعة الصوف بالأندلس" ومن الصوف قطع كأحسن مايكون"، ومن المنسوجات الصوفية صوف البحر الذي يحصل من دابة بحرية في شنترين[5]، وصنع من وبر القنلية والسمور معاطف الفراء لتجنب البرد القارس في الشمال، ولذلك صنعت في سرقسطة وطرطوشة[6].

وشاعت صناعة البسط والسجاد من شعر الماعز في الريف الأندلسي مثل أرياف تدمير وبسطة[7] وقرية تنتالة "تعمل بها البسط التي يغالى في ثمنها بالمشرق"[1]

---

[1] - المقرى:**نفح الطيب** ، ج**1** ، ص**162** .

[2] - المقرى:**نفح الطيب** ، ج**1**، ص**178**،الحميرى: **الروض المعطار،ص 144- 143**.

[3] - ابو القاسم محمد ابن علي (ابن حوقل) :**صورة الأرض**،نشر مكتبة دار الحياة ، بيروت، دون تاريخ الطبع، ص**109**.

[4] – ابن حوقل :المصدر نفسه ، ص**109**.

[8] - الاصطخرى: **المسالك والممالك، طبعة لبنان ، 1927م، ص35**، ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج6، تحقيق إحسان عباس،دار صادر ، بيروت، لبنان**، ص**137- 138**.

[6] - محمد ابن أيوب الأندلسي (ابن غالب): **فرحة الأنفس** ، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد**1**، ج**2**، سنة 1955، ص**287- 288**، زكريا بن محمد القزويني:**آثار البلاد وأخبار العباد**، دون تاريخ نشر، **ص245**.

[7] - الحميرى: **الروض المعطار**، ج**9**،ص**113**،ج**1**، ص**187**.

وانتشرت المنسوجات القطنية والكتانية في المناطق التي عرفت بزراعتها مثل جهات إشبيلية وغرناطة ووادى آش وبلنسية وباجة وإلبيرة وبجانة[2]، وفي المناطق الريفية صنع من القطن أقمصة عرفت بالدراريع"[3].

2- الصباغة: ارتبطت الصباغة بالمنسوجات ارتباطا وثيقا، لأن الصباغة آخر مرحلة في صناعة النسيج، وتكون دور الصباغة بعيدة عن المساكن ،وقريبة من الأنهار[4] وتعتمد الصباغة على مجموعة من الألوان التي توافرت خاماتها في الأندلس مثل اللون الأحمر المأخوذ من القرمز، وكان يوجد في قرى إشبيلية وشذونة وبلنسية وطليطلة ولبلة، ويرسل من هذه القرى الى باقي الأندلس[5].

وكان الفلاحون يخرجون لجمع القرمز المتساقط من أشجار البلوط وغيرها في شهري مايو وأغسطس[6]. واختص القرمز بالمنسوجات المشتقة من الانتاج الحيواني. أما المنسوجات الأخرى فاستعملوا لها الطين الأحمر[7]، ولصبغ اللون الأصفر استخدم العصفر المتوفر في قرى لبلة[8]،

---

[1] - المقرى: **نفح الطيب** ، ج**1** ، ص**187**، ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله : **ثلاث رسائل في الحسبة** ، في آداب الحسبة والمحتسب ، تح: ليفي بروفنسال، نشرت تحت عنوان : ثلاث رسائل أندلسية ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، **1955**م، ص**50- 87**.

[2] - سامية مصطفى محمد مسعد: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين** ،ص **128- 131**.

[3] - السقطي: **آداب الحسبة** ، ص**68،63**.

[4] - الونشريسي: **المعيار**، ج**6** ، ص**142**.

[5] - البكرى: **جغرافية الأندلس** ، ص**88-126**، ص **128**.

[6] - عريب بن سعد: **تقويم قرطبة** ، ص**91- 133** ، المقرى:**نفح الطيب** ، ج**1** ،ص**201**.

[7] - ابن سيدة: **المخصص** ، ج**4** ، ص**96**.

[8] - العذرى: **نصوص عن الأندلس** ص**111**، ابن سعيد: **المغرب** ،ج**1** ، ص**339**.

وشاع استخدامه لدى الفئات المترفة[1]، واشتق اللون الأصفر من الزعفران الموجود في قرى طليطلة وباغة وبياسة[2]، ومن مواد الصباغة الموجودة في قرى الأندلس الزنجعر الموجود في قرى فحص البلوط وقرية بسطاطة من أقاليم قرطبة[3]، ومن نباتات الصباغة: الفوة، ويخرج الفلاحون لجمعه في شهر سبتمبر من كل عام[4]. وعرف الأندلس بهذه الأصباغ، " الأصباغ فيه فيما يعانون بدائع بحشائش تختص بالأندلس"[5] وراقب المحتسبون أصحاب هذه الصناعة لمنع الغش فيها[6].

3- السكر: يرجع الفضل للمسلمين في تعريف العالم نبات قصب السكر[7]، ونقل إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري، فزرع في مناطق الجنوب الحارة مثل: غرناطة وإشبيلية ومالقة والمنكب وجليانة[8]، وتوسع المسلمون في زراعته وتصنيع قصب السكر طيلة تاريخهم في الأندلس[9].

---

[1] - ابن حيان: **المقتبس** (ت مكى) ، ص **159** .

[2] - البكرى: **جغرافية الاندلس**، ص**88**.

[3] - ياقوت: **معجم البلدان** ، ج**1** ، ص،**492 – 455**.

[4] - عريب بن سعد:**تقويم قرطبة** ، ص**143**، الزبيدى: **طبقات اللغويين**، ص**77**.

[5] - ابن حوقل: **صورة الارض** ، ص**114**.

[6] – ابو عبد الله محمد المالقي (السقطى):**آداب الحسبة**، نشر ج.س.كولان وإ. ليفي بروفنسال،باريس، **1930**م ص**63**.

[7] - الونشريسي: **المعيار**، ج**6** ، ص**488**.

[8] - الحميرى: **الروض المعطار** ،ص**21- 24**، ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج**3** ،ص**130**.

[9] – سامية مصطفى محمد مسعد: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين**، ص **111**، **112**.

ويحمل قصب السكر إلى المعاصر ، فيعصر بأحجار خاصة، ولها مصانع خاصة أطلق عليها الأندلسيون: المسابك أو المطابخ، وزودت بطواحين لإدارة الآلات البسيطة المستعملة[1].

واستعمل السكر في حياة الأندلسيين كثيرا، وزاد الاستعمال في حياة الأثرياء لكثرة استعمال الحلويات، وكذلك في حياة بقية الأندلسيين في الاحتفالات مثل: الزواج والختان أو الأعياد الدينية والمناسبات السياسية والعسكرية، فتصنع الفطائر والحلوى التي يدخل فيها صناعة السكر[2].

4-الزيوت و الصابون: استخدام الزيت في مجالات حياة الإنسان المختلفة مثل: الأطعمة، وإضاءة البيوت، والمساجد، والحمامات، وسائر المرافق.

واستخراج الزيت من الزيتون والكتان، أما السمسم فكان قليلا، وأهم مناطق إنتاج زيت الزيتون في الريف إقليم الشرف بإشبيلية، فانتج أفضل أنواع زيت الزيتون لتحمله التخزين لفترات طويلة دون أن يتغير له طعم أو رائحة أو لون، ويصدر للبلاد المجاورة[3]، وعصر أيضا في قرية شوذر من أعمال جيانو " تعرف بغدير الزيت لكثرة زيوتها"[4]، كما عصر أيضا في قرى غرناطة[5] وبلنسية[6]

---

[1] – ابن غالب: **فرحة الانفس** ، ص**296** .

[2] – هنرى بيريس: **الشعر الاندلسي في عصر الطوائف** ، ص**278**.

[3] – أحمد بن عمر بن أنس العذرى: **نصوص عن الاندلس** من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع البستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، نشر وتحقيق عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،**1965**م، ص**95- 96** ، الحميرى: **الروض المعطار**، ص**19- 21- 101**.

[4] – العذرى: **نصوص عن الأندلس**،ص **95- 96**، الحميرى: **الروض المعطار**، ص**19-21- 101**.

[5] – أبي محمد ابن ابي بكر (الزهرى): **الجغرافية**، تحقيق محمد الحاج الصادق ، دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دون تاريخ الطبع ، ص**96**، ابن غالب: **فرحة الأنفس**، ص**284**.

[6] – ابن غالب: المصدر السابق، ص**285**.

ولبلة[1] وشريش[2] وقرمونة[3] وميورقة[4] ودانية[5] وقبرة[6] وهناك ثلاثة أنواع من زيت الزيتون تبعا لطرق استخلاصها وهي: زيت الماء، وينتج من طحن بسيط للثمار أو سلقها بالماء الساخن، وهو أفضل أنواع الزيوت ،ثم زيت المعصرة، والنوع الثالث هو النوع المطبوخ[7]، ومن الزيوت الأخرى:

زيت السمسم وزيت الجوز واللوز والخروع[8].

وامتلك الأندلسيون كثيرا من معاصر الزيوت التي تدار بقوة تيار الماء أو بالدواب، ويمر عصر الزيت بعدة مراحل أوضحتها المصادر، ويشرف المحتسب على صناعة الزيوت، فيمنع فيها الغش والتدليس "ويمنع معاصر الزيت أن يعصر فيها زريعة الكتان لئلا تعلق رائحته بالزيت"[9].

---

[1] – ابن غالب: المصدر نفسه ، ص**292**.

[2] – الادريسي: **صفة المغرب** ، ص**206**.

[3] – ابن غالب: **فرحة الأنفس** ، ص**293**.

[4] – الزهري: **الجغرافية** ،ص**129**.

[5] – ابن غالب : المصدر السابق، ص**285**.

[6] – ابن غالب: **المصدر نفسه** ، ص**282**.

[7] – ابن عبد الرؤوف: **ثلاث رسائل في الحسبة** ، ص**105**.

[8]– عبد الملك بن حبيب: **مختصر في الطب** ، ص**61**.

[9] – السقطي: **آداب الحسبة**، ص **68**.

وارتبطت صناعة الصابون بالزيت، وازدهرت معه، فالفقيه عمر بن حفص الثقفى اتخذ أعوانا لعمل الصابون على باب داره[1]، ويبدو أنه لم يكن سوق خاص بهم.

5 – الورق: انتقلت صناعة الورق إلى المسلمين في القرن الثاني الهجري من الصين[2]، وصناعة الورق من توابع العمران واتساع الدول، حيث تكثر المؤلفات العلمية والدواوين الحكومية، وعرف الأندلسيون صناعة الورق منذ القرن الرابع الهجرى، ومهروا في هذه الصناعة حتى كانوا أحرف الناس في صناعة الوراقة وازدادت هذه الصناعة في الأندلس مع النشاط العلمي الواسع الذي شمل مراكز العمران الأندلسية مدنا وقرى، وتعد مدينة شاطبة أشهر مدن الأندلس صناعة لأجود أنواع الورق، ويعم المشارق والمغارب[3]، ومنها غرب أوربا وعرفتها أيضا مدن أشبيلية ودانية وقرطبة وألمرية ومرسية وغرناطة وسرقسطة[4]، ويصنع الورق من معجون الكتان والقنب الذي ينقع في ماء الجير ثم يمرر في طاحونة" رحي" مع استخدام الغراء أو النشا ومزجها مع المعجون، ويسوى بعد ذلك ويلمس باستخدام القالب "القرميد" حتى يصل إلى لوح الورق المناسب ثم يجفف[5]. وارتبط بصناعة الوراقة صناعة التجليد وحفظ الكتب وعرفت باسم التسفير، وألف فيها الكتب، ويحدث

---

[1] – القاضى عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، ج**5**، تحقيق أحمد بكير محمود ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت، ص**171**.

[2] - الونشريسي: **المعيار**، ج**6** ، ص**185**.

[3] - حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية**، ج**1**، **1964**م، تونس، ص**207- 208**.

4 – عبد الله المراكشي: **الذيل والتكملة** ، لكتابى الموصول والصلة،ج**1**، 3 أسفار، السفر الأول تحقيق محمد بن شريفة، والسفران الرابع والخامس تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، **1964- 1965**، السفر الأول بدون تاريخ، ص**809- 215**، **الذيل والتكملة**، ج**1** ،ص**30- 322**، المقرى: **نفح الطيب** ،ج**3** – ص**533**.

5 – الجرسيفى: **رسالة في الحسبة** ، ص**124**.

في هذه الصناعة طرق التسوية والحبك واستخدام الغراء وحماية الكتب من الأرضة[1]، وارتبط بهذه الصناعة نسخ المخطوطات، وكان هناك مشاهير الخطاطين الذي يجلسون في أماكن الوراقة لنسخ الكتب.

6– الصناعات الجلدية: ترتبط هذه الصناعة بالقطاع الرعوى الذى اتسع نطاقه في المجتمع الريفي والبدوي، واستعمل الجلد في الملابس الجلدية العسيرة الصنع[2]، وصنعت كذلك الأحذية للرجال والنساء[3]، وراقب المحتسب هذه الصناعة، ومنع صناع النعال عن تغليظ حواشى النعال قبل خرزها[4]، ومن الصناعات الجلدية أيضا: البساط المفروش للطعام، والفرش الناعمة للنوم[5]، وتفنن أحد الصناع فصنع قبة من الجلد بلغت تكلفتها **500**دينار[6]، وصنعت مقابض السيوف من الجلد والرقاع الجلدية المستخدمة في الكتابة في القرون الثلاثة الأولى[7]. واتصل بهذه الصناعة أعمال الرقاقين الذين يهيئون الجلود ويرتقونها، والخرازين والإسكافيين ممن يخرزون النعال والخفاف وغيرها من الصناعات[8].

---

1 – بكر بن إبراهيم الإشبيلى: **التيسير في صناعة التسفير**(نشر عبد الله كانون ، مجلة العهد المصرى،مدريد **1959**: **1960**) ص**10**- **22**- **24**- **17**.

2 – ابن حيان :**المقتبس** ،ص**21**.

3 – خالد البكر: **النشاط الاقتصادى في الأندلس** ،ص**193**.

4 – ابن عبد الرؤوف: **ثلاث رسائل في الحسبة**، ص**103**.

5 – المقرى :**نفح الطيب** ،ج**3** ، ص**128**، أبو الخطاب ابن دحية: **المطرب في أشعار أهل المغرب**، تحقيق ابراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة، سنة **1958**م،ص**137**.

6 – محمد ابن الحسن (الزبيدى): **طبقات النحويين واللغويين** ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف، **1984**م،ص**269**.

7 – أبو عبد الله محمد ابن الحارث(الخشني): **قضاة قرطبة** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة **1966**م ،ص**69** ، القاضي عياض :**ترتيب المدارك**، ج**5** ،ص**193**.

8 – المقرى:**نفح الطيب** ،ج**3** ، ص**330**.

وتركزت الصناعات الجلدية في بعض المدن والقرى مثل باجة التي كان لمائها خاصية في دبغ الجلود[1]، وعرفت لبلة بالأديم الأحمر[2]، واختصت مالقة بصناعة الجلود[3]، وكذلك في قرطبة وغرناطة وطليطلة[4]، وأقيمت صناعة الجلود ودبغها في أماكن بعيدة أو خارج المدن حتى لا تؤذى رائحتها السكان[5].

ويراقب المحتسب العاملين في الصناعات الجلدية فيمنع الجلادين من بيع جلود الميتة نية، وتكون نعال الأقراق من الجلد البقرى المبلول بالغراء، ولا يخلط جلد العنز بجلد الشاه في قرق أو جراب[6]، والإهمال في هذه الصناعات تجعل الناس تنقم على الصناع وتتهمهم بانحلال أعمالهم سريعاً.

7- الصناعات الخشبية:

توفرت الأخشاب في الأندلس في طرطوشة، فكان بها غابات الصنوبر بلونها الأحمر ولا يتغير خشبها، وفي مدينة قلصة من أعمال مرسية، فتقطع بها الأخشاب وتحمل في النهر إلى بلنسية ودانية[7]، وتوجد الأخشاب أيضا في يابسة وشنترية الغرب[8].

---

1 - ابن غالب : **فرحة الأنفس** ، ص**290**.

2 - ابن غالب :المصدر نفسه ، ص**292**.

3 - الملك المؤيد صاحب حماة (أبو الفداء): **تقويم البلدان المعتمدية** ، عني بتصحيحه رينبودو البارون ماك كوين ، دار الطباعة السلطانية، باريس **1840**م،ص**167**.

4 - ليفي بروفنسال: **الإسلام في المغرب و الأندلس**،تعريب عبد العزيز سالم وآخرون، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص**66**.

5 - العدري : **نصوص عن الأندلس**، ص**122**، برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم (ابن فرحون): **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، ج**1**، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، السعودية،**1423**هـ - **2003**م ،ص**255**.

6 -السقطى:**آداب الحسبة** ،ص**63- 64** ابن عبد الرؤوف: **رسالة الحسبة** ، ص**103**.

7 - الإدريس: **صفة المغرب** ، ص**190**، الحميرى: **الروض المعطار** ،ص**391**.

8 - الحميرى: **الروض المعطار**، ص**198**.

ودخلت الأخشاب في العديد من الصناعات مثل صناعة السفن والمراكب في دور الصناعة الكثيرة في الأندلس مثل دار صناعة: إشبيلية وألمرية وطرطوشة والجزيرة الخضراء ودانية وشلب والمنكب وبلنسية وجزيرة طريف وقصر أبي دانس،ولقنت ومالقة وغيرها[1]، وراقب المحتسب هذه الصناعة بشكل دقيق، فيعرف ما يحتاج بناء السفن من أخشاب ومسامير وقار، رغم تعدد أنواع السفن من: أغربة وشوانى وحراقات وطرائد[2].

وصنعت بعض آلات الحرب من الخشب مثل القسى والتراس والعردات والمنجنيق[3]، والفؤوس والسهام والنشاب وسلالم الحصار. وصنعت منها كذلك أدوات البناء مثل: الأبواب والشبابيك والسمادات والشراجيب" المشربيات"، وصنع منها أثاث البيوت مثل: الأسرة والصناديق والأرائك والأطباق، وأقيمت هذه الصناعات في ألمرية ومرسية وحصن قيشاطة، وحصن قاعة وجبل شقورة[4]، وصنع من الخشب أيضا آلات الموسيقى والتحف، وتزدهر هذه الصناعات مع النهضات العمرانية والأمن، وهذا ماشهده الأندلس معظم هذه الفترة.

واستعمل الفلاح الأندلسى الأخشاب في معظم شؤونه، فتصنع أغلب آلاته الزراعية من الخشب مثل: المجرد"يشبه المحراث" ويصنع من خشب البلوط[5]، والمنجليق من الأدوات الزراعية المصنوعة من الخشب لتسوية الأرض[6]، ومن آلات

1 – هشام أبو رميلة: **نظم الحكم في الأندلس** ، ص**398** ومابعدها ، السيد عبد العزيز سالم والعبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط** ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ، دون تاريخ نشر،ج**1** ، ص**130**.

2 – السقطي: **آداب الحسبة** ،ص**72** ،السيد سالم والعبادى: **تاريخ البحرية الإسلامية** ،ج**1** ، ص**132**.

3 – ابن الخطيب:**الإحاطة** ،ج**2** ، ص**140**.

4 –الإدريسي:**صفة المغرب**، ص**195- 203**.

5 – ابن العوام الإشبيلي: **كتاب الفلاحة** ، اعتناء بانكوري ، مدريد،**1802**، ج**2** ،ص**457- 459**.

6 – مؤلف مجهول: **منظومة في الفلاحة الاندلسية**، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم**28**، ص **8**.

الري الناعورة والسانية والدولاب والخطارة والدالية، وتعتبر الأخشاب عماد هذه الآلات، وكذلك الأرحاء والطواحين، وأيضا أدوات العصى والمزارب لدرس القمح والأرز[1]، وكذا أدوات الفلاح المنزلية مثل: الملاعق و المهارس والمغارف وغيرها[2].

8-الصناعات المعدنية:

كانت بسطة وألمرية داري "صنعة الأندلس" في العصر المرابطي[3] مع وجود مراكز أخرى بدأت تأخذ الدور الرئيسي في العصر الموحدي بعد أن انهارت صناعة ألمرية خلال فترة الإنتقال[4]، فتخصصت هذه المراكز بألوان من الصناعات المعدنية مع وجود صناعة الأسلحة الثقيلة في كل منها[5] .

وقد اختصت مرسية ومالقة بصناعة آلات الصفر والنحاس والحديد من سكاكين ومقصات مذهبة وجميع ما يحتاجه المنزل من أوان خاصة استعداداً لعرس، ويبدو أن مرسية كانت أكثر إنتاجا، ومنها تصدر هذه الصناعات الى البلاد الشرقية

1 - مؤلف مجهول: **منظومة في الفلاحة الأندلسية**، ص**10- 71- 73- 74**.

2 - مؤلف مجهول :**كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين** ، نشر هويثي ميراندا ، من صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد**9**، **1961- 1962**م، ص**84**، الحميرى: **الروض المعطار** ، ص**165**.

3 - الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص**197- 202**، الزهري: **الجغرافية** ، ص**101**، المقري: **نفح الطيب** ، ج**1**، ص**163**، الحميري: **الروض المعطار**، ص**184**.

4 - أحمد موسى: **النشاط الإقتصادي** ، ص**250**.

5 - المقري: **نفح الطيب** ، ج**1**، ص**202**.

والغربية[1] ؛ وتميزت إشبيلية بصناعة الأسلحة[2] ووشقة بالدروع والبيضات التي تنسب إليها[3].

ولئن بدأت هذه الصناعات فيه خلال العصر المرابطي، فقد بلغت كامل ازدهارها في العصر الموحدي، خاصة أن المعادن المكتشفة قد ساعدت على مضاعفة الإنتاج .

وهناك ثلاثة مجالات جعلت إنتاج المرابطين ثم الموحدين من الصناعات المعدنية يتكاثف وصنعتها تتقن ومراكزها تنتشر، وهي المعمار والأسلحة والسكة.

إن المعمار الذي بدأت العناية به مع المرابطين وبلغ شأوا عظيما مع الموحدين احتاج للصناعات المعدنية في البناء نفسه، – وفي تأثيث المساجد والقصور وتزينها، وفيما لحق ذلك من طلب لأدوات الترف. وقد سبقت الإشارة الى تطعيم المصنوعات الخشبية بالمعادن وتذهيبها وتذهيب النسيج والكتب فضلا عن اتخاذ الحلي وتذهيب الأواني الفخارية حسبما سيوضح فيمايلي، ولعل هذه المتطلبات هي التي دفعت الى تلوين المعادن. ةقد كان الصناع يستعملون التوتيا ليصير النحاس أخضر[4]. ويوضح تقدم الصناعة المعدنية في مجال المعمار استخدام الحديد والرصاص

---

[1] – راجع عن مرسية رواية ابن سعيد في **نفح الطيب** ، ج**1**، ص **201– 202**، وروايته عن مالقة في **مسالك الأبصار**،(أيا صوفيا) ،ج**4**، ص**61**، القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج**5**، ص**219**.

[2] – المقري: **نفح الطيب** ، ج**1**، ص**201– 202**، ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج**1**، ص**457– 458**.

[3] – الزهري: **الجغرافية**، ص**82**.

[4] – المراكشي: **المعجب**، ص**363**.

أنابيب لجر المياه الى المدن أو توزيعها فيها، واتخاذ الصفر المزخرف شبابيك[1] وثريات لتزيين المساجد[2].

ولعل خير ما يصور تقدم الصناعة المعدنية في الفترة الموحدية أن تفافيح صومعة إشبيلية الأربع قد موهت بسبعة آلاف مثقال يعقوبية كبار، ورفعت كل واحدة على عمود حديدي يزن أربعين ربعا يمتد عاليا غير متأثر بزعازع الريح، والأمطار[3].

والراجح أن صناعة الأسلحة كانت أكثر تقدما خلال القرن الخامس في البلاد الأندلسية عنها في البلاد الغربية والشرقية. وكانت الأسلحة في هذه خفيفة قصيرة بينما في تلك ثقيلة طويلة[4].

وضاعف الموحدون إنتاجها في عاصمة كل ولاية[5].

9-الصناعات الزجاجية:

كانت المرية ومرسية ومالقة ومناطق صناعة الزجاج في القرن السادس في البلاد الأندلسية، ثم تفردت بها مرسية ومالقة بعد خراب المرية[6]. وانتقلت هذه

---

[1] – انظر وصف جامع المنصور في تامراكش في ابن سعيد: **مسالك الأبصار**، ج**4**، ص**49**.

[2] – مثال ذلك ثريتا جامع الأندلسيين في فاس والجامع الأعظم في مكناس(راجع عنهما الجزنائي: **زهرة الآس** ، ص59، المنوني : **العلوم والآداب**، ص**257**.

[3] – ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة** ، ص**483- 484**، ابن أبي زرع : **روض القرطاس**، ص**151** ، وفي رواية ابن أبي زرع" بمائة ألف دينار".

[4] – انظر مقارنة ابن سعيد بين النوعين في **مسالك الأبصار** (آيا صوفيا) ، ج**4**، ص**61**، القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج**5**، ص**219**.

[5] – عزالدين أحمد موسى: **النشاط الإقتصادي**، ص**252**.

[6] - الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص**197**.

الصناعة في العصر الموحدي الى البلاد الشرقية والغربية، فاشتهرت في الأولى قفصة[1]، وربما كان لاستخراج زجاج نفزاوة أثر في تطور صناعة قفصة هذه.

10-الهندسة المعمارية:

تتجلى الهندسة المعمارية في القرن السادس في توسيع المدن واستحداثها وتشييد الأسوار وبناء القلاع والمساجد والقصور وإقامة الجسور ولا تسعف المصادر على توضيح ما كانت عليه الهندسة المعمارية في القرن السادس في البلاد الشرقية في ظل صنهاجة الشرق. غير أن المعلومات تتوفر بصورة خاصة عن عصري المرابطين والموحدين في البلاد الغربية، وهي تصور العناية الكبرى بالبلاد الغربية وجنوب الأندلس، وتعكس اهتمام الموحدين أكثر من اهتمام المرابطين بالعمار، ولكن الدارس يلمح أن ما حدث في الفترة الموحدية ما هو إلا تطوير لما بدأه المرابطون.

ولعل خير ما يصور تطور الهندسة المعمارية كثرة المباني التي شيدت وبالإضافة لما سبقة الإشارة إليه استحدث الموحدون مدينة في جبل طارق[2].

ويتجلى تطور صنعة المعمار هذه في أربعة أشياء: ضخامة البناء وسرعة الإنجاز وحسن التخطيط والمهارة الفنية[3].

[1] – مجهول:**الأستبصار في عجائب الأمصار**:نشره وعلق عليه سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، **1958**، ص**154**.

[2] – **رسائل موحدية**، تحقيق ودراسة : أحمد عزاوي، ص**95**، ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص**137- 140- 143- 171** .

[3] – عز الدين موسى: **النشاط الإقتصادي**، ص**257**.

المبحث الثالث

النشاط التجاري

تمهيد:

لقد كان قدر بلاد الأندلس أن تكون مسرحاً لعديد من الأحداث التي تغير نظامها وسياستها وينجم عن هذا التغير تأثير على عدة مجالات اجتماعية وثقافية واقتصادية فنتيجة الفتن أصيبت الأندلس عند قيام أي دولة إلى انتكاسة ناهيك عن المشاكل والأزمات الطبيعية والجوائح من جفاف وقحط فيضطر الفلاحون الى هجرة مزارعهم بسبب الجفاف وتوالي الفتن وشُلت الصناعة بشكل عام وعمّ الكساد للبلاد لقلة الطلب على المعروض من المصنوعات والمنتوجات وشاعت البطالة، واشتدت المجاعة حتى اضطر أهلها إلى أكل الدواب، وعلى أهلها شدة عظيمة[1] .

وقد وصف الإدريسي مدينة قرطبة في هذه الفترة بقوله: "ومدينة قرطبة في حين تأليفنا لهذا الكتاب طحنتها رحى الفتنة، وغيرها حلول المصائب والأحداث، مع اتصال الشدائد على أهلها"[2]، كما أشار صاحب المعجب إلى تدهور الأحوال بسبب فتنة الموحدين فأتصلت الحروب، وغلت الأسعار وتوالت الفتن وعم الجدب وقلت المجابي وكثر على الإسلام المحن بالعدوتين"[3] .

وبسبب هذه الأحداث اشتد الغلاء، وكثرت المجاعة، وانتشر الوباء بالناس وكثر الموتى، واختفت الحبوب لقلتها، وارتفعت أسعارها حتى لقد بلغ مد القمح خمسى عشر ديناراً[4]، والربع من الدقيق بمثقال حشمي[1].

[1] – ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب**، ص43.

[2] – الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص579، الحميري: **الروض المعطار**، ص458.

[3] - عبد اللطيف دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين** ، ص195.

[4] – ابن القطان : **نظم الجمان**، ص 197.

وزاد من عظم الخطب غارات النصارى المدمرة على المدن والقرى، وحرق أسواقها[2]، واستيلائهم على أهم المدن الصناعية بالأندلس وأهم موانيها وهي مدينة المرية وطرطوشة ولاردة مكنسة وغيرها من المدن الصناعية الكبرى بالأندلس[3].

أولا: عوامل ازدهار التجارة

بعد مجيء الموحدين إلى السلطة طرأت مجموعة من التغيرات المهمة، شملت مختلف مجالات الحياة، السياسية، والاجتماعية والاقتصادية، وحتى الحياة الفكرية والثقافية، وإن كانت هذه المجالات متفاوتة الحظ في هذا الانتعاش والتطور الطارئ عليها، والتجارة بصفتها مجالا مهما من مجالات القطاع الاقتصادي كونها الواجهة التي تعكس مدى تطور الدولة في المجالات الاقتصادية الأخرى كالفلاحة والصناعة وتربية الحيوانات النفعية.

إن هذا التطور الذي وصلت إليه التجارة في الفترة الموحدية لم يأت من محض الفراغ، وإنما يعزى إلى مجموعة من التدابير التي اتخذتها الدولة من أجل النهوض بالأنشطة الاقتصادية بصفة عامة، والنشاط التجارى بصفة خاصة، ويمكن أن نجمل هذه العوامل فيمايلي:

1 – استتباب الأمن وخضوع الغرب الإسلامي للموحدين:

بعد سيطرة الموحدين على زمام الأمور في بلاد المغرب والعدوة الأندلسية، تمثلت الأوضاع السياسية إلى الاستقرار، حيث تم توحيد البلاد تحت سلطة واحدة، والقضاء على كل المعارضين والطامحين في المغرب والأندلس، بدخول ابن همشك في

---

[1] – ابن عذاري: **البيان المغرب**، ص **16**.

[2] – ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج**4**، ص**345- 346**.

[3] – عبد اللطيف دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، ص **214**.

طاعة الموحدين، والقضاء على ثورة ابن مردنيش[1]. وهو أمر أدى إلى رجوع الأنشطة الاقتصادية بصفة عامة، والنشاط التجارى بصفة خاصة إلى الاستقرار والازدهار، بعد استئناف نشاط المسالك التجارية، وتوسع نطاق المبادلات التجارية.

2 – تشجيع الدولة للنشاط التجاري:

وضعت الدولة الموحدية مجموعة من التنظيمات والتعليمات الصارمة التي تقضي بحماية النشاط التجاري والعاملين فيه من كل أنواع الاعتداء، وتهدف إلى تشجيع الحركة التجارية وضبط طرق التعامل فيها.

وتعد رسالة عبد المؤمن بن علي التي أرسلها إلى العدوة الأندلسية، مخاطبا فيها الطلبة والأشياخ والأعيان وعامة المجتمع، والتي قضى فيها بحماية التجار وتأمينهم، وتوعد فيها بقتل كل من يخالف أوامره[2]، أو يعتدي على التجار ويقطع الطرق[3]، من أهم العوامل التي مهدت الطريق إلى ازدهار النشاط التجارى، وليس هذا فحسب؛ بل لم تتوان الحكومة في شن حملات على بعض القبائل التي تعتدى على التجار[4]. الأمر الذي حد من ظاهرة قطع الطرق ولم تظهر بصفة بارزة إلا بعد القرن السادس[5].

[1] - ابن الاثير الجزري، محمد بن محمد بن عبد الكريم، **الكامل في التاريخ** ،ج**9**، ص**347– 348**، المقرى: **نفح الطيب**، ج**4**، ص**461–462**، الحميرى:**الروض المعطار** ، ص**538**، الشريف الإدريسي:**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ص **562- 563**. المراكشي:**المعجب**، ص **241**.

2 – احمد عزاوي، **رسائل موحدية**(مجموعة جديدة)، ط**1**، **1416**هـ –**1995**م، رسالة رقم: **6**،ص :**61- 71**.

3 – ابن صاحب الصلاة: **المن بالامامة** ، ص **367- 368**، الحميري: **الروض المعطار**، ص**67**.

4 – الحميرى:المصدر نفسه، **ص 67**.

5– عز الدين موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص **271** هامش .

كما أمر الخليفة في الرسالة نفسها الأمناء أن يسمحوا للتجار الغرباء بالعودة إلى بلادهم لعنارتها ، وأن يسمحوا للتجار المتجولين في البلاد للتجارة بالدخول إلى البلاد، وأنكر عليهم نزع أموال هؤلاء التجار دون مبرر[1].

وفي نفس السياق المشجع للنشاط التجاري؛ إقدام الخليفة عبد المؤمن على إصدار قرار يمنع كليا فرض المكس[2] والمغارم على التجار حال دخولهم الأسواق، ويتوعد كل من"يتولاه من البشر أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر بمحو...أثره، عقابا يبقى عظة لمن اتعظ"[3].

كما تتجلى سياسة الموحدين المشجعة للتجار في القروض التي كانت تمنحها للطلبة و الفقراء، حيث قدم الخليفة عبد المؤمن بن علي قروضا لهؤلاء يتجرون به ثم يعملون على رد السلف بعد ذلك[4]، فبلغ مقدار القرض لكل واحد من طلبه الحضر إلى ألف دينار، أعملوها في التجارة وكانت سببا في ثراهم وغناهم[5].

ومساهمة في تنشيط التجارة، عمل الخلفاء الموحدون على تشييد الأسواق، فقد أمر المنصو عام **592**هـ ببناء اشبيلية بموضع معروف بسويقة المسمار، فابتنيت بأوثق عاليا[6]، حيث كانت هذه الأسواق والمدن تزود بالقلاع والثكنات والمرافق الأساسية كالمساجد والفنادق.

---

1 – احمد عزاوي: **رسائل موحدية**، ص **65**.

2 –المكس: الضريبة التي تؤدى على السلع. أو كما يقول الونشريسي:" أخذ الفوائد في الأبواب والقاعات ، واكتراء الأسواق والأرحاب" الونشريسي: **المعيار المعرب**، ج**2**،ص **492**.

3 – احمد عزاوي: **رسائل موحدية**، ص **65**. ابن القطان الكتامي: **نظم الجمان في ترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي ، المطبعة المهدية، دار الغرب الإسلامي ،الطبعة الثالثة،1410هـ – 1990م، ص **193**- **194**.

4 – ابن القطان: المصدر نفسه ، ص **138**. ابن عذارى، **البيان المغرب(الموحدين)**، ص **81**.

5 – ابن القطان:المصدر السابق: ص**138**. احمد عزاوي: المصدر السابق، ص**65**.

6 - ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص **396**.

وإضافة إلى ما ذكر من تسهيلات وتنظيمات لتشجيع التجارة؛ كان الخلفاء الموحدون يعملون على تمهيد الطرق، وحفر الآبار على مراحلها، كما أقاموا الجسور على الأودية لتسهيل حركة الناس والتجار والجيوش[1]، دون قبالة ولا إجارة عمالة[2]. إضافة إلى إنشاء الفنادق في المناطق المنعزلة قليلة السكان[3]، أوفي المناطق ذات الجالية الأجنبية الكبيرة كالمناطق الساحلية.

إن رسالة العدل الصادرة عن الخليفة عبد المؤمن بن علي والتي شملت هذه التنظيمات عملت على ضمان العمل التجاري بسبب انتشار الأمن والاستقرار، وأعطت دفعا قويا لتنشيط المبادلات التجارية، بالإضافة إلى مساهمتها في إزالة العراقيل الأخرى التي تؤثر على الحركة التجارية سلبا كالأنواع المختلفة للضرائب والمكس التي كانت تفرض على التجارة وتحد من نشاطها.

3 – تطور وتقدم القطاع الفلاحي والصناعي:

يعتبر الانتعاش الذي عرفه قطاعي الفلاحة والصناعة وما تعلق بذلك من وفرة الإنتاج في القطاعين من أهم العوامل التي أدت إلى تطور التجارة الداخلية وكثافة المبادلات والتسويق، حيث أدت التقنيات المستحدثة في القطاع الفلاحي– خاصة ما تعلق بجانب السقي– إلى تشجيع هذا القطاع، وانتشرت المزروعات الصناعية، المساهمة في توفير المادة الأولية للمواد المصنة، هذه الأخيرة التي تمثل أهم السلع المشكلة لمنظومة التبادل التجاري[4].

---

[1] – ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص **370**، ابن أبي زرع: **روض القرطاس** (الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس)، اعتناء كارل بوجن تورن بورغ أو بسالة، **1843– 1846** م، ص **211**.

[2] – عز الدين موسى، **النشاط الاقتصادي**، ص **271**.

[3] – يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**،، ترجمة محمد عبد الله عنان ، ج**2**، الطبعة الثانية، القاهرة، سنة **1377**هـ – **1958**م ،ص **253**.

[4] – بغداد غربي: **العلاقات التجارية للدولة الموحدية**، ص**65**– **66**.

إن وفرة الإنتاج في القطاعين الفلاحي والصناعي ساهم في تحقيق اكتفاء داخلي دعا إلى ضرورة ربط علاقات تجارية مع الدول المجاورة كدول أوربا والمدن الايطالية وبلاد السودان، ولم يكن من نتائج تنوع الإنتاج وكثرته التحفيز على إنشاء حركة تجارية خارجية فحسب، بل دعا في الداخل إلى ظهور نموذج من الاستهلاك المتسم بشيء من الأبهة والتحضر من خلال تنافس وتسابق الفئات الغنية والحاكمة على اقتناء المصنوعات الثمينة والنفيسة التي تستخدم في مجال العمارة[1]، من المصنوعات الخشبية المزخرفة، وأواني الزينة المذهبة، وغيرها من المستلزمات، الأمر الذي ساعد على وجود نهضة عمرانية فائقة كانت من عوامل تنشيط الحركة الصناعية ومن ثم التجارية؛ من خلال اقتناء هذه المواد المصنعة التي تلعب دورا هاما في إنشاء الهياكل المعمارية.

4 – شساعة رقعة الدولة وخضوعها لسلطة الموحدين سياسيا:

انضواء أقطار الغرب الإسلامي تحت سلطة سياسية واحدة من منجزات الموحدين الذي لم تفلح في تحقيقه من سبقها من الكيانات السياسية الأخرى؛ كالعبيديين والمرابطين، الأمر الذي جعل مجال السيادة الموحدية يتسع، وهو عامل محفز على توسع مجال المبادلات التجارية الداخلية، حيث توطدت العلاقات بين المغرب والأندلس، وخاصة في النصف الثاني من القرن السادس؛ بسبب التسهيلات التي حضي بها تجار المنطقتين، فنشطت عملية التبادل التجاري بين المغرب والأندلس، وتوفرت المواد المسوقة من كلا البلدين في البلد الأخر[2].

---

[1] - محمد المنوني، **حضارة الموحدين** ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى ، سنة **1989**م ،ص **159- 160**، ص **163- 169**.

[2] - الحميري: **الروض المعطار**، ص**59- 337**. **الاستبصار**، ص **212** .ابن القطان: **نظم الجمان**، ص **238**. المقري،**نفح الطيب**،ج**1**، ص **159- 201- 202** ، ابن سعيد، **المغرب**، ج**1**، ص **403**،ج**2**، ص **246**.

ثانيا: الأسواق محطة المبادلات التجارية

تشير المصادر باختلاف موضوعاتها إلى هذه المؤسسة التجارية، فهي المكان الأساسي لممارسة التبادل التجاري، لذلك لا يخلوا مصدر من المصادر السياسية،أو الجغرافية، أو كتب النوازل والحسبة من الحديث عن هذه المؤسسة، وقوانين تنظيمها، ومهام المشرفين عليها، وما يقوم فيها من أنشطة تجارية،وتجسيد ما يقع فيها من مخالافات ،وما يجب اتخاذه من طرف أولي الأمر لمواجهة هذه المخالافات وإصلاح هذه المؤسسة التجارية. وكل هذا ينم عن مكانة هذه المؤسسة في مجال النشاط التجاري الموحدي.

1- أنواعها:

يمكن من خلال استقراء المصادر أن نميز بين ثلاثة أنواع من الأسواق التي كانت تقام:

أ-الأسواق الموسمية:

وهي أسواق تتعلق بمناسبات ما تغفل ذكرها المصادر، إلا ماكان متعلقا بحركة الجيوش، وأماكن تواجدها، باعتبار أن الجيوش تحتاج في حركتها إلى مؤن كثيرة لا تستطيع اصطحابها معها طيلة الحركة العسكرية، لذلك كان التجار يقيمون الأسواق بجانب المحلات العسكرية[1]، نظرا لما يجدونه من أرباح نظير ارتفاع الأسعار في مثل هذه المواضع، وإن كان هذا النمط قليلا في الفترة الموحدية بسبب حرص الموحدين على توفير الأقوات في محلاتهم[2]. ويشير الإدريسي إلى وجود هذه الأسواق

[1] - ابن عذارى: **البيان المغرب**،ج4، ص 35- 38- 39.

[2] - ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**: ص 441- 442.

في حصن أشير من أعمال مالقة،وفي حصن القبذان وحصن بكيران قريبا من باغة من أعمال جيان[1].

ب- الأسواق الأسبوعية:

يمكن أن نطلق على هذه الأسواق اسم أسواق البادية، كون هذه التجمعات التجارية غالبا ماتختص بالمناطق النائية، يلتقي فيها سكان المناطق المتاخمة لمقر السوق، تسمى هذه الأسواق غالبا بأسماء الأيام التي تقام فيها.

والأمر نفسه في الأندلس ،حيث كانت تقام هذه الأسواق في الأرباض، خارج أسوار المدن، وهي جامعة لعدة أصناف من البضائع، يتوافد إليها التجار والعامة من أماكن متفرقة، ومن تلك الأسواق؛ سوق الثلاثاء في شؤذر بناحية جيان، وسوق الخميس بمدينة قبرة، من نواحي قرطبة، وآخر في نفس اليوم بمدينة قرمونة من ناحية اشبيلية، وبلورقة، وبيانة كذلك[2].

والظاهر أن هذه الأسواق لم تشتهر بإسم غير الأيام التي تقام فيها، حيث لا يوجد في المصادر نسبة سوق إلى نسبة أخرى غير أيام الأسبوع.

ج-أسواق المدن:

تعتبر مؤسسة السوق من بين المرافق الأساسية التي كانت تدرج في مخطط المدينة العام قبل إنشائها، حالها مثل المرافق الأخرى المتعلقة به،كالفنادق، والمخازن، ومحلات الوكلاء والسامسرة، وبالقرب منها توجد إسطبلات تحتوي وسائل نقل

[1] - الإدريسي:**نزهة المشتاق**،ص **570- 571**.

[2] - الحميري:**الروض المعطار**،ص **119- 453- 461- 512**. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، نشر:إليفي بروفنسال،دار الجليل، بيروت،لبنان،ط**2**، **1408**هـ/**1988**م، ص **149- 159**.

البضائع و المسافرين، وعلى هذا درجت مخططات المدن الإسلامية في العصر الوسيط[1].

ولقد اعتنى الموحدون بتشييد هذه الأسواق اعتناء فائقا، بل كانت تعبر عن نمط العمارة الراقية في العهد الموحدي، فقد ذكر ابن صاحب الصلاة في وصفه للأسواق التي بناها يعقوب المنصور الموحدي في اشبيلية، بعد توسعته لجامع ابن عدبس؛ أن هذه الأسواق "ابتنيت بأوثق بنيان، وأحسن نوع في ذلك الشأن، عجيبة غريبة في الزمان"[2].

لقد اختص كل سوق بسلعة معينة تباع فيه، كسوق العطارين، والبزازين، والخياطين، والصباغين، والمركطيين[3]، وسوق السكر، وسوق الصابون...الخ[4]، كما كان للكتب سوق يعرف بالكتيبة أو الوراقة، ولذلك سميت بعض الأماكن بأسماء السوق المتعلق بتجارة معينة كباب العطارين بقرطبة[5].

وللكتب سوق يعرف بالكتيبة أو الوراقة، ولذلك سميت بعض الأماكن بأسماء السوق المتعلقة بتجارة معينة كباب العطارين بقرطبة[6].

---

1 - عبد الاحد السبتي وحليمة فرحات: **المدينة في العصر الوسيط (قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي)**، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط**1**، **1994**م،ص **109- 111**،ص **155- 158**. عبد العزيز سالم: **العمارة الإسلامية في الأندلس وتطوها**، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول،**1977**م، ص **89 - 134** .

2 - ابن صاحب الصلاة: **المن بالامامة** ، ص **396**. وينظر: الحميري: **الروض المعطار**، ص **58- 67- 97- 113- 119- 121- 183- 232- 342- 349- 456- 488**.

3 - سوق تباع فيه الثياب المستعملة ، واصل الكلمة لاتينية Mercatellem، ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة** ،ص **396** حاشية.

4 - ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه ، ص **396**.

5 - ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه ، ص **396**.

6 - العذري: احمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائي: **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك** ،تحقيق عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دون تاريخ طبع ،ص **122**.

يضاف إلى ذلك؛ سوق الرقيق الذي اشتهرت به الكثير من المدن الموحدية وعلى رأسها قرطبة وسرقسطة وألمرية، هذه الأخيرة التي عدت من أهم مراكز تجارة الرقيق المجلوب من بلاد السودان ومن المدن الاوربية[1]،كما اختصت المدن بأسواق خاصة بالدواب، تعقد خارج أسوار المدينة.

كما تتحدث المصادر عن ما يسمى بالسويقات، وهي تقع خارج المدن، ومنها سويقة ابن نصر وابن سفيا بقرطبة، وسويقة، بلنسية، وميورقة، وبطليوس، وطليطلة، وسويقة المسمار قرب جامع اشبيلية[2].

ثالثا: التجارة الداخلية وأهم مسالكها:

تأثرت الطرق التجارية الداخلية لإقليم غرناطة تأثيرا كبيرا بالتغيرات التي طرأت على مراكز الإنتاج الزراعى والصناعى وكثرة السكان أيضاً، والناظر في الطرق البرية في البلاد الأندلسية أو إقليم غرناطة خلال عصر المرابطين والموحدين لا يلمح تغييرا في أوضاع الطرق قبل هذه الفترة أو في أثنائها، ذلك لأن مدن الأندلس كانت طرقها ممهدة[3]منذ فترة طويلة، فالمسافر فيها لا يحتاج إلى زاد لتوفره في جميع المنازل المعروفة[4]، يقول ابن الشباط:"هذا طولها (أي الأندلس) إلى الجنوب أربعون يوما من غلسية إلى المرية، لا يتزود أحد فيها بماء حيث سلك، ولأية قصد لكثرة أنهارها، وعيونها وآبارها: وربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مداين، ومن المعاقل والقرى ما لا يحصى"[5].

---

[1] – السقطي:أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي،**في آداب الحسبة**، ص**49– 50– 55**

[2] – ابن صاحب الصلاة: **المن بالامامة**:ص **396**.

[3] – ابن شباط: **صلة السمط** ، المجلد الرابع عشر، **ص100**،.

[4] – ابن شباط: **وصف الأندلس من كتاب صلة السمط** ص**100**، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص**208**.

[5] – ابن شباط: **وصف الاندلس** ، المصدر السابق، تحقيق أحمد مختار العبادى، مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد،المجلد الرابع عشر مدريد سنة **1967**م – سنة **1968**م، ص**100** ، ابن الكردبوس :**تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط** (نصان جديدان) قطعة من

وبالرغم من كثرة المرتفعات والأودية ،فقد كانت الطرق تربط جميع أرجاء البلاد الأندلسيةبعضها البعض[1] وأن التغيير الأساسي في طرق البلاد الأندلسية خلال عصر المرابطين و الموحدين إنما هو مقدار استعمال طريق دون آخر اعتمادا على حالة الأمن[2].

ولهذا توفرت للبلاد شبكة من الطرق التجارية التي سهلت ربط المدن والمراكز التجارية مما كان له أكبر الأثر في انتعاش التجارة داخل إقليم غرناطة و البلاد الأندلسية.

كانت قرطبة منذ زمن بعيد ملتقى شبكة مواصلات متشابكة[3] فمن قرطبة كانت تخرج شبكة من الطرق التجارية عددها ستة[4] وهي على النحو التالي:

طريق من قرطبة إلى إشبيلية[5]، فقادس، فالجزيرة الخضراء ومن أشبيلية يتفرع طريق آخر يذهب إلى شلب[6]،

أما الطريق الثاني فيخرج من قرطبة إلى طليطلة[1]، فسرقسطة فلاردة[2]، والطريق الثالث من قرطبة إلى غرناطة إلى مرسية فبلنسية[3]، فطرطوشة فلاردة، والرابع من

كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادى،معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة **1971** ، ص**128**"غلسية" تقع في شمال غرب الأندلس.

[1] - ابن شباط ، ابن الكردبوس: المصدران السابقان ص**100**، ص**101**، ص**102**طبعة **2** سنة **1967**م، **1968**مو المجلد الرابع عشر ص128 طبعة**1971**.

[2] - عز الدين موسى: **النشاط الاقتصادى**،ص**315**.

[3] - حسين مؤنس: **الجغرافية والجغرافيون في اللأندلس**، ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة 1976 م- 1386هـ،ص 287.

[4] - حسين مؤنس:المرجع السابق، ص**288** .

[5] - ابن حوقل: **صورة الأرض** ،ص**110**(بين قرطبة وأشبيلية ثلاثة أيام للمسافر ومن الأميال ثمانون) انظر الحميرى:**الروض المعطار** ص**18**.

[6] - ابن حوقل: المصدر نفسه ، ص**110** ، حسين مؤنس: **الجغرافية والجغرافيون**، ص**287**.

قرطبة إلى مالقة[4] مارا بأستجة ثم إلى مرسية[5] ثم يلتقى بالساب، أما الطريق الخامس فيمضى من قرطبة فسلمنقة فسمورة[6] والطريق السادس من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء مارا بأستجة ومورور وشدونة[7] هذا بالإضافة إلى طريق يربط قرطبة بالمرية وهذا الطريق يسلكه المسافر في سبعة أيام[8].

كذلك ربطت شبكة من الطرق التجارية الداخلية بين مدن إقليم غرناطة ،فمدينة وادى آش ارتبطت بغرناطة بطريق تجارى وهي"قريبة من غرناطة"[9]"كذلك بسطة وهي قريبة من وادى آش " " في شمال شرق غرناطة" وتبعد عنها حوالى **133**

[1] - ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص**111**(بين طليطلة وقرطبة تسع مراحل، انظر الحميرى: **الروض المعطار**، ص**130**،هذا الطريق لم يستطع التجار ارتياده لانعدام الأمن فيه بعد سقوط طليطلة في أيدي نصارى أسبانيا) عن سقوط طليطلة انظر الباب الأول .

[2] - حسين مؤنس: **الجغرافية و الجغرافيون**، ص**288** تقع لاردة في ثغر الأندلس الشرقى وهما في شرق مدينة وشقة (انظر الحميرى: **الروض المعطار** ،ص**168**.)

[3] - يذكر ياقوت في كتابه **معجم البلدان**: أن المسافة بين غرناطة وقرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا،انظر ياقوت: **معجم البلدان** في مادة غرناطة، ابن حوقل: **صورة الأرض** ، ص**111** بين غرناطة وقرطبة على طريق بجسانة ستة عشر يوما للمسافر انظر الحميرى: **الروض المعطار** ص**47**.

[4] - حسين مؤنس :المرجع السابق : ص**288**.

[5] - ابن حوقل: المصدر السابق،ص**111**.

[6] - حسين المؤنس: المرجع السابق، ص**289**.

[7] - حسين مؤنس:المرجع نفسه، صعن مورود و المسافة بينهما وبين قرطبة انظرالحميرى: **الروض المعطار**، ص**188**.

[8] - ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص**111**.

[9] - الإدريسي: **نزهة المشتاق** ، ص**202**، ابن الخطيب: **اللمحة البدرية** ص**29**، القلقشندى:**صبح الأعشى** ،ج **5** ص**221**، الحميرى: **روض المعطار**، ص **192**، المقرى : **نفح الطيب** ج **1** ص**142** - 149 " تقع مدينة وادى آش على بعد ثلاثة وخمسين كيلو مترا شمال شرق غرناطة" المقرى: المصدر السابق نفس الصفحة.

كيلومترا[1]، أما لوشة من أعمال غرناطة أيضا فكان الطريق بينهما حوالى **55** كيلومترا، ويذكر المقرى أن بينهما مرحلة[2].

أما مدن إقليم غرناطة الساحلية فقد اتصلت بعدة طرق تربط بينها، فبين المنكب وشلوبانية ستة عشر كيلو مترات[3]، أما برشانة من أعمال المرية فقد كانت على بعد ثمانية ميلا من المرية، وكذلك دلاية كانت تبعد بنحو تسع كيلو مترات[4] عن برجة كذلك انتقيرة كانت تبعد عن مالقة بنحو تسعة وخمسين كيلو مترا[5].

كما قلت الأقوات في إقليم غرناطة في عصر الموحدين أثناء غدر ابن همشك[6] على غرناطة سنة **557**هـ ومحاولة الاستيلاء عليها من أيدى الموحدين[7]، ولكن تميزت الفترة التي نعرض لها برخص الأسعار بصفة عامة فمدينة مالقة كثيرة الفواكه رخيصة الأسعار، يقول المقرى:" رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير[8] وامتلأت أسواقها التجارية بأنواع السلع من شعير وقمح وذرة

---

[1] - الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص**202** ابن الخطيب : **مشاهدات ابن الخطيب** ص 31 حاشية 9، الحميرى: **الروض المعطار**، ص**44**.

[2] - ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص**28**، **مشاهدات** ص**93** حاشية**6**، المقرى: **نفح الطيب**، ج **1** ص **142- 148**، الحميرى: نفس المصدر، ص **173**.

[3] - ابن الخطيب:**مشاهدات** ، ص**80** حاشية**5**، الحميرى: المصدر نفسه، ص**136** حيث أن بين المنكب وشلوبينة عشرة أميال، ابن الخطيب: المصدر السابق ، ص**36** حاشية **1**، ابن سعيد: **المغرب** ،ج**2** ص**81**.

[4] - ابن الخطيب: **مشاهدات** ، ص **82** هامش **1**.

[5] - ابن الخطيب : المصدر السابق، ص**93** حاشية **6**.

[6] - ابن همشك : ص104، انظر ابن صاحب الصلاة : **المن بالإمامة**، ص**181- 196**.

[7] - ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه، ص**181**.

[8] - المقري: **نفح الطيب** ، ج **1**، ص**152** .

وأصناف فاكهة[1]، كذلك اشتهرت مدينة غرناطة بإنتاجها الوفير من أنواع الفواكه المختلفة[2] قد غصت الدكاكين بالخضر الناعمة والفواكه الطيبة والثمر المدخرة[3] أما دلاية من أعمال المرية فكانت وافرة الخيرات[4] وكان بالمرية من فواكه واديها الكثير الرخيص[5] هذا ولم ترتفع الأسعار في فترة حكم المرابطين وخلفائهم الموحدين في إقليم غرناطة إلا ما سبق أن ذكرناه، فمثلا كان سعر الجبن في مدينة مالقة ربع جبن بستة عشرة درهما[6]، ونصف ربع دقيق بستة دراهم[7]أما كراء فكان في المرية بثلاثة دنانير شهريا[8]، كذلك كان ثمن الدابة في غرناطة خمسين مثقالا[9].

فكانت التجارة مع أوربا براً لا تزدهر إلا في سنوات الهدنة التي كثيرا ما كانت تنقض[10].

[1] - ابن حزم: **الرد على ابن النغريلة اليهودى**،تحقيق احسان عباس، دار العروبة، القاهرة، سنة **1960**م، ص**175- 177**.

[2] - العمرى: **وصف أفريقية** ، ص**36**، ص**37**،انظر ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص **181- 196**.

[3] - ابن الخطيب :**الإحاطة** ، ج**1** ، ص **115 – 116**.

[4] - ابن الخطيب: **مشاهدات**، ص**82** هامش**1**.

[5]- الحميرى: **الروض المعطار**، ص**184**.

[6] - السقطي، **في آداب الحسبة**، ص**31**.

[7] - السقطى: المصدر نفسه، ص **31** .

[8] - المقري: **نفح الطيب** ، جـ **1** ،ص**20- 21** .

[9] - الونشريسي: **المعيار المغرب** جـ **9**، ص**449 – 450**، ابن أبي زرع: **روض القرطاس** ص**152**، **160**، **161**، **162**، **163** ، **164**، ابن القطان : **نظم الجمان**، ص**6- 9 - 10 - 13 - 197 - 200 - 219 - 133** .

[10] - ابن عذارى : **البيان** ،ج **4**، ص**91**، **92**.

أما مصر الفاطمية، فكانت هي الأخرى على علاقة سيئة بدولة المرابطين وذلك بسبب اعتراف المرابطين بالدولة العباسية[1].

وكانت العلاقات بين الأندلس والمغرب وبين صقلية ومدن إيطاليا تتأثر بالأحداث السياسية، وأصبح التنافس بينها على أشده خاصة بعد أن سيطرت المدن الإيطالية على تجارة البحر المتوسط في أواخر القرن الخامس الهجرى(الحادى عشر الميلادي)[2].

وفي العصر الموحدى لم تكن علاقة الموحدين ببلاد المشرق بأحسن حال من المرابطين، فقد كانت علاقات الموحدين متوترة مع الفاطميين ثم الأيوبيين[3] ولكن هذا لم يمنع التجار الأندلسيين والمغاربة من التجارة مع مصر وبلاد المشرق، فمصر – كما يذكر حسن على حسن – كانت في طريق تداخل الحجاج المسافرة لتأدية فريضة الحج في كل عام وكانت في كثير من الأحيان تضم بعض أنواع المتاجر التي تحتاجها المدن الشرقية[4].

[1] – ابن الاثير: **الكامل في التاريخ** ، ج **10**، ص**114** مجهول : **الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية** ، تحقيق علوش، الرباط، **1936**م، ص**29**، ابن القطان : **نظم الجمان** ، ص **100**.

[2] – سامية مصطفى محمد مسعد، **الحياة الاقتصادية في اقليم غرناطة** ، ص **155**.

[3] – ابن خلكان: **وفيات الأعيان** ،ج **3** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة سنة **1978** – سنة **1972**، ص**68**.

[4] – حسن على حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس**، ص**288**- **289**.

فكانت السفن التجارية تقوم بنقل المنتجات الأندلسية والمغربية التي تحتاجها بلدان المشرق، فكانت السفن تخرج من ميناء مالقة متجهة إلى مصر والشام والعراق محملة بالبضائع المختلفة كالين المالقى[1]، والحلل الموشاة بالذهب[2] والملابس الكتانية الرفيعة، وكذلك كانت مالقة تصدر الفخار المذهب العجيب الشكل واللون[3] والبسط[4] من غرناطة وبسطة.

وفي عهد المنصور الموحدى عقد الموحدون إتفاقا تجاريا مع بيزا سنة **582**هـ/ **1186**م وأكدوا فيه على عدم نزول تجار بيزا ساحل المرية إلا للضرورة كإصلاح السفن مثلا و التأكيد على منع القرصنة[5].

وعلى الرغم من أن مواقف الموحدين السياسية مع أغلب الدول المعاصرة لهم كان يشوبها التوتر فإنهم كانوا يرون ضرورة تشجيع التجارة الخارجية وخاصة مع الدول الإسلامية، فلم يأخذوا من التجار المسلمين الغرباء أية عشور على التجارة[6].

---

[1] – العمرى: **وصف أفريقية** ص**48**، الحميرى: **الروض المعطار** ص**178**، المقرى: **نفح الطيب**، ج **4**، ص**205** ،ج **3** ،ص**219** . ، ابن سعيد : **الجغرافيا** ص**140**.

[2] - ابن سعيد : **الجغرافيا** ص **140**، **المغرب في حلى المغرب** ، ج **1** ، ص **423**، العمرى : **وصف إفريقية**، ص**48**، المقرى : **نفح الطيب**، ج**1** ، ص**201** - **145**.

[3] - العمرى: المصدر السابق، ص**47**– **48** ، القلقشندى ، **صبح الأعشى** ،جـ **5** ، ص**219**، أبي بكر الزهرى: **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمد الحاج صادق، دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، **1958**م، ص **93**، الحميرى: **الروض المعطار** ص **178** ، المقرى: **نفح الطيب** جـ **4**، ص**145** .

[4] - الادريسي : **نزهة المشتاق** ص**202**، ابن الخطيب : **مشاهدات** ص **31** حاشية ، الحميرى: **الروض المعطار** ص **44**، المقرى : **نفح الطيب** ،ج **1**، ص **187**- **201**.

[5] - المقري: نفح الطيب، ج**1**، ص**187**– **201**.

[6] - ابن جبير: **رحلة ابن جبير**، لأبي الحسين محمد بن أحمد ، بيروت ،دار صادر ، طبعة **1969**، ص**220** .

وعلى الرغم من موقف دولتى المرابطين والموحدين من التجارة الخارجية عامة فإن هذا لم يمنع ازدهار تلك التجارة وامتلاء الأسواق المغربية والأندلسية عامة وأسواق إقليم غرناطة خاصة، بالبضائع المتنوعة من الشرق والغرب وازدهار الموانى والمدن الأندلسية كمالقة والمرية وغرناطة وغيرها بسبب التبادل التجارى مع معظم الدول الإسلامية في المشرق والأوربية في الغرب، فكان مرسى المرية " تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام"[1].

لذلك ازدحمت تلك المدينة بالفنادق لإيواء التجار الغرباء[2] فقد كان بها "ألف فندق إلا ثلاثين فندقاً"[3].

كذلك اكتسبت مدينة مالقة شهرة واسعة في تصدير منتجاتها إلى داخل البلاد وخارجها[4]، فكان يحمل منها التين واللوز إلى مصر والشام والعراق[5] "ربما وصل إلى الهند"[6]فاحتوت على أسواق جامعة كثيرة[7]، هذا وقد زادت ثروة مالقة

1- الحميرى: **الروض المعطار** ، ص**184**، المقرى : **نفح الطيب**، ج **1**، ص**154**.

2 - المقرى: **نفح الطيب**، ج**1**، ص **154- 163**، ج**3** ، ص**220**، ج**4**، ص**206**.

3- الحميرى: **الروض المعطار**، ص **184**، المقرى: المصدر نفسه ،ج **1**، ص**145**.

4 - ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب** ،ج **1**، ص**423**، القلقشندى: **صبح الأعشى** ،ج**5**، ص **219**، العمرى: **وصف أفريقية**، ص**47- 48**.

5 - المقرى: **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة،1359هـ – 1940م ،جـ **1**، ص**41**، المقرى: **نفح الطيب** ،ج**1**، ص**145- 152**،ابن الخطيب: **نفاضة الجراب في علالة الإغتراب**، نشر أحمد المختار العبادي، القاهرة ،**1967**م، ص**286**،هامش **3**.

6 - الحميرى: **الروض المعطار** ص **178**.

7 - الحميرى: المصدر السابق ،ص**178**.

بسبب المكوس المفروضة على تجار الصادر والوارد وخاصة تجارة الرقيق من الخدم المجلوبين من أرض الصقالية[1].

كذلك صدرت مالقة الفخار المذهب العجيب الذي كان يصدر خارج البلاد[2].

أما غرناطة فكانت من أهم المراكز التجارية إنتاجا للكتان وتصديرا له[3].

أما مرسى المنكب فقد ازدهرت التجارة فيه، فكانت المدينة تضم عدداً كبيراً من الأسواق والأرباض مما جعلها مركزاً هاماً لتصدير عدة محاصيل أهمها قصب السكر و الموز والزبيب[4]، وكذلك مدينة بسطة كانت "ذات أسواق وتجارات عامرة آهلة"[5] أما برجة من أعمال المرية ففيها أسواق وصناعات[6] أما بليش مالقة فهي آهلة ضخمة الأسواق[7].

رابعا: طرق التجارة الخارجية(البرية والبحرية) شريان الحياة الاقتصادية:

مثلت الطرق الخارجية أهمية كبرى للأندلس والمغرب، لأن البحار تحيط بها من ثلاث جهات،فهذه الطرق هي التي تربطها بالعالم حولها.

---

1 - المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ص**422**- ص**423**.

2 - العمري: **وصف أفريقية**، ص**47**، القلقشندي: **صبح الأعشى** ج **.5**، ص**219**، المقري: **نفح الطيب** ، ج**3** ،ص**219**.

3 - الحميري: **الروض المعطار** ، ص**24**.

4 - العمري: **وصف أفريقية** ص**47**، القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج**5**، ص**218**.

5 - الادريسي: **صفة المغرب** ، ص**202**، ابن الخطيب: **مشاهدات** ،ص**31**، حاشية**9**، الحميري:**الروض المعطار**، ص**44**.

6 - ابن سعيد : **المغرب**، ج **2**، ص**228**، المقرى : **أزهار الرياض في أخبار عياض** ،ج **2**، ص**150** ، المقري: **نفح الطيب** ج**1**، ص **143** .

7 - ابن الخطيب : **مشاهدات** ،ص78 حاشية **6**، ابن سعيد: **المغرب**، ج**1**، ص **442**.

1 – الطرق البرية في الأندلس

الطريق البرى الرئيسي يبدأ من الأندلس إلى بلاد السوس الأقصى بعد عبور المضيق،فيصل إلى طنجة ومنه إلى أفريقية الى مصر، ثم الرملة ،ثم دمشق ثم الكوفة فبغداد والبصرة ثم إلى الأهواز إلى فارس إلى الكرمان الى السند ومنها إلى الهند والصين[1].

ويصف قدامه بن جعفر أحد الطرق أيضا[2] التي تصل بين المشرق والمغرب ثم الأندلس، ويبدأ الطريق من بغداد إلى الأنبار ثم إلى هيت إلى الفرضة الى الرصافة إلى الرقة ثم إلى دمشق إلى طبرية فالرملة فغزة فرفح فمليتية فأجدابية ثم إلى سرت فالمنصف إلى وادى الرمل إلى طرابلس إلى قصر الدرق فالفوارة فقابس فالقيروان،ويصف الإدريسي[3]– في ق**5** هـ – طريق رحلة الأندلسيين الى المشرق بعد عبور مضيق جبل طارق الى قصر مصمودة على ساحل البحر ومنه الى سبتة أو فاس،والمسافة بين فاس وتاهرت **50** مرحلة، ومن تاهرت للقيروان**36**، مرحلة ومن القيروان لمصر **60** مرحلة ثم يتجه المسافر إلى الشام أو العراق أو الحجاز[4]ويتأثر التجار بالتقلبات السياسية في المغرب، فيقابلون متاعب دفع الضرائب على كل دولة يمرون بها[5]،أو تسرق البضاعة مثلما حدث مع صالح بن محمد المرادى المعروف بابن الوركانى من أهل وشقة (**ت302هـ/914م**) الذي سرقت بضاعته قرب القيروان[6].

---

[1] – ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، ص**154– 155**.

[2] – **الخراج وصناعة الكتابة** ، ص**115– 124**.

[3]– الإدريسي: **صفة المغرب**، ص**168**.

[4] – الاصطخرى:**المسالك والممالك** ، ص **37**.

[5] – يحي أبو المعاطي محمد عباسي: **الملكيات الزراعية** ،ص**538**.

[6] – ابن الفرضى: **تاريخ علماء الأندلس**، سلسلة تراثنا، المكتبة الأندلسية، رقم**20**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، سنة **1966**م، ج**1**، ص**350**.

2-الطريق البحرى:

يمكن الأستناد إلى رحلة ابن جبير في ذلك، عبر المضيق من جزيرة طريف إلى قصر مصمودة إلى سبتة ثم إلى دانية ثم إلى جزيرة يابسة ثم غلى ميورقة ومنورقة فسردانية فصقلية فاقريطش ومنها للإسكندرية[1]، وأحيانا كان التجار يسيرون في طريق أطول ولكنه أكثر أمنا فتخرج السفن من الأندلس إلى ساحل المغرب الأقصى ثم ساحل المغرب الأوسط وتسير بحذاء الساحل الإفريقي، وهي ترسو عند الموانئ المطلة عليها حتى تصل إلى خليج سرت، وتأخذ بعد ذلك الطريق البرى للإسكندرية[2]. أما إذا أراد المسافر الاتجاه ناحية المحيط الهندى فإنه يسير بحراً حتى الفرما ثم يعبرون الصحراء الى القلزم ثم الى مسقط في عمان إلى الهند أو الصين[3].

وكانت السفن تُكترى بواسطة التجار، ويتم تحديد مبلغ الإيجار وتعيين السلعة ووزنها أو كيلها واسم صاحب السفينة والمستأجر والطريق البحرى الذى ستسلكه السفينة[4].

وتتعرض السفن لأخطار كثيرة منها الرسوم الباهضة على التجارة أو إصلاح السفينة[5] أو يتعرض التاجر لغصب مثلما حدث مع تاجرين من أهل الأندلس في

---

[1] - رحلة ابن جبير (ت حسين نصار)**46**،**6**،**1**، خوان بيرينت: **هل هناك أصل عربي أسباني لفن الخرائط الملاحية** ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،**1953** ، ص**75**).

[2] - عبد العزيز سالم والعبادى: **تاريخ البحرية الاسلامية** ،ج**2** – ص**60**- **61**.

[3] - بيرينت: **هل هناك أصل عربي أسبانى لفن الخرائط الملاحية** ، ص**75**.

[4] - أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم الصنهاجي الجزيري المغربي: **المقصد المحمود** ، تحقيق: فايز بن مرزوق السلمي، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى (**1422**هـ)، ص**53**.

[5] – حسين مؤنس: **تاريخ الجغرافية** ،ص**420**- **421**.

مدينة المهدية "فغضب متولى الموضع رحلهم فطلبوا إليه أن يرد شيئا منه فأبى[1]"، وسجن تاجر آخر في الأندلس في سجن المهدية بسبب تجارته[2].

أما العواصف فكانت تهدد التجارة بشكل كبير، وتغرق السفن فيها بمن فيها مثلما حدث مع بداح بن يحى بن بداح الذى مات غرقا في طريق رحلته للمشرق سنة **323**هـ - **934**م[3]، وخرج محمد بن معاوية سنة **295**هـ - **907**م في تجارة إلى الهند، ولما أراد الرجوع غرقت السفينة واستطاع النجاة سباحة، وفقد **30000** ثلاثين ألف دينار[4]، وفقد ابن خيرون الأندلسي (ت**305**هـ - **917**م) ألفا دينار لغرق السفينة في البحر[5] .

أوردت كتب الجغرافية عدة طرق بحرية ربطت بين بلاد المغرب والمشرق الاسلامي ، وأهم هذه الطرق ثلاثة هي:

الأول : - يبدأ من موانى المغرب الأقصى ماراً بوهران وبجاية وجزائر بنى مزغناى وسوسه وتونس والمهدية ثم الى صفاقس وقابس وطرابلس وسرت وأجدابية ثم إلى إقليم برقة ثم إلى الإسكندرية مارا بموانى دمياط وتنس، ويسير بحذاء الشاطئ الشمالي ماراً بغزة وعسقلان وقيسارية ويافا وحيفا وعكا وصور وصيدا وطرابلس والاذقية زإنطاكية ثم الى الموانى البيزنطية[6]. والطريق الثانى هو طريق المغرب الأقصى صقلية ماراً بسبتة وميورقة وسردانية وصقلية والإسكندرية ومنها تتفرع

1 - المالكي: **رياض النفوس** ، ج**2**،ص**223**.

2 - السابق ج**2**،ص**445**.

3 - ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ج**1**، ص**178**.

4 - المصدر نفسه، ج**2**، ص**733**- **735**.

5 - المصدر السابق ، ج**2**، ص**135**.

6 - البكرى : **المغرب** ،ص**81**- **88**، الإدريسي: **صفة المغرب**، ص **102**.

الطرق[1]والطريق الثالث يربط المغرب ببلاد الأندلس، وتقلع السفن وطبرقة وبونة وتونس ووهران ثم إلى موانى الأندلس[2].

أ–أهم موانئ الأندلس التجارية:

تعددت موانئ الأندلس التجارية، مما شجع رسو السفن؛ فانتعشت التجارة، وزاد أن الأندلس حلقة وصل بين العالم الإسلامي وأوربا، وأهم هذه الموانئ:

بجانة: من الموانئ الرئيسية في الأندلس، وقصدها الناس من كل أوب، واستوطنها لتوفر الأمن بها[3]، وطرطوشة محطة تجارية لتصدير البضائع وأستقبالها[4]، ولمدينة تصنت ميناء يغادرمنه التجار إلى إفريقية[5]، وكذلك تعتبر مدينة الجزيرة الخضراء مركزاً تجارياً هاماً للتبادل التجارى، وبخاصة مع بلاد المغرب[6]، وكانت آلمرية أكبر مركز تجارى منذ عصر الخلافة ،فوصفت بأنها:"باب الشرق ومفتاح الرزق"[7]، وكانت تقصدها مراكب البحر من الاسكندرية، وأنه لم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا ولا أتجر منهم في الصناعات وأصناف التجارات تصريفا وادخارا[8].

وتعتبر مالقة من القواعد التجارية التي تقصدها المراكب والتجار بكثرة لوفرة إنتاجها الزراعى ونشاطها الصناعى، ووصلت منتجاتها إلى مصر والشام والعراق

---

[1] - ابن جبير: **الرحلة** ،ج**2** – ص**742**.

[2] - الاصطخرى: **الممالك**، ص**38- 39** ، ابن حوقل : **صورة الأرض** ، ص**74- 77- 78** ، البكرى: **المغرب**، ص**55**.

[3] - ابن حيان : **المقتبس** ج**3** – ص**88**.

[4] - ياقوت: **معجم البلدان**، ج**4** ،ص**30**.

[5] - ابن سعيد : **المغرب** ،ج**2**، ص**274**.

[6] - ابن حيان : **المقتبس** ، ج**5**، ص**87**.

[7] - أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص**177**.

[8] - الادريسي: **صفة المغرب** ،ص**197**.

والهند والصين[1]، وكان مرسى إشبيلية يزخر بحركة تجارية دائبة، فحمل الزيت منها إلى الاسكندرية والقطن إلى سجلماسة[2]، ووصفت بأنها " ذات أسواق وبيع وشراء وأهلها مياسير"[3] أما مرسية فلها مرسيان: الأول قرطاجنة الحلفاء،والآخر مرسى لقنت، وصدر منها الحلفاء إلى مختلف البلاد على ساحل البحر المتوسط[4].

ب-الطرق البحرية:

ربطت بين إقليم غرناطة و البلاد المغربية خطوط بحرية تجارية وكانت السفن التجارية تنتقل بصفة دائمة بين سواحل إقليم غرناطة إلى بلاد المشرق و المغرب عبر البحر المتوسط فقد اقتضت صعوبة الاتصال بين مدن الساحل في البلاد الأندلسية براً[5] ،أن يكون طريق .

نلاحظ من خلال ما سبق ذكره أن هناك تكامل بين الزراعة والصناعة والتجارة، ذلك أن الزراعة تشجع التعامل التجاري في خلق أسواق ونقاط تبادل لمحاصيل زراعية وسلع ومنتجات صناعية، والتجارة توفر لنا أموال تعود بالنفع على الدولة فيزيد دخلها، فتخصص جزءا منه لبناء منشآت اقتصادية تستقطب تجارا من خارج البلاد الأندلسية فتزيد التجارة والصناعة وتتوسع المنشآت العمرانية الاقتصادية وتتطور، وتخلق الدولة مشاريع استثمارية فلاحية.

---

[1] - ياقوت:**معجم البلدان**، ج**5** ، ص**43** ، الحميرى: **الروض المعطار**، ص **179**.

[2] - المقرى: **نفح الطيب** ،ج**3** – ص**213**، الحميرى: **الروض المعطار**، ص**19-101**.

[3] - الإدريسي: **صفة المغرب** ،ص**117**.

[4] - الادريسي: المصدر نفسه، ص**193- 194**، الحميرى: **الروض المعطار**، ص**151- 170**.

[5] - ابن سعيد: انظر كتاب **الجغرافيا**، ص **167** فجيل شيلر نظراً لوعورة مسالكه كان لا يستعمل إلا في الصيف حيث لا يفارقه الثلج شتاء، انظر ابن سعيد، المصدر نفسه، ص **167**.



الفصل الثاني

الوعاء العقاري الأندلسي

تمهيد:

نقصد بالوعاء العقاري كل ما دخل تحت مسمى عقار، سواء كان عمرانا أو أرضا زراعية، أو أرضا مخصصة لأغراض اقتصادية، ومهما تعددت صيغ ملكيته وحيازته، سواء كان للفرد أو تحت سلطة الدولة، وهي متعددة ومتنوعة في البلاد الاسلامية عامة والأندلس خاصة لطبيعة اقليمها ومناخها الزراعي ولريادتها في المجال العمراني، ولكن هذا الوعاء عرف توسعا وتطورا كبيرين نظرا لتعدد مصادره وتنوعها، فهناك الثابتة، وأخرى متغيرة أو طارئة كحالة الحروب والاضطرابات والفتن، أين تتغير وتنقلب كل المعايير القانونية رأسا على عقب وتغيب الدولة ويذهب ريحها فيظهر المتغلبون فيسيطرون على كل شيئ، ويستحوذون على كل نفيس.

فرغم تغير الشعوب والأمم والدول والحضارات إلا أن العقار يظل ثابتا لا يتغير مالم تطله يد الإنسان بالتزييف والتخريب والعبث، وإنما يتغير مالكيه ومستغليه، وقد تعاقب على الأندلس منذ الفتح على يد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير سنة **92**هـ/**711**م إلى غاية سقوط غرناطة آخر مملكة إسلامية سنة **879**هـ/**1492**م حوالي ثمانية قرون، وكل حكم ترك بصمته وعكس مدى أهمية الأندلس بالنسبة له.

وقبل أن نتطرق للموضوع بشيئ من التفصيل، لا يمكن أن نتناول موضوع الوعاء العقاري في الأندلس في عهد الموحدين إلا إذا وقفنا عند هذا المفهوم – العقار– وعرفنا مدلولاته اللغوية وتتبعنا سيره التاريخي وكيف تعاطى الفقه معه وكيف تعرضت له المصنفات وكتب الأقدمين .

المبحث الأول

ماهية العقار

لغة: العقار بفتح العين: كل ملك له أصل وقرار ثابت كالأرض والدور والشجر والنخل، وهو مأخوذ من عُقر الدار. أصله، وجمعه عقارات ويقابله المنقول، والعقار من كل شيء خياره[1].

والعقار كل ماله أصل وقرار ثابت كالأرض والدار والضياع والنخل. وقال بعضهم: ربما أطلق على متاع البيت، يقال: في البيت عقار حسن، أي متاع وأداة[2].

و العقار: الضيعة[3] والنخل والأرض ونحو ذلك، يقال: ماله دار ولا عقار[4].

قال في المصباح المنير: "العقار كل ملك ثابت له أصل كالدار والنخل"[5] .

---

[1] - ابن منظور: **لسان العرب**، مادة عقر، ج **4**، الطبعة الثانية، دار صادر،بيروت، لبنان، (**1414**هـ/**1994**م)، ص **597** ، الرافعي :**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ج**2**، المكتبة العلمية، بيروت ، ص**576**.

[2] - ابن منظور: **لسان العرب** ج**4**- ص**597**، مادة عقر، الرافعي: **المصباح المنير** ج**2**- ص**576**.

[3] - الضياع : جمع الضيعة ، وهي العقار و الدور سميت ضياعا ؛ لأنها تضيع إذا ترك تعدها و عمارتها ، ينظر :الزبيدي: **تاج العروس** ، ج**21** ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية، ،ص**432** ، الفيروزآبادي: **القاموس المحيط** ج**1** ،مطبوعات الهيئة المصريةالعامة للكتاب، ص**960** ، و قال الأزهري : الضيعة و الضياع عند الحاضرة : مال الرجل من النخل و الكرم و الأرض ، ينظر : أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري: **تهذيب اللغة** ،ج**3** ، تحقيق : محمد عوض مرعب، دارإحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الأولى،2001، ص**47** .

[4] - ينظر : **الزبيدي**: مصدر سابق، ج**13**، ص**110** ، ابن منظور: مصدر سابق، ج**4**، ص**597**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ص**187**، ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرزي: **المغرب في ترتيب المعرب** ج**2**، تحقيق:محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، الطبعة الأولى،**1979**م، ص**47**.

[5] - الرافعي: مصدر سابق، ج2، ص**421** .

ومن أهل اللغة من يخص العقار بالنخل، فيقال للنخل خاصة من بين المال عقارا[1] . وفي الحديث: "من با ع داراً أو عقاراً "[2] .

وأطلق بعضهم العقار بمعنى اليابس[3] ، فكل ما ليس بماء فهو عقار على هذا الإطلاق.

وقد ورد لفظ العقار في السنة المطهرة في أحاديث منها :

الحديث الاول: ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (لما قدم المهاجرون المدينة من مكة، و ليس بأيديهم يعني شيئاً، وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار فقاسمهم الأنصار ...)[4] ، المقصود بالعقار في الحديث : النخل لما اشتهر عن المدينة من أنها عامرة بالنخل[5] .

الحديث الثاني: ما جاء عن النبي (صلى) أنه قال: (اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب، و

---

[1] - ابن منظور : **لسان العرب**،ج**4**، ص**597** .

[2] - أخرجه أحمد في المسند برقم (**18739**) في مسند الكوفيين ، و ابن ماجه في سننه –كتاب : **الرهون** – باب : من با ع عقاراً و لم يجعل ثمنه في مثله – رقم الحديث (**2491**)، و البيهقي في السنن الكبرى كتاب : **البيوع** – باب : ما جاء في بيع العقار – رقم الحديث (**11506**) ، و ضعف إسناده البوصيري :أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني: **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه** ،ج**3**،تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي–دار العربية–بيروت–**1403** ، ص**185** ،و حسن الحديث الألباني ، ينظر :محمد ناصر الدين الألباني : **صحيح سنن ابن ماجه** ج**2**– ص**67** – مكتب التربية العربية.

[3] - ينظر : ابن منظور، **لسان العرب** ،ج**4**، ص**597** .

[4] - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : **الهبة و فضلها و التحريض عليها** – باب : فضل المنيحة – رقم الحديث (**2630**) ، و مسلم في صحيحه كتاب : **الجهاد و السير** – باب : رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم – رقم الحديث (**1-1771**)

[5] - ينظر : **شرح الإمام النووي على صحيح مسلم** ، ج**12**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية،**1392**هـ ، ص**99**.

قال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام وقال الآخر: لي جارية قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه و تصدقا)[1] ، المقصود بالعقار في هذا الحديث ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث حيث قال" والمراد به هنا الدار"[2].

الحديث الثالث: ما روي أن رسول الله ρ كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات، وجاء فيه : (أما بعد : فقد رجع رسولكم وأعطيتم من الغنائم خمس الله، وماكتب الله على المؤمنين من العشر في العقار، وما سقمت السماء أو كان سيحا أو بعلا ففيه العشر إذا بلغ خمسة أوسق)[3] ، والظاهر من لفظ الحديث أن المقصود من العقار هنا الثمار كما في رواية أخرى جاء فيها: (على المؤمنين في صدقة الثمار أو قال العقار...).

[1] - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : **أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم** – باب قوله تعالى : " أم حسبتم أن أصحاب الكهف و الرقيم " رقم الحديث (**3472**) ، و مسلم في صحيحه كتاب : **الأقضية** – باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين رقم الحديث (**1-1721**).

[2] - ابن حجر العسقلاني : **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، دار المعرفة، بيروت ، دون تاريخ طبع ،ج**6**- ص**519**.

[3] - أخرجه البهيقي في كتاب **الزكاة** – باب :كيف فرض الصدقة – رقم الحديث (**7507**) ، و ابن حبان في صحيحه كتاب : **التاريخ** – باب :كتب النبي (صلى) – رقم الحديث (**6559**)، و الحديث أحد رواياتكتاب عمرو بن حزم الشهير ، قال ابن الجوزي رحمه الله : " قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه :كتاب عمرو بن حزم في الصدقات صحيح ، و أحمد يشير بالصحةإلى هذه الرواية ، لا لغيرها ، لما سيأتي " التحقيق في أحاديث الخلاف ج**2**، ص**26** ، و قال الزيلعي : " و قال بعض الحفاظ من المتأخرين : و نسخةكتاب عمرو بن حزم تلقاها الأئمة الأربعة بالقبول ، و هي متوارثة " إلى أن قال : " لكن قال الشافعي رضي الله عنه في " الرسالة " : لم يقبلوه حتى ثبت عندهم أنه كتاب رسول الله ρو قال أحمد رضي الله عنه : أرجو أن يكون هذا الحديث صحيحا ، و قال يعقوب بن سفيان الفسوي : لا أعلم في جميع الكتب المنقولة أصح منه ،كان أصحاب النبي ρ، و التابعون يرجعون إليه ، و يدعون آراءهم "، ينظر: كلام الشافعي رحمه الله في: **الرسالة**، ص **422**.

اصطلاحا :

انتهج الفقهاء في تعريف العقار منهجين، يتفقان في جزء ويختلفان في آخر.

فقد اتفق عامة الفقها من أصحاب المذاهب الأربعة على دخول الأرض في مسمى العقار[1] ، وحصل الاختلاف فيما عدا الأرض من دور وغراس وغيرها هل تدخل في مسمى العقار ؟ على اتجاهين:

الاتجاه الأول: أن العقار لا يشمل سوى الأرض فقط، وأن الغراس والبناء لا يدخلان في مسمى العقار، وهو مذهب الحنفية [2] والحنابلة[3].

وأصحاب هذا الاتجاه يطلقون على الغراس والبناء عقاراً بالتبع للأرض، فإذا انفصلا عن الأرض فليسا بعقار.

قال في درر الحكام في شرح مجلة الأحكام:" فإذا اعتبرت الأبنية والأشجار مع الأرض الواقعة عليها تعد حينئذ عقاراً، أما إذا اعتبرت لوحدها بدون الأراضي الواقعة عليها فتعد منقولا "[4].

---

1 - ابن همام : **شرح فتح القدير**، دار الفكر، ج**6**، ص**215** ، الدردير: **الشرح الكبير** ، ج**3**، مطبوع مع حاشية الدسوقي عليه، دار الكتب العلمية، دون تاريخ طبع، ، ص **476** ، الخطيب الشربيني: **الإقناع** ، مطبوع مع حاشية سليمان البجيرمي عليه ،ج **3**،دار المعرفة، **1398**هـ ، ص **149** ، مصطفى السيوطي الرحيباني: **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى**، ج**4**، المكتب الإسلامي**1961**م ،ص **109**.

2 – محمد ابن محمد البابرتي: : **العناية شرح الهداية** ، ج**9**، دار الفكر،ص**403** ، ابن عابدين: **ورد المحتار على الدر المختار**، ج**4**، ص**361**.

3 - موفق الدين بن قدامة : **المغني** ،ج**7**، ص**364** ، علي ابن سليمان مرداوي: **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل**، ج **15**، تحقيق عبد الله التركي، دار الهجر، الطبعة الاولى،**1414**هـ، **1993**م ،ص**370-371** .

4 – علي حيدر:**درر الحكام** ،ج **1**،دار الجيل، ص **116** .

وقال في كشاف القناع:"ولا شفعة أيضا فيما ليس بعقار كشجر مفرد وحيوان وبناء مفرد عن أرض"[1].

الاتجاه الثاني: أن العقار يطلق على البناء والشجر، كما يطلق على الأراضي، وهو مذهب المالكية [2] والشافعية [3] ؛ لأنهم يجعلون العقار ما لا يمكن نقله وتحويله مع بقاء هيئته وصورته، وهذا يشمل البناء والأشجار إذ بنقلهما تتغير حالتهما وهيئتهما.

وعند النظر المجرد قد يقال: إنه لا خلاف بين الاتجاهين السابقين، باعتبار أن أصحاب الاتجاه الأول يطلقون على الأبنية والأشجار عقاراً إذا اتصلت بالأرض، وهم بذلك يوافقون أصحاب الاتجاه الثاني، لكن عند التحقيق يظهر أن الخلاف له ثمرة فقهية، ومن ذلك أن أصحاب الاتجاه الأول لا يقولون بالشفعة في الأشجار والأبنية إذا بيعت منفصلة عن الأرض[4] ، بينما يجريها أصحاب الاتجاه الثاني باعتبار أنها من العقار[5] .

ومما سبق فلعل الاتجاه المختار هو ما يوافق المالكية والشافعية لعدة أمور:

1 – البهوتي:**كشاف القناع شرح متن الإقناع**، ج **4**، ص **140**.

2 – خرشي : **شرح مختصر خليل** ، دار الفكر، بيروت، لبنان ، بدون تاريخ طبع،ج **6**، ص**187** ، النفراوي: **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني** ، ج **2**، دار الفكر، بدون تاريخ طبع، ص**96**.

3 - الرملي : **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** ، ج **4**، ص**93** ، سليمان العجيلي: **حاشية الجمل على شرح الطلاب**، ج**3**، دار الفكر،ص**168**.

4 - لمحمد بن أحمد السرخسي: **المبسوط** ،ج**14**، دار المعرفة ،ص**177** ، البهوتي: المصدر سابق، ج**4**، ص**140**.

5 - ينظر : **الموطأ** ج**6**،ص**200** ، زكريا الأنصاري : **أسنى المطالب شرح روضة الطالب** ، ج **2**، ص**363**.

الأمر الأول: أنه موافق لما جاء في السنة النبوية من توسيع معنى العقار ليشمل النخل والغراس عموما، كما مر معناه.

الأمر الثاني: أنه موافق للمعنى اللغوي الذي يوسع معنى العقار كما سبق بيانه في التعريف اللغوي، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عند بيان معنى العقار هل هو الضيعة أو الدار أو الأرض: " والمعروف في اللغة أنه مقول بالاشتراك على الجميع "[1] .

الأمر الثالث: باعتبار أن الأندلس كانت تعتمد منذ الفتح الإسلامي مذهب أهل السنة والجماعة، والمذهب المالكي منذ ظهور المذاهب الإسلامية، ولم تتحول عنه إلا في عهد ابن تومرت، وربما عاد إليه-المذهب المالكي- الخلفاء الموحدون في الفروع.

الأمر الرابع: الموحدون لم يتوقفوا عند هذه المسائل طويلا خاصة بعد الثورة وتغلبهم على المرابطين، فكان اهتمامهم وتركيزهم منصبا حول السياسة والحكم والغلبة، وكان التغيير على المستوى النظري العقدي بدافع المغالبة والانتقام، أما من الناحية العملية فالتعامل بالمذهب المالكي ظل قائما وإن لم يصرح به الموحدون.

وعليه يمكن أن نصيغ تعريفا للعقار بأنه: المال الثابت الذي لا يمكن نقله وتحويله إلى مكان آخر دون أن تتغير هيئته كالأرض والبناء والأشجار[2] .

---

[1] - ابن حجر : **فتح الباري** ،ج **6**، ص**519**.

[2] - أحمد بن عبد العزيز العميرة: **نوازل العقار دراسة فقهية تأصيلية لأهم قضايا العقار المعاصرة**، دارالايمان للتوزيع والنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى**1432**هـ/**2011**م، ص**39**.

أو هو: هو كل ما يملكه الإنسان من الأراضي، وما أنشئ عليها من المساكن الفردية، أو قصور للسكنى أو قصور للولائم، أو الفنادق، أو العمائر ذات المساكن الكثيرة، أو الاستراحات، أو المجمعات التي في الطرقات، أو بالقرب من مداخل المدن ، وكذا الحدائق التجارية التي جعلت للنزهة وما زرع فيها يسمى الكل عقارا تبعا لأصله وتغليبا له[1] .

الفرق بين العقار والمنقول:

حتى يتبين الفرق بين العقار والمنقول لا بد من تعريف المنقول.

تعريف المنقول لغة: المنقول: اسم مفعول مأخوذ من الفعل نُقلَ، والنقل تحويل الشيئ من موضع إلى موضع[2] ، فيكون المنقُول: ما يحول من موضع إلى موضع.

تعريف المنقول اصطلاحا: للمنقول في الاصطلاح تعريفان:

التعريف الأول: وهو للجمهور فقد عرفوا المنقول على أنه: ما يمكن نقله وتحويله، سواء بقي على حالته أم لا، ويمثلون لذلك بالحيوانات والغراس وغيرها[3] .

التعريف الثاني: وهو للمالكية فقد عرفوا المنقول بأنه: " مما يمكن نقله وتحويله مع بقاء هيئته وحاله "ويمثلون له بالحيوانات والأدوات المهنية وغيرها.

---

[1] - أحمد بن عبد العزيز العميرة: **نوازل العقار، ص39** .

[2] - ابن منظور : **لسان العرب** ،ج**11**، ص**674** ، محمد ابن أبي بكر الرازي: **مختار الصحاح** ،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، دون تارخ طبع، ص **282**.

[3] - ينظر : علي حيدر، **درر الحكام** ،شرح مجلة الأحكام، ج **1**، ص**116** ، علي الخطيب: **حاشية البجيرمي** ، ج **2**، ص**275** ، علي ابن سليمان مرداوي: **الإنصاف**، ج**15**، ص**371**.

وعليه يظهر أن المنقول مخالف للعقار، بل قد يقال هو قسيمة، فالعقار هو خلاف المنقول والمنقول خلاف العقار، وحتى من قال بأن الأشجار من العقار كالمالكية والشافعية إنما عدوها من العقار لكونها لا تدخل عندهم في المنقولات[1] .

كتب النوازل والعقار

تعد الفتوى من أهم الخطط الشرعية في الأندلس، لما لصاحبها من النظر في أمور المسلمين ومصالحهم؛ فهي"علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم"[2]، وهي"بيان الحكم الشرعي والإخبار به من غير إلزام"[3] .ولأهمية الفتوى وجلالة قدرها، حرص الفقهاء على ضرورة توافر كل الشروط في المفتي والتي يسردها لنا الونشريسي بقوله:"يشترط في المفتي والحاكم أن يكون مجتهدا في أصول الشريعة، عارفا بمآخذ الأحكام،فإن عجز عن ذلك فليكن مجتهدا في مذهب من المذاهب، فإن عجز عن ذلك فله أن يفتي بما يتحققه ولا يشك فيه...فإن كان خطوة فيه نادرا بعيدا جاز له الفتوى والحكم وإلا فلا"[4].

---

[1] - محمد عثمان شبير: **المدخل إلى فقه المعاملات** ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ،ص**92** ومابعدها ، و ينظر للاستزادة بحث الفرق بين العقار و المنقول في باب المعاملات للباحث حمود بن عبد الله المسعر – بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام **1425** هـ - **1426** هـ.

[2] - محمد أبو الأجفان: **مقدمة فتاوى الشاطبي**، تونس، مطبعة الاتحاد العام التونسي، ط**1**، **1984**م، ص**84**.

[3] - عبد الرحمان بن محمد الدخيل: **الفتوى**، أهميتها ،ضوابطها،آثارها، بحث مقدم لنيل جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة،الدورة الثالثة، المملكة العربية السعودية،طبعة **2007**م، ص**35**.

[4] - الونشريسي أحمد بن يحي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس والمغرب**، ج**11**،ص**110**.

ونظرا لحساسية هذا المنصب فقد حرصت السلطة الحاكمة على أن يكون المفتي في مستوى المسؤولية، وأسندها أولي الأمر لمن هو أهل لها[1] ، فقد كان أهل قرطبة"لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره، وتعقد له مجالس المذاكرة، ويكون ذا مال في غالب الحال، خوفا من أن يميل به الفقر إلى الطمع فيما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين"[2] . وكان"بخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية، في كل واحدة منها منبر وفقية مقلص تكون الفتيا في الأحكام و الشرائع له، وكان لا يجعل القالص عندهم على رأسه إلا من حفظ الموطأ،وقيل : من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي ص، وحفظ المدونة"[3] . وفي المنحى ذاته قال ابن فرحون"لا يفتي في مذهب الإمام إلا من كان مجتهدا في ذلك المذهب"[4] .

إذن فعلى الفقيه لولاية الإفتاء أن يكون قد قرأ أمهات الكتب الفقهية وتدارسها وتفقه فيها على الشيوخ وفهم معانيها، وعرف الأصول التي بنيت عليها مسائلها من الكتاب والسنة والإجماع، وأحكم وجه النظر و القياس، ولم يخف عليه ناسخ القرآن ومنسوخه، ولا ضعيف السنة من صحيحها ومعرفته باللسان العربي الذي يفهم معنى الخطاب[5] .

---

[1] - ابن خلدون: **المقدمة**،ص**311**.

[2] - المقري: **نفح الطيب**،ج**3**، ص**214**.

[3] - المقرى: **نفح الطيب**،ج**1**،ص**458**.

[4] - ابن فرحون : برهان الدين بن علي بن محمد اليعمرى المالكي: **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، ج**1**، تعليق الشيخ جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط**1995**،**1**م، ص**53**.

[5] - الهروس مصطفى: **المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث هجري**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط**1997**م،ص**235**.

لقد تميزت المدرسة الأندلسية عن غيرها من المدارس المالكية بكثرة المصنفات في فقه الفتاوى؛ فحازت قصب السبق و التفوق فيها، وقد أطلقوا عليها اسم"كتب النوازل"[1] ؛ لأنها جاءت لتبين أحكام وقائع نزلت، و"كتب الأحكام"، لأنها بينت أحكاما خاصة بحوادث معينة، وسميت"كتب المسائل"[2]، باعتبار أنها حدثت بعد ورود أسئلة المستفتين، و"كتب الأجوبة"، لأنها أجيب بها عن أسئلة طرحت. وسميت تارة أخرى "الفتاوى"[3].وكلها مصطلحات تعكس مفاهيم متقاربة، "فهي إذا الوقائع و القضايا التي يفصل فيها القضاة طبقا للفقه الإسلامي"[4].

وتعتبر هذه المصادر من أوثق الأخبار التاريخية التي تكشف عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي، ويفصح ابن سهل الأندلسي عن أهميتها بقوله" هي قضايا رفعت من مختلف فئات المجتمع إلى القضاة ورجال الفتوى للنظر فيها، وهي عادة ما تذكر القضية أو النازلة كما حدثت بأشخاصها ووقائعها أو المفتي الذي رفعت إليه أحيانا وتاريخ وقوعها في الجواب عن الفتوى، فهي مرآة صادقة تعكس هموم ومشاكل أفراد المجتمع"[5].وتضيف رايل آريه"تشكل آريه" تشكل هذه الفتاوى

---

[1] - النازلة في اللغة هي المصيبة الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، يقال: نزلت بهم نازلة ونائبة وحادثة وآبدة وداهية، إسماعيل بن عباد: **المحيط في اللغة**، ج**9**،عالم الكتب، بيروت،ط**1،1994**م ،ص**54**، بطرس البستاني: **محيط المحيط**، مكتبة بيروت، طبعة،**1987**م، ص**88**.

[2] - محمد بن شريفة: **وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض**، مجلة دعوة الحق، عدد**264**، أبريل ، مايو **1987**م، ص**94**.

[3] - محمد الحبيب الهيلة: **مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية** من منتصف القرن **11/5** إلى نهاية القرن **15/9**،مجلة دراسات أندلسية، تونس، **1993**، ع**9**، ص**24**.بكر بن عبد الله : **فقه النوازل**، دار القلم، الجزائر، ط**1،1993**م، ص**8**.

[4] - عبد العزيز بن عبد الله : **معلمة الفقه المالكي**،بيروت،ط**1،1983**م، ص**18**.

[5] - ابن سهل الأندلسي: **وثائق في أحكام قضاة أهل الذمة مستخرجة من الأحكام الكبرى**، تحقيق محمد خلاف، الكويت،ط**1983**م،ص**7 – 8**.

أهمية عظمى ليس فقط في مجال الفقه الإسلامي في الأندلس، إنما أيضا في غزارة المعلومات التي تقدمها لنا حول الحياة الاقتصادية والإجتماعية فيه، هذه المعلومات تكاد تخلو منها كتب المؤرخين"[1].

ومن هذا المنطلق تميزت الفتوى في الأندلس بمعايشتها للقضايا الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية،وارتباطها الوثيق بالواقع،فقد حاول الفقهاء إيجاد حلول عملية دقيقة في كثير من القضايا التي كانت تفرضها الحياة اليومية تجيب عن قضايا الإنسان الأندلسي في معتقداته وسلوكه ومعاملاته مع أسرته ومجتمعه؛ فكلما واجهت الناس مشكلة في أمور دينهم لجئوا إلى المفتي يسألونه عن الحكم الشرعي سواءكان في المعتقد أو المعاملات، ويحكمونه في منازعاتهم، فكان يجمع بين الترغيب و الترهيب، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لذلك نجد فتاوى كثيرة تحفل بالسخط على ما آلت إليه حياة الناس من فساد وانحلال في سلوكهم ومعاملاتهم، كشرب الخمر واختلاط النساء السافرات مع الرجال في مجالس اللهو والطرب والمجون[2]. وغيرها من القضايا التي سنطرحها في مضامين هذه الدراسة.

ولقد تنبه المفتون عامة إلى خطر هذه الانحرافات والبدع التي أصبحت من الأمور المألوفة في المجتمع الأندلسي بسبب الاضطرابات السياسية، وعارضوها حرصا منهم على سلامة المجتمع، لأنها حسب الشاطبي"هلاك وهي في الدين أعظم من

[1] - بودالية تواتية: **البيئة في بلاد الأندلس عصري الخلافة وملوك الطوائف**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا في تالتاريخ الوسيط الإسلامي غير منشورة، تحت إشراف: فاطمة بلهواري، عن قسم التاريخ وعلم الآثار كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران ، الجزائر، 1434هـ - 1435هـ/2013م -2014م، ص69.

[2] - صلاح جرار: **سقوط الأندلس دروس وعبر**، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، **1984**م، ع**4**، ص**102**ومابعدها.

السم في الأبدان[1] ، وتنوعت بذلك المصنفات النوازلية في هذا المجال للحد من هذه الانزلاقات الخطيرة عن الدين الإسلامي كما سنبينها في حينها. ومن أشهر المصنفات النوازلية المخطوطة نذكر:

ـ الحديقة المستقلة النضرة في الفتاوى الصادرة عن الحضرة، لمؤلف مجهول، القسم الأول من المجموع رقمه(**1096**) بالاسكوريال بمدريد، من ورقة(**1**) إلى ورقة(**49**)[2] .

ـ فتاوى القاضي أبو القاسم بن محمد بن طركاط العكي: هو مجموع فتاوى علماء غرناطة،توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم(**1447د**).

ـ نوازل أبي محمد بن القاسم الغرناطي، موجودة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (**1889د**).

ـ نوازل أبي عبد الله محمد بن الحاج القرطبي(**ت529ه**).

[1] - محمد أبو الأجفان: **مقدمة فتاوى الشاطبي**، مطبعة الكواكب ، تونس، طبعة**2**، **1985**، ص**99**.

[2] - محمد الحبيب :**مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية** ، ص**27**.

المبحث الثاني

أنواع العقار وأقسامه

عند تناولنا لأنواع العقار في الإسلام فإنه تعترضنا صعوبتان:

الصعوبة الأولى: الاختلاف الحاصل بين الفقهاء في تعريف العقار، وما يدخل تحت مسماه وما لا يدخل[1] .

الصعوبة الثانية: اختلاف السياسات التي تنهجها الدولة المتغلبة والتي يتغير فيها العقار من نوع إلى آخر، وتحدث فيها عقارات لم تكن في الدولة السابقة.

وعموما يمكن تقسيم العقار إلى قسمين:

القسم الأول:العمارة المباني والدور والعرصات، وهي العقارات المعدة للسكن أو لمزاولة عمل معين، وما يلحق بها من أبنية وحدائق وأراضي غير زراعية مما يقع في المدن والقرى[2] .

وتفصيل حكم هذه الدور يختلف باختلاف فتح الإسلام لها سواء فتحت صلحاً أو عنوة[3] .

---

[1] - ينظر تعريف العقار في المطلب الثاني من المبحث الأول من هذا الفصل .

[2] - جمعة محمود الزريقي : **التوثيق العقاري في الشريعة الإسلامية** ، نشر المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس ، الجماهيرية الليبية ، الطبعة الأولى ، **1394** هـ **1985** ، ص **60**.

[3] - عنوة : العنوة القهر ، و أخذت عنوة أي قسرا و قهرا ، و قيل : عن طاعة أو غير طاعة – محمد بن أحمد الأزهري: **تهذيب اللغة** ، ج **3**، ص**134** ، و ابن منظور:**لسان العرب**، ج **15**، ص**101** .

القسم الثاني: الأراضي: وهي على أقسام :

1-الأراضي المملوكة: وهي الأرض المتصرف بها على وجه الملكية بسائر أنواع التصرف، وحكمها أن رقبتها وملكيتها عائدة لأصحابها، ومالكها يتصرف فيها كيف شاء، ويثبت فيها التوارث، وتثبت فيها أحكام الملك من وقف وبيع ورهن وشفعة [1] ، وقد حفظ الشرع حرمة هذه الأملاك كما جاء في الحديث: "من أحيا مواتاً من الأرض في غير حق مسلم فهي له"، فأثبت رسول الله (صلى) حق المسلمين في أملاكه، وأنها ممنوعة من التملك بالإحياء وغيره، لسبق ملك المسلم لها، وأن الإحياء يكون فيما لا يملكه أحد[2] .

2-**الأرض العشرية**: وهي الأرض التي أسلم عليها أهلها، سواء كانت أرضاً عربية، أم عجمية فتبقى لهم، و كذا كل أرض العرب سواء فتحت صلحاً أم عنوة؛ لأن أهلها لا يُقرون على الكفر لفعل الرسول (صلى)، أو ما قسمه الإمام بين المسلمين مما فتح عنوة[3] .

3-الأرض الخراجية: وهي الأرض التي فتحت عنوة من بلاد العجم، و فرض على أهلها الجزية، أو صالح أهلها المسلمون على دفع الجزية، سواء أقرت الأراضي بأيديهم، أو انتقلت إلى ملك المسلمين، أو الأراضي التي فر أهلها خوفا

---

[1] - محمد المغربي : **المال والملكية في الشريعة الإسلامية** ،الناشرون، بدون طبع وبدون تاريخ، ص **21**.

[2] - العيني : **عمدة القارئ**، ج **12**، ص**174**.

[3] - محمد بن أحمد السرخسي: **المبسوط**، ج **2**، ص**7** ، النووي: **المجموع شرح المهذب للنووي** ،ج **5**، ص**479**، و الفروع، ج **2**، ص**442**.

من المسلمين دون قتال، فأصبحت وقفاً على جميع المسلمين[1]، على أنه وقع خلاف في الأرض المفتوحة عنوة، هل تقسم بين الفاتحين، أو تبقى وقفاً كما اختار عمر رضي الله عنه، حرصاً على أن تبقى هذه الأراضي مصدر تمويل للجيوش الإسلامية[2]، وقد قال في ذلك: " لولا أن يكون الناس يباباً [3]ليس لهم شيء، ما فتح الله علي قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله ρ خيبر"[4].

4-الأراضي الموات:ويقصد بالأراضي الموات: الأرض الخربة الدراسة[5] التي لا ملك فيها لأحد[6]، ومنفكة عن الاختصاص[7].

[1] - ينظر : **تبيين الحقائق**، ج **3**، ص**271**، الدرديري: **مواهب الجليل**، ج **2**، ص **278**، زكريا الأنصاري : **أسنى المطالب شرح روضة الطالب** ، ج **1**، ص**369**.

[2] - محمد بلتاجي: **للإستزادة منهج عمر بن الخطاب في التشريع** ،رسالة ماجيستير مطبوعة، دار الفكر العربي، ص**113-147**.

[3] - اليباب : **الخراب** ، يقال : أرض يباب أي خراب ، ليس بها ساكن ، ينظر: الزبيدي: **تاج العروس** ،ج**4**، ص**414**، المقري: **المصباح المنير**، ج**2**، ص**679**.

[4] - أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار كتاب : السير – باب : الأرض تفتتح كيف ينبغي للإمام أن يفعل فيها – رقم الحديث (**4839**) ، و البيهقي في السنن الكبرى كتاب : السير – باب : من رأى قسمة الأراضي المغنومة ومن لم يرها – رقم الحديث (**18855**) ، و الحديث أخرجه البخاري بلفظ " لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا و قسمها بين أهلها كما قسم النبي (صلى) خيبر "كتاب : الحرث و المزارعة – باب أوقاف أصحاب النبي (صلى) و أرض الخراج و مزارعتهم و معاملتهم – رقم الحديث (**2334**).

[5] - ينظر : ابن قدامة: **المغني**، ج **8**، ص**145**.

[6] - ينظر : الشافعي: **الأم** ، ج**4**، ص**47**.

[7] - ينظر : محمد بن عبد الرحمان المغربي الحطاب الرعيني: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل وبهامشه **التاج و الإكليل لمختصر خليل** ، تحقيق زكريا عميرات،ج**7**، دار عالم الكتب،**1423**هـ- **2002**م، ص**601** ، عبد العلي العبودي : **الحيازة فقهاً وقضاءً** ، المركز الثقافي العربي ،ص**93**.

ولعل التعريف المختصر للموات أنها " الأرض المنفكة عن الاختصاصات وملك معصوم"[1] .

5-المرافق:

المرافق: فنوعان:

أ-ما يكون حقًّا لعامة الناس يستعملونه بقدر حاجتهم دون إضرار بأحد كالشوارع والصحارى ومحطات الأسفار .

ب-ما يكون خاصًّا بأناس دون غيرهم وهي مرافق الأملاك و العقارات من حريم الآبار والأفنية فأحق الناس بها أصحاب هذه الأملاك[2] .

ثالثا: الوقف العقاري

أولا: تعريف الوقف لغة واصطلاحا

لغة: يعرف الوقف لغة بأنه الحبس، مصدر وقف يقف، ويرادفه التحبيس والتسبيل، يقال وقفت الدار للمساكين وقفا، ووقفت الدابة، أي حبستها. والفقهاء يعبرون بعضهم بالحبس، وبعضهم يعبر بالوقف، والوقف عندهم أقوى من التحبيس، والحبس بالظم من حبس حبسا فهو محبس وحبيس، واحتبس فرسا في سبيل الله أي وقفه والحبس بوزن القفل ما وقف، والجمع أحباس، يقع على كل

---

[1] – منتهى الإرادات مع شرحه مطالب أولي النهى ج**4**، ص**177**، وقد أفردت مبحثاً كاملاً في الفصل الأول للحديث عن الإحياء و بعض أحكامه .

[2] – الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ج **1**، ص**212**، عبد الكريم عبده حتاملة: **بحث نظام الأراضي في المجتمعات الإسلامية** ، – مجلة الدارة – العدد الرابع ،رجب **1414**هـ ، ص**84**.

شيء وقفه صاحبه وقفا محرما لا يباع ولا يوهب ولا يورث[1] ، ويذكر السرخسي أن الوقف لغة الحبس والمنع[2] ، والوقف مصدر وقفت الدابة،

ووقفت الأرض على المساكين والجمع أوقاف، يقال :وقفت ولا يقال أوقفت، إلا في لغة شاذة وعليها العامة، ويقال أحبس لا حبس، فالأولى فصيحة، والثانية رديئة، ويعبر عن الوقف بالحبس ويقال في المغرب وزير الأحباس، وفي الأندلس صاحب الأحباس[3] .

ب – التعريف الاصطلاحي :والوقف (الحبس) اختلف الفقهاء في تعريف تبعا للمذهب الفقهي: وسنكتفي بتعريف مذهب المالكيين، قال ابن عرفة(ت **403** ه/**1013** م): "الوقف مصدر إعطاء منفعة شيء مدة وجوده، لازما بقاؤه في ملك معطية ولو تقديرا، فتخرج عطية الذوات والعارية والعمري، واسم ما أعطيت منفعته مدة وجوده لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا"[4] ، أي جعل المالك مملكة منفعة مملوكة، ولو كان مملوكا بأجره أو جعل غلته كدراهم لمستحق بصيغة مدة ما يراه المحبس، أي أن المالك يحبس العين أي تصرف تمليكي ويتبرع بريعها لجهة خيرية

---

[1] - انظر :ابن منظور: **لسان العرب**، مجلد**6** ، مادة حبس، ص**45**. وكذلك :محمد بن أبي بكر الرازي: **مختار الصحاح**، دار الهبة للطباعة والنشر، الجزائر، **1990** م ط**4** ، ص **86**، علي بن اسماعيل بن سيده: **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، مصر، **1963** م .ص **52** : ليفي بروفنسال، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، تر :عبدالهادي شعيرة، مطبعة جامعة الإسكندرية، مصر، **1951** ص **73.**

[2] - انظر: شمس الدين السرخسي:**المبسوط**، ج **12** ، دار الكتب العلمية، بيروت، **1993** م. ط. **1**، ص **27** ، أحمد فراج حسين: **أحكام الوصايا والوقف في الشريعة الإسلامية**، الدار الجامعية، دون تاريخ طبع، ص **301.**

[3] - أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي: **مجمل اللغة**، دار الفكر للطباعة والنشر، **1994** م، ص **757** ، ابن قدامة: **المغني**، ج **7** ،طبعة **1**، ص **557** ، وهبة الزحيلي: **الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي**، دار ألف، سوريا، **1993** م، طبعة **2**، ص **15.**

[4] - الرصاع: **شرح حدود بن عرفة**، مطبعة فضالة، المحمدية، **1992** م، ص **581.**

تبرعا لازما مع بقاء العين مدة معينة من الزمن، فهو حبس العين لمن يستوفي منافعها على التأبيد[1] ، ويضيف ابن عبد البر:

"الحبس أن يتصدق الإنسان المالك لأمره بما شاء من ربعه ونخله وكرمه وسائر عقاره لتجري غلات ذلك وخراجه ومنافعه في السبيل الذي سبلها فيه مما يقرب إلى الله عز وجل ويكون الأصل موقوفا لا يباع ولا يوهب ولا يورث أبدا"[2] .

وهو نوعان خاص وعام.

1- الوقف الخاص: وهو أن يوقف الأغنياء والأتقياء بعضا من ممتلكاتهم للخدمة العامة .

2-الوقف الرسمي: هو ما يقوم به الخليفة وحاشيته من وقف الأراضي، والعقارات لنفس الأغراض السابقة الذكر

أراضي الوقف:

أ-ويدخل في هذا الصنف مجموعة من الأراضي، ويقصد عادة بالوقف الأراضي التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية ،فيكون واردها للأراضي المقدسة أو للمعاهدين أو الفقراء أو اليتامى أو المحتاجين أو لفك رقاب العبيد أو لبناء المساجد والحصون وللمنافع العامة الأخرى.

ويكون الوقف خاصا أو رسميا، فالأوقاف الخاصة يوقفها بعض الأتقياء من الأمة، وكانت الأوقاف أحيانا توضع لفائدة الأقرباء والذرية، وفي الحقيقة الغرض من الوقف ضمان تمتع الذرية بموارد الأملاك بصورة دائمة أما الوقف الرسمي فقد بدأ به

---

[1] - مالك بن أنس: **المدونة الكبرى**، ج. **4**، الإمارات، ص **271** . الزحيلي: **الوصايا والوقف**، ص **156**.

[2] - ابن عبدالبر: **الكافي في فقه أهل المدينة المالكي**، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص**108**.

الخليفة بصفته حامي الحرمين وحارس الحدود، ولا يكون الوقف إلا من الأملاك الخاصة، وما تم وقف الأرض لم يعد بالإمكان بيعها أو مصادرتها، وقد عمل المرابطون على ضم أراضي أمراء الطوائف سواء من أجلو عن ديارهم كبني صمادح ، أو من أعطوا أمانا في النفس و الأهل دون المال مثل بني عباد ، كما ألحق المرابطون أراضي من توفي دون وريث إلى أراضي الدولة فاتسعت ملكية الدولة لهذه الإجراءات[1] .

بعد ذلك آلت الملكية إلى الموحدين، بالإضافة إلى الأراضي التي استولوا عليها من أمراء المرابطين وجندهم وخلفائهم، واعتبروا ما فتحوه أرضا خراجية عنويه، أو ملكا للدولة وزادت ملكيتهم بمصادرة أملاك الثائرين تأديبا وعقابا لهم، وشكلت أراضي خراجية عنويه، أو ملكا للدولة وزادت ملكيتهم بمصادرة أملاك الثائرين تأديبا و عقابا لهم، و شكلت أراضي الأحباس مساحات كبيرة وانتشرت في المغرب و الأندلس. وأصول هذه الأراضي غالبا من الملكية الخاصة لوحدها، وتشييد الأعمال الخيرية و علاج المرضى، وتزويج البنات ... وافتكاك أسرى المسلمين وخدمة الحرمين،.. ومع انتشار التصوف كثر التحبيس على الصوفية وزواياها ولم تقتصر الأحباس على المسلمين بل حبس المعاهدون الأراضي الواسعة على الكنائس و البيع[2] .

---

[1] - عصمت عبد اللطيف دندش : **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل عصر الموحدين** (عصر الطوائف الثاني) ، **510-546** هـ دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، **1988**م ، ص**59** .

[2] - عصمت عبد اللطيف دندش: المصدر نفسه، ص**59** .

ويبدو أن الأمراء الموحدين ضموا أراضي الأحباس إلى المخزن، ولم تعد مستقلة كما كانت في عهد المرابطين وفرضوا عليها الضرائب[1] .(ينظر الى الفصل الثالث: اراضي الوقف)

الوقف هو أن يخصص المسلمون الأراضي أو العمارات للأغراض الدينية كبناء المساجد أو لبناء الحصون و الدور لليتامى و المحتاجين، وهي نوعان[2]:

1-الوقف الخاص : وهو أن يوقف الأغنياء و الأتقياء بعضا من ممتلكاتهم للخدمة العامة .

2-الوقف الرسمي : هو ما يقوم به الخليفة وحاشيته من وقف الأراضي، والعقارات لنفس الأغراض السابقة الذكر .

ويدخل في هذا الصنف مجموعة من الأراضي، ويقصد عادة بالوقف الأراضي التي يخصصها المسلمون لأغراض دينية ،فيكون واردها للأراضي المقدسة أو للمعاهدين أو الفقراء أو اليتامى أو المحتاجين أو لفك رقاب العبيد أو لبناء المساجد و الحصون و للمنافع العامة الأخرى.

ويكون الوقف خاصا أو رسميا، فالأوقاف الخاصة يوقفها بعض الأتقياء من الأمة، و كانت الأوقاف أحيانا توضع لفائدة الأقرباء والذرية، وفي الحقيقة الغرض من الوقف ضمان تمتع الذرية بموارد الأملاك بصورة دائمة أما الوقف الرسمي فقد بدأ به الخليفة بصفته حامي الحرمين و حارس الحدود، و لا يكون الوقف إلا من الأملاك الخاصة، وما تم وقف الأرض لم يعد بالإمكان بيعها أو مصادرتها. وقد

---

[1] - دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل عصر الموحدين** (عصر الطوائف الثاني)، ص **164**.

[2] - إسماعيل سامعي : **معالم الحضارة العربية الإسلامية** ، ص **135**.

عمل المرابطون على ضم أراضي أمراء الطوائف سواء من أجلو عن ديارهم كبني صمادح، أو من أعطوا أمانا في النفس والأهل دون المال مثل بني عباد، كما ألحق المرابطون أراضي من توفي دون وريث إلى أراضي الدولة فاتسعت ملكية الدولة لهذه الإجراءات[1] .

الوقف هو أن يخصص المسلمون الأراضي أو العمارات للأغراض الدينية كبناء المساجد أو لبناء الحصون والدور لليتامى والمحتاجين، وهي نوعان[2]:

الأراضي الموقوفة: وهي نوعان:

1-الأرض الموقوفة على المصالح العامة، وبيت المال مما اختاره الإمام لذلك، وهو: " ما اصطفاه الإمام لبيت المال من فتوح البلاد، إما بحق الخمس فيأخذه باستحقاق أهله له، وإما بأن يصفيه باستطابة نفوس القائمين عنه، فقد اصطفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض السواد من أموال كسرى و أهل بيته، وما هرب عنه أربابه، أو هلكوا، فكان غلتها مبلغ تسعة آلاف درهم كان مصرفها في مصالح المسلمين "[3] .

2-الأرض التي أوقفها أصحابها فحسبوا أصلها وسبلوا ثمرتها.

الصنف الثالث: الأملاك الوقفية، وهي نوعان[4]:

[1] – عصمت عبد اللطيف دندش : **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل عصر الموحدين** (عصر الطوائف الثاني) ، **510–546** ه دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، **1988**م ، ص **59** .

[2] – إسماعيل سامعي : **معالم الحضارة العربية الإسلامية** ، ص **135**.

[3] – الماوردي: **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ج **1**، مصر، الطبعة الأولى، **1960**، ص**219**.

[4] – حمدي باشا عمر : **نقل الملكية العقارية** ، ص**8–18**، محمد كامل مرسي بك: **الملكية العقارية في مصر و تطورها من عهد الفراعنة حتى الأن** ، ص **96** وما بعدها .

النوع الأول : وقف عام : ما حُبس على جهات خيرية كالذي يوقف على مستشفى، أو مسجد، أو جمعية خيرية و نحوها .

النوع الثاني: وقف خاص: وهو ما حُبس على أشخاص معنيين سواء كان عقب الموقف أو آخرين ممن يصح الوقف عليهم .

المبحث الثالث

الملكية العقارية في الأندلس

أولا: تعاريف ومفاهيم:

1- تعريف الملكية :

تدور معاني المِلك في اللغة حول الاحتواء على الشيء والقدرة على الاستبداد به[1]، وورد لفظ " الملك "كثيرا في القرآن الكريم، ويعني عدة استعمالات مختلفة[2] :

ورد الملك مطلقا لله تعالى: { ألم تعلم أن اللهَ له ملكُ السمواتِ والأرضِ}[3]، و قوله: { قل اللهم مالِكَ الملك تُؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء وتُعز من تشاء وتُذل من تشاء }[4].

ورد الملك في القرآن مخصصا بالاستخلاف الإلهي للإنسان كقوله تعالى:{وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه }[5] .

---

[1] – الفيروزباذي: **القاموس المحيط** ، مؤسسة الرسالة،بيروت**1406**هـ ،ص **912– 915**، الزمخشري: **أساس البلاغة** ،دار المعرفة – بيروت، **1982**م، ص **912- 915**.

[2] – يحيى ابو المعاطي محمد عباسي: **الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس** (**238**هـ - **488**هـ) ، (**852**م- **1095**م)دراسة تاريخية مقارنة رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتورا، ص**41**.

[3] – سورة البقرة:الآية **107**.

[4] – – سورة آل عمران : الآية **26**.

[5] – سورة الحديد :الآية **7**.

وقد تنسب الملكية للإنسان كقوله تعالى: {ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل}[1] ، و قوله :{ و إن تبتم فلكم رؤوس أموالكم}[2] ، وغير ذلك من المعاني.

ووردت الملكية في السنة كذلك، فعندما بعث رسول الله ρ معاذ بن جبل لليمن قال له: " إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن أطاعوا لك بذلك فإياك و كرائم أموالهم، و اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب"[3]، وقوله ρ:" من أحيا أرضا ميتة فهي له"[4].

وللفقهاء تفريعات ثلاث للملك هي:

---

1 – سورة البقرة : آية **188**.

2 – سورة البقرة : آية**279**.

[3] – محمد بن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، حديث رقم **1425**، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا،دار ابن كثير ،**1424**هـ- **1993**م،ص**544** .

[4] – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح بخاري**،حديث رقم **2210**،باب من أحيا أرضا مواتا،دار الريان للتراث،**1407**هـ، -**1986**م،ص**23**.

2-معنى المالكية: أي الصفة التي تلحق المالك، وتعبر عن هذه العلاقة بين المال والإنسان، وذلك بالنظر للإنسان، فعرفه ابن الهمام بقوله" الملك هو قدرة يثبتها الشارع ابتداء على التصرف"[1] ،

وزاد ابن نجيم قيد" إلا لمانع" وكذلك تعريف[2] ابن الشاط الملك: "تمكن الإنسان شرعا بنفسه أو بنيابة من الانتفاع بالعين أو المنفعة ومن أخذ العوض عنهما"[3] .

3-معنى المملوكية: أي الصفة التي تلحق الشيء المملوك، وتعبر عن العلاقة بين المال والإنسان بالنظر إلى المال، ومن أشهر تعريفاتهم" حقيقة الملك أنه حكم شرعي مقدر في العين أو المنفعة، يقتضي تمكن من يضاف إليه من انتفاعه بالمملوك، والعوض عنه من حيث هو كذلك"[4]، وأيضا ما اختاره السيوطي"والمختار في تعريفه أنه أمر معنوي، وإن كنت قلت حكم شرعي يقدر في عين أو منفعة ويقتضي تمكين من ينسب إليه من انتفاعه، والعوض عنه من حيث هو كذلك"[5] .

[1] – كمال بن الهمام: **فتح القدير**، ج**6**، (ط بولاق،**1316**هـ) ، ص**248**.

[2] – إبن نجيم: **الأشباه و النظائر**، ج**3**، مطبعة الحلبي ، **1244**، ص**209**.

[3] – يحيى ابو المعاطي محمد عباسي: **الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس** : ص**42**.

[4] – القرافي: **الفروق**، ج**3**، دار إحياء الكتب العربية، مصر**1344**هـ، ص**208**- **209**.

[5] – السيوطي: " **الأشباه والنظائر**، مصطفى الحلبي ، مصر**1378**هـ ، ص**316**.

4-معنى الملكية: أي الصفة التي تلحق الملك و الشيء المملوك معا، وتعبر عن هذه العلاقة الثنائية بالنظر إلى نفسها، وهو " اتصال شرعي بين الإنسان وبين شيء يكون مطلقاً لتصرفه فيه وحاجزا من تصرف الغير"[1] .

ويؤخذ من تلك التعريفات المتقدمة أمور:[2]

الأول: أن الملك لا يثبت إلا بإثبات الشارع، وتقديره، وهذا أمر متفق عليه بين جميع فقهاء الشريعة، لأن جميع هذه التعريفات تصف الملك بأنه حكم شرعي أو وصف شرعي أو قدرة شرعية، و أساس ذلك ما يراه الفقهاء من أن الحقوق كلها- ومنها حق الملك- حقوقاً شرعية أثبتها الشارع لأربابها، فالحق ليس ناشئا عن طبائع الأشياء، ولكنه ناشئ عن إذن الشارع، وجعله السبب.

الثاني: أن هذه التعريفات ترمي إلى أن الملك هو العلاقة التي أقرها الشارع بين الإنسان والمال، وجعله مختصاً به، حيث يمكن من الانتفاع به بكل الطرق السائغة له شرعا و في الحدود التي بينها الشرع الحكيم.

الثالث: أن هذه العلاقة تثبت مدة بقاء الشيء مالم يخرج من ملكه عن تصرف شرعي، ويرى الاستاذ على الخفيف[3] :أن في وصف الملك بهذه الصفات المتقدمة "صفة شرعية، حكم شرعي، قدرة شرعية "ما يجعل الملك صالحاً، ومهيأ لأن يقيد بما تقضي به الأحكام والدلائل الشرعية من القيود، فيقيد بما يقتضيه

---

[1] - يحيى أبو المعاطي محمد عباسي:**الملكيات الزراعية** : ص**42**.

[2] - يوسف حامد العالم : **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية** ، المعهد العالي للفكر الإسلامي **1991**م، ص**482**.

[3] - الملكية: معهد البحوث و الدراسات العربية، مصر**1969**م، ص**19**.

الاستحسان والقياس والعرف والمصلحة، لأنه منحة أو حق صدره الشارع من شرعه، وقد شرعه لمصلحة الناس ومصدرا لمعيشة راضية يتمتعون بخيراتها وبثمراتها، ذلك ما يؤيد ما انتهى إليه علماء الاجتماع والاقتصاد في هذا العصر من أن الملك وظيفة اجتماعية يقوم بها أحد أفراد الأمة لاحقا ذاتيا لصاحبه، له فيه التصرف المطلق والانتفاع المطلق.

5-أقسام الملكية:

أولا : تقسيم الملكية إلى ملكية عين وملكية منفعة[1].

ملكية العين: وتسمى ملك ذات الشيء كملك العقار المنقول من الأموال أو الأعيان ولا يقبل الملك في الشريعة من الأعيان إلا ما كان له منفعة لم يحرمها الشارع، فما ليس له منفعة كالخشاش من حشرات الأرض أو له منفعة لكنها محرمة شرعا كالميتة والخنزير، فلا تقبل الملك ولا تعتبر مالاً محترماً.

ملكية المنفعة: هي أن يملك الإنسان حق الانتفاع والاستفادة من الشيء المملوك فقط مع المحافظة على عين ما يستفيد منه كقراءة الكتب وسمنى الدور بالإجارة أو الإعارة، وتستاف في الغالب من أربعة أشياء: الإجارة، العارية، الوقف، الوصية لأحد بالمنفعة.

1 - الزرقا: **المدخل الفقهي العام**، الجامعة السورية، **1952**، ص**113**، محمد العبد الرحمن الجنيدل: **التملك في الإسلام**، عالم الكتب، الرياض، **139**هـ، ص**15**.

6-تعريف التملك لغة واصطلاحا:

أولا : تعريف التملك لغة :

التملك : مصدر مَلَكَ، و الملك : احتواء الشيء و القدرة على الاستبداد به، و ملكه يملكه مَلْكا ومِلكًا و تملكًا، و يقال : ملكه تملكًا أي ملكه قهرًا .

ثانيا : تعريف التملك اصطلاحًا :

يمكن تعريف التملك بتعريف الملك، فقد عرف الفقهاء الملك بتعريفات منها:

التعريف الأول: " استحقاق التصرف في الشيء بسبب شرعي لا بنيابة " .

التعريف الثاني: " حكم شرعي، أو وصف شرعي، مقدر في العين، أو في المنفعة يقتضي تمكين من يضاف إليه من انتفاعه بالمملوك، ومن المعاوضة عنه "

التعريف الثالث: " القدرة الشرعية على التصرف "

7-تعريف التملك نظامًا:

لا يختلف تعريف الملك والتملك في الأنظمة عنه في الفقه، فيعرف النظام التملك بتعريف قريب من تعريف الفقهاء، ونص القانون المدني الفرنسي في المادة**544** على أن: "الملكية هي حق الإنتفاع بالأشياء والتصرف فيها بالطريقة الأكثر إطلاقا، بشرط عدم إستعمالها على وجه تحرمه القوانين واللوائح"[1]

[1] - نفس المادة في القانون البلجيكي والدنمركي، والسويسري المؤرخ في **1907** والقانون الكندي الجديد لسنة **1991** ،أما القانون الإيطالي نقل نفس الشق الأول من المادة في القانون المدني المؤرخ في **1942** مع إظافة الوظيفة التي يجب أن تؤديها الملكية، فنص صراحة في المادة **836** قانون مدني (أن استعمال المالك لملكيته يجب أن تتوافق مع الوظيفة الإقتصادية والإنتاج الوطني للبلاد) ينظر: خوادجية سميحة حنان: **قيود الملكية العقارية الخاصة**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق، جامعة قسنطينة، **2008/2007**، ص**24** .

وقد جاءت المادة الحادية عشرة من قانون الملكية العقارية الفرنسي بتعريف الملكية العقارية بمايلي: " هي حق استعمال عقار ما، و التمتع والتصرف به، ضمن حدود القوانين والقرارات والأنظمة"[1]، فهذا التعريف قريب من التعريفات السابقة للفقهاء، فقد جعل التملك حقًّا يتصرف به المالك وفق ما يرى، من استعمال أو استغلال أو تصرف، لكن قيد النظام هذا التصرف والاستعمال بحدود القوانين والقرارات والأنظمة، والتعاريف السابقة للفقهاء لم يُنص فيها على هذا القيد؛ لكون هذا القيد مؤسسًا في الأذهان؛ لأن التصرفات الصادرة من المكلفين يشترط ألا تخالف الكتاب والسنة والأنظمة التي وضعها ولي الامر، بما يحقق المصلحة للعباد و يكفل المحافظة على حقوق الناس والمجتمع[2].

ثانيا: مواردا الوعاء العقاري:

وقد تطور الوعاء بتطور الملكية العقارية في الأندلس وتغير وتبدل بحسب تعاقب الدول التي سكنت الأندلس، فمنها ما كان حربا(أخذ عنوة أو صولح أهله عليه)، ومنها ماكان توريث، أو بيعا وشراء، أو تصدقا بالأملاك، أو وصية، أو هبة.

1- تاريخ الملكية العقارية في الأندلس

تأثرت الملكية العقارية في البلاد الأندلسية تأثرا شديدا عقب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس وقيام فتن البربر وانقسام البلاد إلى ممالك مجزأة وطوائف متعددة

---

[1] – ينظر: عبد العزيز العميرة: **نوازل العقار**، ص**76**.

[2] – عبد العزيز العميرة : **نوازل العقار**، ص76 .

، يقول المراكشي : " و أما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بني أمية فإن أهلها تفرقوا فرقّا و تغلب في كل جهة منها متغلب وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه و تقسموا ألقاب الخلافة "[1].

ثم يضيف في موضع آخر " فهؤلاء (يقصد ملوك الطوائف) الرؤساء الذين ذكرنا أسماءهم هم الذين ملكوا الأندلس بعد الفتنة و ضبطوا نواحيها، واستبد كل رئيس منهم بتدبير ما تغلب عليه من الجهات "[2] كما يذكر ابن حزم " فاقتسم ملوك الطوائف الأراضي الزراعية فيما بينهم حتى لم يبق منها غلا القليل "[3] .

وقد شهدت الأندلس ثوريتين متعاقبتين على مدى نحو نصف قرن من الزمان هما ثورة لمرابطين وثورة الموحدين وانضوت الأندلس تحت حكم هاتين الدولتين[4] فكان لا بد أن تؤثر هذه الأحداث على نظام تقسيم الأراضي وملكيتها سواء الملكيات العامة أو الملكيات الخاصة.

2-الملكية العامة .

وسار الخليفة عبد المؤمن على نفس السياسة خاصة في البلاد المغربية[5] .

---

1 - المراكشي : **المعجب** ، ص **123** .

2 - المراكشي : **المعجب** ،ص**123**.

3 - ابن حزم : **الرد على ابن النغريلة** ، ص**176**.

4 - عن دخول الأندلس و خاصة إقليم غرناطة في حكم المرابطين انظر عبد الله بن بلقين : **مذكرات الأمير عبد الله** (التبيان) : ص**103-107**، المراكشي : **المعجب** ، ص**147**، ، ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ،ج**7**، تحقيق إحسان عباس ، ص**123** ومابعدها ، ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة** ، ص**138**وما بعدها ، ص**187- 188 -196- 209**.

5 - ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ،ص**186- 187**.

وبعد هذه الثورات[1] التي قامت في وجه الدولة الموحدية عدل الخليفة عبد المؤمن بن على عن هذه السياسة وبدأ ينتهج سياسة توحيد القبائل في دولة واحدة، فأكد على احترام الملكية الخاصة وعدم التعرض لها لأنها مخالفة لأحكام الشرع[2]" فقال: "وقد اتصل بنا – وفقكم الله تعالى – أن من لا يتقى الله تعالى ولا يخشاه، ولا يراقبه في كبيرة يغشاها وتغشاه، ولا يؤمن بيوم الحساب فيما أذاعه من المنكر وأفشاه، يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار وينتشرون بالقتل بأعراض الناس أقبح الانتشار، يستحلون حرمات المسلمين من غير حلها، و يسارعون إلى نقض عقد الشرع وحلها، و يصفون الشدة والغلظة بطرا ورياء في غير محلها، ويبتدعون، من وجوه المظالم ما تضعف شواهق الجبال عن حملها ...فضلاً عن استباحة أموالهم وأعراضهم بتلبيسات ينشئونها ومزورات يضيفونها إليهم و ينسبونها وينظرون إلى إهضام حق الله تعالى"[3] .

فسمح لتلك القبائل الثائرة بالعودة إلى أراضيها وفلاحتها"[4] وأن من الرأى الذميم والسعي المنقوم، ماذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها"[5] .

---

[1] – غدر إبن همشك واستلاؤه على غرناطة، ثورة ابن مردنيش، ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب** (قسم الموحدين)، ص**74**.

[2] **-** البيذق : **أخبار المهدي بن تومرت** ، طبعة دار المنصور ، ص**56**، سنة**1971**، ص**106**، طبعة ليفى بروفنسال ، ابن عذارى: **البيان المغرب**، ج**4**، قسم **3** ، القسم الموحدى ، تحقيق هويشي ميراند ، ص**18 – 25 –26**.

3 – ابن القطان : **نظم الجمان** ، ص**153–154–157**.

4 – ابن القطان:المصدر السابق، ص**157**.

5 – ابن القطان : المصدر السابق ، ص**157**.

أما في البلاد الأندلسية فقد سار الخلفاء الموحدون على النهج ذاته من توحيد القبائل الثائرة تحت راية الدولة الموحدية[1]، فيذكر البيذق أن السيد أبا حفص الموحدى خرج لملاقاة الثائر ابن ملجان بواد آش وبسطة من أعمال غرناطة فوحد له[2]، واحتفظت هذه القبائل بأراضيها واعتبرت هذه الأراضي أرضاً خراجية يؤدى عنها الخراج للدولة[3].

يقول ابن أبي زرع " وفي هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب كسرها من بلاد أفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الاقصا (كذا) بالفراسخ والأميال طولا وعرضا فأسقط من التكسير الثلث في الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون، وما بقى قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب[4].

---

1 – مجهول : **رسائل موحدية** ، ص**44– 152**.

2 - البيذق : **أخبار المهدى بن تومرت** ، ص**88**، طبعة دار المنصور، انظر عن تأمين الموحدين لأهل غرناطة : ابن عذارى : **البيان المغرب** ، ج**4** القسم الموحدى تحقيق هويشى ميراند، ص**33**، انظر أيضا ابن صاحب الصلاة : **المن بالإمامة**، ص**412– 416**.

3 - ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب** ، ص**199**، عن الخراج انظر النظام المالي : ص**158**.

4 - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص**198– 199**، السلاوى: **الاستقصا**،ج**2**، ص**124**.

أما الثوار الذين كانوا يخرجون على الدولة من وقت لآخر فقد تملك الموحدون أراضيهم تأديباً وعقاباً لهم[1]، هذا فضلا عما يرد من الأبواب المعتادة من استصفاء أموال المغضوب[2] عليهم ووراثة الدولة لأملاك من لا ورث له[3].

ثم يضيف في موضع آخر " فهؤلاء (يقصد ملوك الطوائف) الرؤساء الذين ذكرنا أسماءهم هم الذين ملكوا الأندلس .

3-طرق الملكيات الزراعية

تعددت واختلفت، فقد تكون بسبب الميراث

الميراث هو استحقاق ما خلفه الميت من مال أو حق بسبب من أسباب الميراث الشرعية وهو بذلك أحد أسباب الملكية الناقلة للحيازة[4]، و أركان الميراث ثلاثة هي[5]:

المورث: وهو الميت، سواء مات حقيقة او حكما كالمفقود

---

[1] - عن الثوار الخارجيين على الموحدين انظر النوبرى : **نهاية الارب**، ج**24**، ص**309- 322- 323- 325- 328**، ابن صاحب الصلاة : **المن بالامامة** ، ص**275- 312**، يذكر ابن صاحب الصلاة عن ما أخذه الموحدون من ابن مردنيش في الاندلس " وان غنائم بسطة إحدى قرى إقليم غرناطة غنم فيها الموحدون الكثير" انظر ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص**284**، وعن غدر ابن همشلك و ثورته في غرناطة انظر المصدر السابق ، ص**180-209**، المراكشي: **المعجب**، ص**318- 324- 328**.

[2] - انظر أمثلة في ذلك في ابن عذارى : **البيان** ، ج**4**، القسم الموحدى، ص**23**، تطوان ، ابن صاحب الصلاة : **المن بالإمامة**، ص**182- 195- 198**.

[3] - الونشريسى(أبو العباس أحمد بن يحيى): **المعيار المغرب** ، ج**9**، ص**165**.

[4] – السيد سابق: **فقه السنة**، ج**14**، ص**225**، محمد أبو زهرة: **أحكام التركات والمواريث**، ص**7**.

[5] – محمد بلتاجي: **في الميراث و الوصية**، ص**21**.

الوارث : وهو من قام بينه وبين المورث سبب من أسباب الارث، ولم يتحقق فيه مانع من موانع الارث.

التركة : وهي الميراث وهي هنا الأملاك الزراعية الخاصة.

وأسباب الميراث ثلاثة[1]:

النسب وهو قرابة الدم، بسبب الولادة قريبة كانت ام بعيدة،كالابن لأبيه و الأخ بأخيه، والعم بإبن أخيه وابن العم بان عمه.

عقد الزواج الصحيح، ولو دون دخول، ولا توارث بعقد الزواج غير الصحيح.

الولاء بين المالك ومن أعتقه من عبيده، حيث يرث الأول الثاني.

وهناك حقوق تتعلق بالتركة هي[2]:

تجهيز الميت من التركة، وتجهيز من مات قلبه ممن تلزمه نفقته.

ديون الميت

تنفيذ وصاياه، حيث تنفذ في ثلث ما بقى دون توقف على إجازة أحد، و لا تنفذ فيما زاد عن الثلث إلا بإجازة الورثة .

3-أ-توزيع حقوق الورثة.

[1] - ابن هبيرة: **الإفصاح**، المكتبة اللحبية، سنة **1947**م، ج**2**، ص**82**، ابن رشد: **بداية المجتهد**، مطبعة الحلبي، سنة **1950**م، ج**2**، ص**371**.

[2] - محمد بلتاجي: **في الميراث والوصية**، مكتبة الشباب، مصر سنة **1991**م، ص**32**.

وقد تعددت الموروثات الزراعية التي يتركها المتوفى في الأرياف الأندلسية، وأغلب ما أوردته النوازل كان ممثلا في الأرض الزراعية فورد ان "رجلا كانت له أخت يتيمة وبينهما أرضون وحيوان ورثا ذلك عن أبيهما"[1]، وأيضا ورث رجل عن والده فدان واستغله وانتفع به[2]، ومات رجل، وترك بنين وبنات وأرضين وقرى ،وتوفيت امرأة وتركت قرى وأرضين[3]، وورثت امرأة تدعى كنزة بنت أصبغ بن خالد عن أبيها قرية أقيانش من إقليم وإبن بقرطبة[4]، و توفي رجل وخلف أرضا في إحدى قرى الأندلس[5]، وتوفي رجل و ترك ابنا و ابنة و ترك أملاكا و أرضا بقرية[6]، و ورث ورثة في باغة بالأندلس عن موروثهم أرضين[7].

وقد يترك المتوفى جنات وحدائق، مثل عبد الله بن محمد بن أبي زيد الذي توفي وترك ثيابا وكرمين، و ثمن الثياب ثلاثمائة دينار دراهم وثمن الكرمين مائة دينار

---

1 – الونشريسي: **المعيار**، ج**9**، ص**454**.

2 – ابن رشد : **الفتاوى**، ج**3**، ص**625**، الوزاني: **النوازل الجديدة الكبرى** ، طبعة حجرية، فاس، ج**6**، ص**100**.

3 – ابن سهل: **الإعلام**، ص**610**– **611**.

4 – ابن سهل: **الإعلام**، ص**621**.

5 – ابن سهل : المصدر نفسه، ص**668**.

6 – المالقي: **الأحكام**، ص**142**.

7 – المالقي:المصدر نفسه، ص**182**.

و عشرة دنانير دراهم[1]، و توفى رجل بالأندلس وترك بجهة مدينة باعة جنات[2]، و توفي رجل بسرقسطة وترك جنة لورثته ببياسة [3].

وأحيانا يترك المتوفى دورا وعقارا ومالا، كمن توفى بالأندلس وتركا أملاك من الدور[4]، وتوفي رجل بالأندلس وترك قرى وعقارا[5]، وتوفي رجل يدعى سماك بن محمد بقرطبة عن خمس دور بقرطبة، ويحوزها بالوقوف إلينا، ولا يعلم ملكه زال عنها إلى أن توفي[6]، وتوفي رجل بقرطبة يدعى البراء وترك دورا، وقد أمر أحد أمراء الأندلس بالنظر في مواريث هذا الرجل[7]، ومات رجل يدعى رزق، ولم يترك مالا

[1] – ابن رشد: **الفتاوى**، ج**1**، ص**305– 306**، رقم **23**، البرزلي: **النوازل**،ج**4**، ص**170**، ابن سهل: المصدر السابق، ص**610– 611**.

[2] – ابن رشد: **الفتاوى**،ج**1**، ص **305**، **307**، رقم **23**، البرزلي: **النوازل**، ج**4**، ص**170**.

[3] – ابن سهل : المصدر السابق، ص**522**.

[4] – ابن رشد: **الفتاوى**،ج**3**، ص**1631**، رقم **645**، الونشريسي: **المعيار**، ج**6**، ص**246– 245**.

[5] – ابن سهل: **الاعلام**، ص**504**.

[6] – ابن سهل: **الاعلام**، ص**500– 501**.

[7] – ابن سهل: المصدر نفسه،ص **496- 497**.

سوى دارا[1]، وتركت ربيبة عبد الله بن محمد بن شيطون دورا وأثاثا[2]، وورث ورثة عن موروثهم أملاكا ودورا بكورة باغة الأندلس[3].

وأظهرت كتب النوازل بعض القضايا المتعلقة بميراث الأملاك في الريف الأندلسي، ومن هذه القضايا:

3-ب-المشاكل بين البنين و البنات

قد تحدث المشاكل بين البنين والبنات في الميراث كأن يستأثر البنون بالارض والميراث، كما وقع بين اخوة ورثوا عن أبيهم املاكا اعتمروها زمنا طويلا، و اقسموها فيما بينهم، ولهم أخوات في بيوتهم ساكنات معهم في القرية بالقرب منهم، ثم تقوم الأخوات على الاخوة يطلبن نصيبهن[4]، وحدث بين رجل وأخته بينهما أرضون وحيوان ورثا ذلك عن أبويهما، وزوَجها أخوها من رجل جهزها بثياب ورثها أيضا، كان أخوها تولى عمل الأرض، ويقسمان الغلة، فلما كان بعد عام من زواجها قامت تطلب الأخ بموروثها من الميراث[5]، وخلف رجل بنين وبنات وأرضين وقرى وعقارا، فتزوج البنون والبنات، وخرج كل واحد إلى داره، وملك البنون جميع العقار، وكانت تحت أيديهم، واكتسبوا أرضا لأنفسهم وعقارا غيرهما أضافوها إلى ما بأيديهم

---

[1] – ابن سهل: المصدر نفسه، ص**632**.

[2] – ابن سهل: المصدر نفسه، ص **621**.

[3] – ابن رشد: **الفتاوى**، ص**305– 306**، البرزلي: **النوازل**، ج**4**، ص**170**، **171**.

[4] – الونشريسي: **المعيار**، ج**9**، ص**454**.

[5] – الونشريسي: المصدر نفسه، ج**9**، ص**454**.

من أملاك أبيهم، وملكوا ذلك عشرين سنة، وكانوا يعطون البنات مقدار انصابهن من غلة مواريثهن عن أبيهن، ثم أرادوا قسمة ما خلفه أبوهم، فقال البنون :بعض هذه الأملاك من كسبنا، وقال البنات بل جميعها موروثة عن أبينا[1].

وتوفي رجل وترك ابنا وترك أملاكا بقرية، فعمر الابن المال سنين كثيرة، ثم قامت الأخت تطلب ميراثها عن أبيها في أملاكه بهذه القرية، فقال أخوها، نعم قد ابتعت بعد موت املاكا بهذه القرية هي معروفة لي، لا حق لك فيها، وسائر ذلك أملاك أبينا حقك فيه خذيه مني متى شئت، فغفلت المرأة عن ذلك حتى مات أخوها، وأنكر ابنه حقها في الميراث، وقال لها، هذا مال ورثته عن أبي، لا أعلم إن كان لجدي فيه شيء أم لا ؟[2]

ويصرح الونشريسي ان بعض القبائل (العرف عندهم بعدم توريث البنات[3]،وهناك من لا يورث البنات)[4].

3-ج-التنازع في الميراث :

ويكون سبب هذا التنازع ادعاء بعض الورثة أن لمورثهم ملكا اخر بنفس القرية بالشراء أوغير ذلك[5]، فقد قام رجل بعقد باسم رجل اشترى فيه فدان، و

---

1 - ابن سهل: **الإعلام**، ص**504**.

2 - المالقي: **الأحكام**، ص**182**، رقم **159**.

3 - الونشريسي: **المعيار**، ج**9**، ص**153**.

4 - الونشريسي: المصدر نفسه، ج**9**، **153**.

5 - المالقي: المصدر السابق، **142** رقم **170**.

تاريخ هذا العقد نحو المئتي سنة، والفدان الان بيد رجل ورثة عن والده، عن جده، والفدان تحت أيديهم نحو المائة عام يستغلونه وينتفعون به، ولم ينازعهم أحد[1]. و حدث نزاع بين ابنتي أصبغ بن خالد في قسمة ميراثهما عن أبيهما في قرية أقيانش من إقليم (وابه) بقرطبة، وقام بالدعوى[2] . وقامت دعوى بين ورثة حمدون بن بسيل في املاك بقرية غليب، وادعى بعضهم أن ماله من غير سبب موروثهم[3].

3-د-مشكلة التوارث في الفتن:

وقد يترك الناس املاكهم في الفتن، فيحوزها غيرهم، ويطلب الملاك أرضهم عندما يعدون لأوطانهم، وحدث ذلك في عصر الطوائف، فرحل رجل اسمه عبد الله بن دهمة عن مدينة بياسة إلى سرقسطة بزوجته وبنيه، و خلف جنة ببياسة، والجنة بيد إنسان يعتمرها، فقام الأبناء يطلبون أملاكهم[4]، ومثل هذه النازلة تتكرر كثيرا وقت الفتن والأوبئة عندما يهلك كثيرا من الناس.

3-هـ-بيت المال مع الورثة

وقد يرث بيت مال المسلمين مع الورثة، كما وقع في مدينة باغة في عصر الطوائف، فورث ورثة عن موروثهم أملاكا ودورا وأرضين وجنات وغير ذلك بجهة مدينة باغة، وكانوا غير محيطين بالورثة، وكان بيت مال المسلمين يدخل معهم في

[1] – الونشريسي: **المعيار**، ج**9**، ص**624- 625**.

[2] – ابن سهل: **الإعلام**، ص**668**.

[3] – ابن سهل: المصدر نفسه، ص**577- 588**.

[4] – ابن سهل: **الاعلام**، ص**522**.

الميراث، فتملكوا تلك الاملاك وبقيت بأيدهم مدة طويلة يقسمون غلتها بينهم و ما باعوا من أصل كذلك يقسمون الثمن على حسب ذلك، وتمادى أمرهم على ذلك لسنين كثيرة، ثم إن والى الجهة المذكورة في مدة ابن عباد رأى من النظر من أ- جل الفتنة أن يضم ما بعد عن سور المدينة إلى لصقهو قربه، وأن يلحق ذلك أيضا بسور ثان ليحتضن الناس فيه ويتوسعوا دخله، فكان من جملة ما دخل تحت هذا السور الحديث جنة للورثة المذكورين من جملة الأملاك المذكورة، فعمد الوالي إلى تلك الجنة، فاقتطع منها الثلث أو أكثر، وأقام فيها حوانيت وقيسارية وفرنا وغير ذلك، واستخلصه لبيت مال المسلمين، ولم يصدق الورثة المذكورين فيما كانوا يقولون .ثم إن الورثة المذكورين عمدوا إلى بقية الجنة واقتطعوها عراصا وباعوها ممن بناها دورا وغير ذلك[1].

3-و-الرجوع عن الوصية

ومن المشكلات رجوع شخص في وصاياه قبل موته، مثل رجل شهد لزوجته في مرض موته بدين، ولم يكن له وارث سوى أبيه، ثم ظهر بالمرأة حمل قبل وفاته، وعلم به الزوج، فرجع عن كثير من وصياه بسبب ذلك الحمل[2] .

ثالثا : الاملاك المحبسة في الأندلس

1-تعريف الحبس :

[1] - ابن رشد: **الفتاوى**، ج**1**، ص **306- 307**، رقم **63**، البرزلي: **النوازل**، ج**4**، ص**170**.

[2] - ابن رشد: المصدر نفسه، ج**2**، ص**1083**، رقم **327**، الونشريسي: **المعيار**، ج**9**، ص**383**، ج**10**، ص**370**، البرزلي: المصدر نفسه، ج**4**، ص**121**.

الحبس هو الوقف والمنع، وهو يقع على كل شيء وقفه صاحبه وقفا محرما لا يباع ولا يوهب ولا يورث، ويصرف في جهات الحبس بمقتضى شروط الحابس[1] . وشرعا :هي الصدقات المحرمات الموقوفات على قوم بأعيانهم أوقوم موصوفين[2]، ويضيف ابن عبد البر[3]، أن يتصدق الانسان المالك لأمره بما شاء من ريعه ونخله وكرمه وسائر عقاره لتجري غلات ذلك وخراجه ومنافعه في السبيل الذي سبلها فيه مما يقرب إلى الله عز وجل، ويكون الأصل موقفا لا يباع ولا يوهب ولا يورث أبدا.

ينقسم الأحباس الى نوعين:

الأول : الحبس الخيري، ويكون على جهة البر والخير كالحبس على المساجد والمدارس والأيتام والأربطة والأسبلة[4]، فعهد أحد الأشخاص بثلث متروكه وأصله وسواه في أنواع البر ....وعينه وفدانه المعلوم بقرية الزاوية خارج غرناطة[5] .

والثاني : الحبس الأهلي، ويكون على الواقف وأسرته وذريته إلى أن ينقرضوا ثم مَن بعدهم على جهات البر والخير[6]، ومثله حبس الأمير الأموي عبد الرحمان

---

[1] – شمس الدين السرخسي :**المبسوط**، ج**6**، ج**12**، ص**27**.

[2] – الشافعي: **الأم**، ج**2**، ج**4**، ص**51**.

[3] – ابن عبد البر:**الكافي في الفقه المالكي**، ج**2**، دار الكتب العلمية، بيروت، ص**1012**، محمد أمين: **الأوقاف والحياة الاجتماعية**، دار النهضة العربية، مصر**1980**، ص**22**.

[4] - الخصاف: **أحكام الوقف** ، القاهرة، سنة **1907**م، ص**237**، بروفنسال: سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، تحقيق عبد الهادي شعيرة، جامعة الإسكندرية، سنة **1951**م، ص**83**.

[5] – وثائق عربية غرناطية، نشر وتحقيق سيكودي لوثينا ،مدريد،سنة **1961**م، ص**25**.

[6] – الخصاف: المصدر السابق، ص**238**.

الأوسط (**206 – 238هـ**) على زوجاته وأولاده الذكور والاناث[1]، وتحسيس الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر (**ت 392 هـ/ – 1001 م**) على ابنته وزوجته وولده وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم ما تناسلوا[2]، وحبس رجل من أهل مالقة قرية على ابنته له وعلى مَن يولد بعدها وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم[3].

وهناك الحبس العام والحبس الخاص، فأما العام فكالحبس على الجهات العامة كالمساجد والمقابر، والحبس الخاص ما يحبس على الأشخاص كالحبس على الذرية.

وينقسم الحبس أيضا باعتبار الموقوف عليهم إلى :حبس معين و حبس غير معين فالحبس المعين هو ما عُين الموقوف عليهم سواء كان واحدا أو اثنين أو جمعا. وأما أقسام الحبس باعتبار دوامة فنوعان: حبس مؤبد، وحبس المؤيد هو الذي يخرج عن التداول للأبد، و جمهور الفقهاء على أن الحبس لا يكون إلا مؤبدا .أما المؤقت فهو الذي يحدده الوقت بمدة معينة.

ويتعدد الحبس باعتبار محله إلى عقاري وحبس منقول، فالعقاري هو كل ملك ثابت له أصل كالارض والدور والضياع والبساتين، والحبس المنقول كالثياب والاثاث والاسلحة والخيول [4].

---

[1] – الونشريسي: **المعيار**، ج**7**، ص**417**.

[2] – الونشريسي: المصدر نفسه، ج**7**، ص**412**.

[3] – الونشريسي: المصدر نفسه، ج**7**، ص**229**.

[4] - ينظر في تفاصيل ذلك محمد كمال إمام: **الوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي** ، ص **187** وما بعدها، محمد الكبيسي: **أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية** ، بغداد، **1977**م، ج**1**، ص**311** وما بعدها، وهبة الزحيلي: الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي، دار الفكر، سوريا، **1992**م، ص **190– 191**.

2-خصائص الحبس وشروطه

وسنة الأحباس ان تكون موقوفة على ما حبسها عليه محبسها، و تكون مأبدة محرمة فلا يباع ولا يورث ولا يرهن ولا يوهب، ولا يجوز ان تصرف إلى غيرها ما حبست له، والمسلم لا رجوع له في حبسه ولا سبيل له إلى فسخه ونقضه إذا كان قام بتوثيق الحبس والاشهاد عليه أمام القاضي، فأسقط بذلك خياره في الرجوع فيه[1]، وهذا ما ذكرته أيضا كتب الحسبة فيمنع من تغيير شكلها عما وضعت له ويمنع من أراد أن يدخل فيها شيئا منافعه ....أو يحرفها من موضعها إلى ما هو أحسن منه وأسهل لأنها أحباس، والأحباس لا تغير عن حالها بوجه ولا على حال[2].

كما لا يجوز فسخ الحبس أو بيعه إلا أن تتعطل منافعه فيباع ويصرف ثمنه في مثله، فالفرس الحبيس في سبيل الله إذا لم يصلح للغزو بيع واشترى بثمنه ما يصلح للجهاد والغزو[3]، ويشترط أن يملك المحبس العين او الحبس، فإن مات او مرض او أفلس قبل الحوز بطل التحبيس[4].

ويشترط في المحبس أن يكون حرا عاقلا بالغا صحيحا في عقله وبدنه، و يتمتع بحق التصرف في ملكيته، وهذا ما أكدته كتب الوثائق أشهد (فلان بن فلان

---

[1] - الشافعي: **الأم**،ج**4**، ص**53**، محمد أبو زهرة: **محاضرات في الوقف** ، دار الفكر العربي، **1971**م، ص**14- 62- 64**.

[2] - ابن عبد الرؤوف: **رسالة في آداب الحسبة والمحتسب**، نشر بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي، **1955**م، **ص83- 84**.

[3] - ابن قدامة: **المقنع**، مكتبة الرياض الحديثة،ج**2**، الرياض، دون تاريخ طبع، ص**330**.

[4] - ابن جزي: **قوانين الأحكام الشرعية** ، دار العلم للملايين، **1968**م، ص**401**.

أي المحبس) في صحته وجواز امره[1] .اما حبس المنقولات فأجازها الفقهاء توسعة على الناس، فأصبح يجوز حبس الفرس والدرع والسروج والسلاح في سبيل الله[2]، وفي حالة حبس الفرس في سبيل الله فإن علفة الفرس تكون على المحبس عليه، و إن لم يلتزم علفه دفع لغيره ممن يلتزم ذلك ليجاهد عليه، وشاع ذلك النوع في المناطق التي يغلب عليها الثخرية مثل الاندلس والمغرب، ومثله حبس الأبقار ولبنها[3].

واشترط ابن قدامه أربعة[4] شروط لصحة الحبس وهي: أحدها أن يكون في عين الانتفاع بها دائما، مع بقاء الأصل كالعقار والأراضي الزراعية والسلاح، والثاني:أن يكون على بر: كالمساكين والمساجد والسقايات والمقابر والأقارب وسبيل الله، ولا يصح الحبس على معصية ....ولا يصح على نفسه، وإن حبس على غيره واستثنى الأكل منه مدة حياته جاز ذلك، ولا يجوز حبس ما لا يدوم الانتفاع به كالطعام لان منفعته في استهلاكه .

رابعا: الوثائق والعقود

عرف العرب التوثيق، والإشهاد عليه في بداية العصر الإسلامي منذ صلح الحديبية، ففي القرن6م كتب الصلح محمد رسول الله ρوبين قريش، وكان الكاتب

---

1 – ابن عطار: كتاب **الوثائق والسجلات**، تحقيق شالميتا وكورينطي/ مدريد، 1983م ،ص**177**.

2 – الضبي: **بغية الملتمس**، دار الكاتب العربي ، **1967**م، رقم **893**، ص**337**، الونشريسي: **المعيار**، ج**7**، ص**58**، المدونة الكبرى: ج**15**، ص**98– 99**.

3 – الونشريسي: المصدر نفسه، ج**7**، ص**58**.

4 - ابن قدامة: **المقنع**، ج**2**، ص**308– 313**.

سيدنا علي بن أبي طالب، وقد أشهد الطرفان رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين[1].

ويمضي الوثيقة مجموعة من الشهود لوصية نيابة القضاء ممن يشهد لهم بالعدالة والأمانة والعلم بصحة شروط العقود.

ويتم التوثيق بطريقتين:

أولهما: كتابة العقود وتحرير الوثائق ثم تزكية الشهود وهو ما ذهب إليه أهل العدوة الأندلسية. وذلك عن طريق الالتزام التي ترجع مصدرها إلى الإرادة الحرة للواقف بنية إحداث أثر قانوني معين، وذلك بتعبير صريح، ووثيقة الوقف تعتبر محررة شكليا من حيث تكوينها لأن الوقف تصرف قانوني يصدر من جانب واحد إلا إذا صدر به إشهاد رسمي[2].

ولما كانت تنظيمات الأوقاف لم تضع لها قواعد إلا بعد تدوين الفقه الإسلامي في القرنين وإغلاق أبواب الشر والمنازعات والتوثيق من النظم العريقة، وقد أجمعت أغلب الشرائع والقوانين وجوب شهر التصرفات العقارية[3].

1-أهمية علم التوثيق وضرورته

1 – محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، بيروت، **1987**م.ط، ج**6**، ص **613**.

2 – محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ص613.

3 – عبد اللطيف إبراهيم،" **السجلات الوقفية الحكمية والتنفيدية على حد تعبير المصطلح المملوكي الواردة في ظهر الوثيقة الوقفية للسلطان**"، مجلة كلية الآداب ،عدد خاص، القاهرة،**1960**م.ص **312 – 314** .

يستمد علم التوثيق أهميته من كونه يؤصل ويدعو إلى حفظ الحقوق وإثباتها، الأمر الذي يقضي على المنازعات ويورث أمناً وراحة عند التعاملات، ولهذا جاء الأمر بتوثيق الديون كما في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه"[1] وحرص النبي ρعلى التوثيق ووثق الكثير من الرسائل والمبايعات وغيرها، وشاع التوثيق وصار علماً بل علوماً وكتبت فيه الكتب كما أن هناك من العلماء من امتهنه وظيفة لخطره وأهميته.

وقد كانت مهنة شريفة في التاريخ الإسلامي، قال ابن فرحون: " هي صناعة جليلة شريفة وبضاعة عالية منيفة، تحتوي على ضبط أمور الناس على القوانين الشرعية، وحفظ دماء المسلمين وأموالهم، والاطلاع على أمورهم وعيالهم، وبغير هذه الصناعة لا ينال أحد ذلك ولا يسلك هذه المسالك"[2]، وقال ابن بري: "كفى بعلم الوثائق شرفاً وفخراً انتحال أكابر التابعين لها، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يكتبونها على عهد النبي"[3]، ونقل الونشريسي عن ابن بري قوله:" وقد سلف للائمة . رضي الله عنهم . اعتناء بكتب الوثائق وانتحاله أكابر المفتين وأهل الشورى من كبار الأندلسيين وغيرهم"[4] وهذه النظرة هي النظرة السائدة عن هذا الفن، وهي التي تتوافق مع الأصول الشرعية، كما أنها تتوافق مع المتطلبات الحضارية، ومع ذلك فقد ظهر من العلماء

---

[1] – سورة البقرة، الآية282.

[2] – الونشريسي: **المنهج الفائق،** طبعة حجرية، ص **6** .

[3] – الونشريسي :**المنهج الفائق**، ص**6**.

[4] – الونشريسي: المصدر السابق، **ص24**.

من ذم هذه المهنة، وأصبغ على متعاطيها الأوصاف السيئة، ويعد الأديب لسان الدين ابن الخطيب أول من ذمّ هذا الفن ومتعاطيه في رسالته: "مثلى الطريقة في ذم الوثيقة"[1] ويقصد ذم الموثقين، وسبب كتابة هذه الرسالة حصول خلاف بين ابن الخطيب والأديب الموثق ابن القباب، وأدّى بابن الخطيب لتأليف هذه الرسالة، وقد ردّ عليه جمع من العلماء.

وقد استمر الاهتمام بالتوثيق في العصور الإسلامية اهتماماً واضحاً، وصار التوثيق وظيفة يمارسها عدد من المختصين من العلماء وغيرهم وقد سُمي في بعض الأزمان بـ : "الموثق" وله شروط وآداب منصوص عليها في كتب التوثيق، في الغرناطية : "يعتبر في الموثق عشر خصال، متى عرى عن واحدة منها لم يجز أن يكتبها وهي أن يكون مسلما عادلا مجتنبا للمعاصي سميعا بصيرا متكلما يقظا عالما بفقه الوثائق سالما من اللحن وأن تصدر عنه بخط بين يقرأ بسرعة وسهولة، بألفاظ بينة غير محتملة ولا مجهولة"[2]، وزاد بعضهم أن يكون عالما بالترسل وصناعة أنشاء كما ينبغي له أن يكون لديه حظ من اللغة وعلم الفرائض والعدد ومعرفة النعوت والشيات[3] .

2-تطور فن التوثيق عبر التاريخ الإسلامي:

بدأ علم التوثيق في بداية فجر الإسلام، غير أن الوثائق في هذا العصر بقدر ما تميزت بالقلة، تميزت ببساطة أسلوبها ووضوحها وإيجازها وإبراز سمعتها أنها كانت تفتتح بالبسمة،

---

1 - وثائق الغرناطي، طبعة**3**، ص **4** .

2 - الونشريسي: **المنهج الفائق** ، طبعة حجرية ، ص**9**.

3 -وثائق الغرناطي، طبعة**3**، **ص4**.

كما كانوا يفتحون الوثيقة بقولهم : هذا ما أصدق فلان فلانة.. في وثيقة الزوجية، وفي وثيقة الوصية ؟ هذا ما أوصى به فلان ... وفي وثيقة الشراء هذا ما اشترى فلان من فلان ... وهكذا بقية الوثائق، وقد حكي الغرناطي أن بعض المتأخرين أنكر هذا الأسلوب في افتتاح الوثيقة[1] .

وأقدم وثيقة تناقلتها المصادر هي تلك التي سجلت على رسول وتتعلق ببيع مملوكه للعداء بن خالد بن هودة [2]ووثيقة الإقطاع الذي أعطاه رسول الله ρ لتميم الداري وأصحابه، وصدقة عمر بن الخطاب على الفقراء و المساكين[3].

وهكذا بدأ هذا العلم ككل شيء في هذا الوجود يبدأ صغيرا ثم يكبر، وقليلا ثم يكثر.

وقد اهتم المغاربة والأندلسيون بهذا العلم اهتماما كبيرا وألفوا فيه تآليف جليلة، حفظت لنا الأيام بعضها وضاع معظمها فيما ضاع من تراث السلف ، وقد تفننوا في ذلك ما شاء لهم قلمهم، وبرعوا فيها براعته فائقة . تأليفا و شرحا و تعليقا . و أكثروا من التأليف في هذا الفن، فجاءت مؤلفاتهم متعددة الأشكال مختلفة الأحجام ما بين مطول و مختصر ، وفيهم من أطال جدا فجاء مؤلفه في أسفار [4] كمحمد بن راشد البكري القفصي الذي ألف كتابه « الفائق من الأحكام و الوثائق » في سبعة أسفار ومنهم من اختصر جدا كالشريف الغرناطي صاحب الوثائق الغرناطية حيت جاءت في ورقات معدودة لا تتعدى **14** ورقة.

---

[1] – المصدر نفسه، ص**4**.

[2] – المصدر نفسه، ص**4**.

[3] - ابن عبد البر: **التمهيد**، ج **1** ، مطبعة وزارة الأوقاف ، المغرب ،ص **214** .

[4] - شرف الطالب ، تحقيق د. محمد حجي ، الرباط ، ص **78** .

ويبن هذا وذاك تواجد مؤلفات متوسطة الحجم وهي أكثرها.ومن الجدير بالذكر، أن نهضة هذا الفن بدأت في الأندلس، فما أن أقبل القرن الثالث الهجري حتى بدأت هذه الصناعة في الظهور والذيوع حيث ارتبط علم التوثيق بفقه القضاء. وما الوثائق إلى ثمرة الفقه.

ونبغ في هذا الفن فقهاء أجلاء قدموا هذا العلم ، وأدخلوا عليه تغييرا جوهريا اقتضته عوامل كثرة المعاملات المدنية والتجارية، وبرزت إلى الميدان أشكال جديدة من الوثائق الفقهية، ولعل أقدم كتاب في هذا الفن هو كتاب محمد ابن سعيد القرطبي المعروف بابن الملون [1]وطبعي أن يتكاثر هذا الفن وينموا مع مرور الزمن، وما أن أقبل القرن الرابع حتى تكاثرت مؤلفات علماء الأندلس، فظهرت وثائق إبراهيم بن سليمان بن أبي زكرياء الأندلسي[2].

ووثائق محمد بن يحي بن لبابة القرطبي الشهير بالبرجون[3]. وكتاب محمد بن احمد بن عبد الله الشهير بابن العطار [4] ووثائق أحمد بن عبد الله ابن أبي زمنين الغرناطي [1] ووثائق أحمد بن سعيد الشهير بابن الهندي[2] .

---

[1] - ابن الملون : محمد بن سعيد الموثق من قرطبة كان حافظا لرأي مالك عالما بالشروط . انظر : ابن الفرضي :**تاريخ العلماء والرواة** ،ج **2** ص **14**.

[2] - إبراهيم بن سليمان بن أبي زكرياء من أهل رية توفي سنة 326 . أنظر، أبي الفرضي: **تاريخ العلماء والرواة بالأندلس** ،ج **1** ،ص **24**.

[3] - ابن لبابة : هو محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة يكني أبا عبد الله ولي قضاء البيرة والشورى بقرطبة، مات بلا سكندرية سنة 330 هـ . **942** م . الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس،** تحقيق إبراهيم الأبياري، طبعة**1**، لبنان ، بيروت، دار الكتاب اللبناني،**1410**هـ -**1989**م، ص **134** ، الحميدي :**جذوة المقتبس** ، تحقيق إبراهيم الابياري ،دار الكتاب المصري ،مطبعة **2**،القاهرة، مصر،**ص 91** .

[4] - ابن العطار : هو محمد بن أحمد بن عبد الله توفي 339 قال فيه ابن فرحون في **الديباج** :كان متفننا في علوم الإسلام عارف بالشروط

وعلى الرغم من ظهور كثرة المؤلفات في هذا الفن في القرن الرابع، إلا أن القرن الخامس كان اجل عصور التوثيق وأكبرها إذ فيه ألفت الكتب القيمة التي يرجع إليها الفقهاء والقضاة وعليها اعتمد الموثقون، وبرزت ظاهرة جديدة، وهي شرح الوثائق السابقة على هذا العصر، وهكذا رأينا شرح بن العطار أحمد بن عمر بن يوسف القرطبي الملقب بابن الفخار [3] .

وكتاب الوثائق وعللها لمحمد بن أحمد اللخمي الباجي الاشبيلي [4] ، ووثائق محمد ابن عبد الله بن مزين القرطبي[5]، وكتاب المقنع في الوثائق لابن مغيث الطليطلي[6] والوثائق المجموعة لعبد الله بن فتوح الأندلسي[7] ووثائق ابن فرج الأندلسي[8] ووثائق بن فتوح[1]

1- ابن أبي زمنين : محمد بن عبد الله بن عيسى المري من أهل ابيرة انظر :**ابن الفرضي**: **تاريخ علماء الأندلس**، ج **2** ، ص**80**، ابن فرحون: **الديباج** ،ص**269** . صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي : **الوافي بالوفيات**، ج**2** ، ص **321** ، الحميدي: **جذوة المقتبس** ، ص**53** ، الزركلي :**إعلام** ، ج**7** ، ص **101** .

2 - ابن الهندي : أحمد بن سعيد بن إبراهيم الهمذاني توفي **399** ه . وانظر ابن بشكوال :**الصلة**، ص **19**.

3 - ابن الفخار : محمد بن عمر بن يوسف توفي **419** ، انظر تحرير الوثائق العدلية .

4 - الباجي : يعرف بابن شريعة محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد الخمي الباجي الاشبيلي توفي سنة **433** ، المصدر السابق .

5 - ابن مزين : محمد بن عبد الله بن مزين القرطبي المتوفى سنة **434** . انظر تحرير الوثائق العدلية .

6 - ابن مغيث : احمد بن مغيث الصدفي من أهل طليطلة محدث فرضي لغوي ... توفي في صفر 459 . انظر ابن بشكوال : **الصلة** ،ص**122** .

7 - ابن فتوح : عبد الله بن فتوح بن موسى الفهري من أهل البونت توفي سنة **462** . انظرابن بشكوال: **الصلة**، ص **611** .

8 - ابن فرج : أبو عبد الله محمد بن فرج الأندلسي توفي سنة **497** ه .

وفي القرن السادس ظهرت كتب أخرى جديدة في هذا الفن بظهور موثقين جدد، وهكذا ظهر كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام لعلي بن عبد الله المتيطي [2] وكتاب المنهج اللائق في المدخل لعلم الوثائق لابن عياد [3] .

وكان هذا القرن إيذانا بظهور موثقين مغاربة حيث اضطروا للتأليف في هذا الفن إنشاء وشرحا، وهكذا نرى من مؤلفي هذا القرن من مغاربة أبا الحسن علي بن محمد الصنهاجي الريفي الشهير بالجزيري [4]ولا حظ باحث المغرب الأستاذ محمد المنوني أن الوثائق في هذا العصر كانت مزدهرة في المغرب [5] .

وممن ألف في أوائل المائة السابعة أحمد بن محمد بن خلف بن يحيى الهاشمي البلنسي الأندلسي المتوفى سنة 616 هـ، وبرزت في أوائل القرن الثامن شخصية مغربية بارزة وهو

---

[1] - ابن فتحون : محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون من أهل أريولة توفي بمرسية سنة **520** هـ . **1126** م . انظر ابن بشكوال :**الصلة** ، ص**519**، ابن الأبار : **التكملة**، تحقيق عزة العطارالحسيني، مكتبة الثقافة الإسلامية، مصر، **1957**م،ص **104** ، الصفدي :**الوافي بالوفيات** ، ج**3** – ص **45**، الزركلي: **إعلام** ، ج**6** ،ص **348.**

[2]— المتيطي : علي بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الأنصاري درس بقاس واستوطن سبتة واشبيلية، توفي سنة **570** هـ. انظر الحميدي: **جدوة الاقتباس** ، ج **2**،مطبعة دار المنصور، ص**480** .

[3] - ابن عياد : يوسف بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن زيد مؤرخ فقيه ومحدث سكن بلنسية توفي شهيدا سنة **575** هـ – **1180** م . انظر ترجمته في الزركلي: **إعلام** ،ج **9** – ص **317** .

[4] - الجزيري : على بن يحيى بن القاسم الصنهاجي أصله من بلاد الريف مما يحاذى غمارة نزل الجزيرة الخضراء فنسب إليها وولي قضاءها توفي **585**هـ ، انظرابن بشكوال: **التكملة** ، ص 2878.

[5] - المنوني: **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين** ،ص **57** ط ثانية

قاضي فاس ومدرسها ومفتي المغرب أبو الحسن الصغير [1] . غير أن هذه النهضة انطفأت جذورها في القرن السابع الهجري حيث قلت التأليف في هذه المدة، وضعف الإنتاج، وعول علماء هذا القرن على مؤلفات سابقيهم [2] . وبعد هذا القرن نشط المغاربة في تدوين التوثيق حيث عرف القرن الثامن كتبا قيمة من إنتاج مغربي متطور مع ملاحظة ظاهرة التعقيد في نصوصها تدفعهم المنافسة في صياغة وثائقهم كل حسب فقه ودرجة علمه، وقدرة استيعابه للمادة واطلاعه على أسرارها، فتضخمت الوثائق الفقهية، وتكاثر عددها أضعاف ما كان عند المتقدمين .

ومن الموثقين المغاربة في هذا القرن الفشتالي [3] وأبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الاوسي المكناسي له شرح على وثائق الجزيري سماه المنهل المورود في شرح المقصد المحدود، ونعد من موثقي هذا القرن ابن سلمون[4] صاحب العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام .

---

[1] - الصغير : أبو الحسن على بن عبد الحق الزرويلي الخمسي الغماري من كبار المفتين بالمغرب ولي قضاء فاس ودرس بها . توفي سنة **719** هـ/**1319** م . انظر الزركلي: **اعلام** ، ج **5** ، ص**156** ، السلاوي: **الاستقصا، ج 2** ، ص **49– 87** . محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تحقيق عبد المجيد خيالي،دار الكتب العلمية، مج**2**، طبعة **1**، **1424**هـ – **2003**م، ص **215** ، الحميدي :**جذوة الاقتباس**،ج **2** – ص **472** ، مطبعة دار المنصور .

[2] - انظر الصنهاجي:**مقدمة تحرير الوثائق العدلية** .

[3] - الفشتالي : محمد بن احمد بن عبد الملك تولى قضاء فاس، توفي سنة **777** هـ – **1375** م . أنظر الزركلي: **اعلام، ج 6** ، ص **225** .العسقلاني: **الدرر الكامنة، ج 3** ، ص**330** ، ابن قاضي المكناسي :**جدوة الاقتباس،ج1**، دار المنصور للطباعة والوراقة – الرباط، 1973م ، ص **234** .

[4] - ابن سلمون : عبد الله بن علي بن عبد الله بن سلمون الكتاني ولد بغرناطة وتنقل بين مالقة وسبتة شجرة النور **214** ، الزركلي: **اعلام** ،ج**4** ، ص**243** .

وفي القرن التاسع الهجري، ظهر الإمام الونشريسي[1] الذي ألف شرحا على وثائق الفشتالي طبع على الحجز، كما ألف المنهج الفائق والمنهل الرائق والمغني اللائق في آداب الموثق وأحكام أو وثائق طبع الحجز أيضا . كما ألف أبو الحسن الزقاق [2] تحفة الحكام بمسائل الدعاوي والأحكام.

انصرم القرن التاسع واتى القرن العاشر ببعض التجديد في هذا الفن، حيث قام علماؤه بتجريد الوثائق من الأحكام والشرح والاقتصاد على موضوع الشهادة، وزعيم المجددين في هذا الإمام احمد بن الحسن بن عرضون [3] الذي ألف كتابه المسمى باللائق لمعلم الوثائق والذي يعتبره المختصون في هذا الفن من أحسن ما ألفه في علم الوثائق.

3-الأندلسيون والتوثيق

لذا اهتم الأندلسيون بتحرير الوثائق الوقفية، وأعطوها بعدا دينيا وحضاريا بحيث تمارس فيه كافة الصلاحيات، وكان الإهتمام بذلك لاسيما خلال العصر

---

[1] - الونشريسي : احمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني حامل لواء المذهب انتقل إلى فاس سنة **874** وتوفي بها سنة **914** هـ . **1508** م. انظر السلاوي: **الاستقصا** ، ج**2**- ص**182** ، الكتاني : **فهرس الفهارس**، ج **2**- ص**438** ، ابن مريم: **البستان** ، **ص53** الحفناوي :**تعريف الخلف** ، ج**1** - ص**58** ، الزركلي: **أعلام، ج 1**- ص 255 ، المكناسي: **جذوة الاقتباس،ج 1** - ص **156** ، عادل نويهض: **أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ، ص **49** .

[2] - الزقاق : علي بن قاسم بن محمد الزقاق التجيبي توفي سنة 912 . انظر المكناسي:جدوة الاقتباس، ج **2** - ص**476** .

[3] - ابن عرضون : ابو العباس احمد بن الحسن بن يوسف بن محمد بن عمر بن يحيى بن عمر الزجلي الموسوري الصالحي القرشي الغماري ... انظر ترجمته في المصادر التالية : محمد بن محمد بن عمر قاسم مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، مج**2**، طبعة **1**، ص **286** ، كحالة: **معجم المؤلفين،ج 1** – ص**199** ، الزركلي :**الإعلام** ، ج**1**- ص**108** ، الحجوي :الفكر السامي، ج**1** - ص **104** ، ابن عجيبة :**البستان** ، ج**1** - ص **141** ، الكتاني :**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس،ج1**، عبد الله الكامل الكتاني و حمزة بن محمد الطيب الكتاني و محمد حمزة بن علي الكتاني،دار الثقافة، الطبعة 1، 1425هـ - **2004**م، ج**2** - ص **268** ، المكناسي: **جدوة الاقتباس** ، ج **1** - ص**160** وهو فيه احمد بن علي .

المرابطي والموحدي، بحيث وضع المرابطون وضعا قانونيا للأوقاف واعتبروا وثائقه كسبيل في المعاملات الإدارية والاقتصادية خاصة، كما تشدد المرابطون في نظام الوقف وأقروا وفق منهج العقيدة السمحة أن لا يجوز صرفه إلا في موضع أو مقصد الحبس حماية لحقوق الناس[1]، وهذه النظرة منطلقة من منهجهم السلفي.

وجاء الموحدون تتمة لأعمال المرابطين إلا أنهم أعطوا للوقف بعدا شاملا بعيدا عن التقييد الفقهي الذي حرص المرابطون على تطبيقه وكان يكتب الوثيقة ويشهد فيها، وقد استمر عملهم في مشارق الأرض ومغاربها على أخذ الإجارة على ذلك واتخذوا لذلك في بلدان شتى أسواقا يجلسون فيها لبيع الشهادات ورأوا ذلك من أطيب المباحات[2] ، ومنه أن يقول في الشهادة على مجرد خطه[3].

فأراد بعض الفقهاء الأندلسيون التعبير عن أهلية التوثيق، فلقد خطب الفقيه العاقد بالمرية المعدود من مفاخرها المعروف بابن الصائغ وهو شيخ العدول ومن أهل المالية أحد بنات دنون من أعيانها فقال:"ولا أرضاه حتى يتوب من التوثيق، فإن الموثق ليس من أهل الحشمة" فقيل لها في ذلك فقالت :"كل من يلازم أي دكان لأي شيء كان، فهو سوقي لاسيما إذا كان يعمل عملا بدرهم"[4] .

---

[1] - ابن الخطيب، **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**، تحقيق وتقديم عبد المجيد تركي،(دراسات وثائق)، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر،**1983**م.ص**86**.

2 – ابن الخطيب، **مثلى الطريقة في ذم الوثيقة**، ص**86**.

3 – محمد حميد الله **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، بيروت،**1987**م.ط.**6**،ص**613**.

4 – محمد حميد الله **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، بيروت،**1987**م.ط.**6**،ص**97**.

أما عن موادها فكانت "لا تحصل إلا بالمران من حفظ للنصوص وكثرة المزاولة والخبرة والتوفيق بين تعليمي الكبر والصغر مما ضربت به الأمثال حتى في رقص القردة"[1] .

وكانت المدن المعتبرة من بلاد الأندلس من أهل النفعة كبني الجد بإشبيلية وبني خليل كانوا يتعيشون من فضول أملاكهم، ويقعدون بدورهم عاكفين على بر منتابين لرواية وفتيا، وكان الناس يقصدونهم في الشهادة ويجاملونهم"، فكانوا يهدون إلى سبيل الحق من غير أجر ولا كلفة إلا الحفظ على المناصب وما يجري به السلطان من الحرمة والتفقد"[2]، بل إن بعضهم كانوا من أشهر الوثاق كابن العطار **(ت399هـ/1008م)**[3] ولم يتقاضى عليها أجرا طيلة انتصابه له فكان أن قصد الحق وتحرى الصدق[4] .

وكان الوثاق كإمام الصلاة في المساجد، وعندها يزول كل مانع من تمكينه من مرتب بيت مال المسلمين، وكان غالبا يجمع بين الشهادة والكتابة[5] .

1 – محمد حميد الله: المصدر نفسه، ص:**99**.

2 - ابن الخطيب: **مثلى الطريقة** ،الباب **13**.

3 – ابن العطار ، هو محمد بن احمد بن عبد الله المعروف بابن العطار ، قرطبي ، ثابتا في الفقه لا نظير له، حاذقا بالشروط وكان من افضل فقهاء وقته بمعرفته بالنحو واللسان ، وكان فريدا عن فقهاء وقته (ت**399**هـ /**1008**م). انظر: عياض: **ترتيب المدارك**، ج.**2**،ص **250-246**.

4 – ورد في الباب **07** ان الموثق ان يكون معتذرا في محله وكما يقع في الوثيقة ."الونشريسي: **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق باداب الموثق واحكام الوثائق** ،مخطوط بالمكتبة الوطنية ،الحامة ،رقم **1216**.ابن الخطيب، **مثلى الطريقة**، ص، **114** .

5 – ابن الخطيب: **مثلى الطريقة** ،الباب **13**.

وتبدا وثيقة الوقف بوقف المحبس بانه صدقة مؤبدة محرمة ويعقب ذلك تمية المحبس والمحبس عليهم وموضوعه أي تفصيل في موقع الحبس (الحدود ،التسمية، الجهاة الاربع)[1]، ثم المعرفة بقدر على خلاف فيه [2]، ويجب ان يثبت بها واقف ماتضمنه في التسمية والحدود الذرع[3] وعقد الاشهاد عليه ويكتب في نهاية الوثيقة اسماء الشهود وتاريخه[4] .

ولا يكون العقد في تمامه إلابشهود الأصل وأن الشهادة تكون على عينة[5]، ويكون على الشهود احترام الحبس حسبما استفتح به العقد[6]، ولا يتم عقد التحبيس الابعد معرفة عدالتهما"[7]، وليمعن النظر في امر الشهود واحقهم وذلك بإمعان النظر شهود القيمة والعمائر الذي يقطع بقولهم في أملاك الأيتام والاوقاف و (...) ومنهم الشهود من يشهد في قيمة المثل ويتعين أن يكون من أهل البلد الأمثل (...) ومنهم من أذن له بالعقود[8] ، وكان قبول الشاهد العدل " التعريف

---

1 – محمد امين:مرجع سبق ذكره ،ص **100**.

2 – عبد الواحد المركشي: **المعجب** ، ص **319**.

3 – ابن رشد ، **الفتاوى** ،ج.**2**،ص ص:**114– 115**. الونشريسي، **المنهج الفائق** ،الباب العاشر في الالفاظ التي ياوصل بها الموثقون.

4 – La gardère , Op.cit,p**235**. محمد امين: المرجع السابق ، ص **100**.

5 – الونشريسي : **المعيار المعرب** ، ج**7**،ص **339**.

6 – نفسه ، ص **441 – 462**.

7 – نفسه ،ص **506**. كما ان التدليس في خط الشهادة يؤدي بصاحبه الى قطع اليد . ابن هشام من مصدر سبق ذكره.

8 – ابن الخطيب : **مثلى الطريقة**، ص **39** .

بالمشهود عليه مما اتفق والحق فيه ان يكون عدلا بالنظر إلى باب الشهادة والخير ، وكان الشاهد لا يشهد على من لا يعرف إلا بعد معرفة اسمه وعينه ونسبه وان الموثق ينبغي له الاحتراز ويكون استناد الشهود إلى علم ماذكر انهم شهدوا به لإقرار الحبس [1].

وقد تنوعت وثائق الوقف الأندلسية من حيث الشكل والمضمون، فهناك وثائق قابلة الأحباس فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

تقبل فلان بن فلان جميع قبلاته، وتختم الوثيقة بان يشهد على الوثيقة جماعة شهدوا على سنة المسلمين ومراجع ادراتهم، شهد[2] ... وهناك وثيقة الجوائح، بحيث يذكر نوع الجائحة وما مدى أضرارها[3] . وعليه رغم تعدد مضمون ومحتوى الوثيقة الوقفية الاندلسية الا انها ساهمت في اعطاء وضع قانوني للأحداث، ويبرز مدى اهميتها كوثيقة في التعاملات العقارية، وبالتالي لم تهدر حقوق افراد المجتمع الاندلسي سواء كان ذميا أم بربريا أم عربيا، وكان لا يجوز تغير شروط الواقف او مصارف ريع الوقف التي حددها الواقف في وثيقة وقفه[4] .

---

1 – ابن الخطيب : **مثلى الطريقة،** ص **48**. وابن الاخوة : مصدر سبق ذكره ، باب **51**.

2 – عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين** ،ص **487**.

3 – عبد الواحد المراكشي: نفسه، ص **455**. وغن وثائق الوقف الاندلسي ، انظر: ابن هشام الأزدي: **مفيد الحكام في نوازل الحكم** ، رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية ،الحامة ، رقم **1364**.

4 – ابن عبد الرؤوف: مصدر سبق ذكره ، ص **83– 84**.

وتجدر الإشارة أن الوثائق الوقفية بطبيعتها تمدنا بمعطيات عينية عن الحياة الزراعية بشكل عام نظرا للارتباط الوثيق بين الأرض والوقف، فالأراضي الزراعي كما هو معروف مصدر من مصادر الانفاق على المنشآت والمؤسسات الوقفية (الجوامع ،المكتبات ،العمارات، .....) وقد ازدادت بشكل واسع في عهد الموحدين حتى صارت الأراضي الزراعية تدعى أراضي الأحباس، ومع ازدياد الاهتمام بالأوقاف ورصد المزيد من الأراضي.

المبحث الرابع

الإقطاع في الأندلس

الإقطاع في الدولة الإسلامية غير الإقطاع الذي عرف في أوربا في العصور الوسطى المظلمة، فالإقطاع في الدولة الإسلامية، لذلك فنحن بحاجة ماسة إلى الوقوف على ماهية الإقطاع في الحضارة الإسلامية عامة والأندلس خاصة وأنواعه وكيف كانت الدولة الموحدية تسيره، وتوظفه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

تعريف الإقطاع وأنواعه

تعريف الإقطاع لغة واصطلاحا:

لغة: تمليك أرض أو اعطاء قطعة من الأرض[1] .

اصطلاحا: جعل بعض الاراضي الموات مخكصة ببعض الأشخاص[2] ، أو هو تسويغ الامام من مال الله شيئا لمن يراه أهلا لذلك، وأكثر ما يستعمل في الأرض، وهو أن يخرج منها لمن يراه ما يحوزه، وإما بأن يملكه أياه فيتعمره، وإما بأن يجعل له غلته مدة[3] .

وتم تصنيف الإقطاعات بحسب حقوق ما لكيها، ومركز أصحابها كمايلي :

إقطاع تمليك: لصاحبها الملكية التامة عليها، وحق وراثتها وهي أصلا أراضي الموات التي تم أحياؤها، ومن توفي دون وريث لها .

---

1 – الرازي: **مختار الصحاح**، المطبعة الأميرية، مصر **1923**م، ص**543**، المعجم الوسيط، اشراف مجمع اللغة العربية، ج**2** مصر **1961**م، ص**745**.

2 - الشوكاني: **نيل الاوطار**، ج**5**، ط، الحلبي، **1380**هـ، ص**35**.

3 - أحمد يوسف: **بحوث في المعاملات**، دار الثقافة العربية، مصر **1989**م، ص **245**.

وهو بدوره تنقسم فيه الأرض المقطعة إلى ثلاثة أقسام:

موات، وعامر ومعادن، والموات على ضربين[1]: أحدهما مالم يزل مواتا على قديم الدهر فلم تجر فيه عمارة ولا ثبت عليه ملك فهذا الذي يجوز للسلطان أن يقطعه من يحييه ومن يعمره، ويكون الاقطاع على مذهب أبي حنيفة شرطا في جواز الاحياء لأنه يمنع من احياء الموات إلا بإذن الإمام، وعلى مذهب الشافعي أن الاقطاع يجعله أحق بإحيائه من غيره وإن لم يكن شرطا في جوازه لأنه يجوز إحياء الموات بغير إذن الإمام، فكلا المذهبين أقرا بأحقية المقطع بإحيائه.

والضرب الثاني ما كان عامرا فخرب فصار مواتا عاطلا: وقد يكون أحدهما جاهليا كأرش عاد وثمود فهي كالموات الذي لم يثبت فيه عمارة ويجوز اقطاعه، والثاني ما كان اسلاميا، جرى عليه ملك المسلمين ثم خرب حتى صار مواتا عاطلا، واختلفوا فيه على ثلاثة أقوال[2]:

الشافعي: ذهب الى أنه لا يملك بالاحياء، سواء عرف أربابه أو لم يعرفوا

الامام مالك: يرى بأنه يملك بالاحيا سواء عرف أربابه أو لم يعرفوا[3].

إقطاع استغلال: وهي التي تعطي بالإيجار أو بالضمان أو بالزراعة وكانت أصلا من أراضي الصوافي ويدفع مستغلها نسبة معينة من الحاصل أوهو أيضا أن

---

1 - الماوردي : **الأحكام السلطانية**، ص **248**.

2 - أنظر الماوردي: المصدر نفسه، ص **248**.

3 - الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص**249**.

يعطي الإمام من يراه أهلا أرضا مواتا أو عامراً ليستغله ويبقى الأصل للمسلمين سواء أكان ذلك الاستغلال بعوض أو بدون عوض، وللإمام أن يسترده للمصلحة[1]

ج -الإقطاع المدني : وهو خاص بكبار رجال الدولة من وزراء وغيرهم بدل الرواتب و شاع استعماله في القرن الرابع الهجري .

د-إقطاع الإرفاق: وهو أن يقطع الإمام أو نائبه شخصا مكان ينتفع به دون أن يملك رقبته، ويكون أحق من غيره، وهو خاص بأماكن البيع والشراء ونحوها في الأسواق والطرقات[2] .

ه-الإقطاع الخاص: خاص ببعض الشخصيات قدموا خدمات جليلة للدولة كالشعراء ، والمحدثين، والفقهاء، والموسيقيين ....

و-إقطاع الخليفة : ظهر هذا النوع في فترة النفوذ البويهي حيث استولى معز الدولة على ضياع الخليفة، وخصص له إقطاعا خاصا .

ز- الإقطاع العسكري : خاص بكبار القادة والقواد العسكريين، وظهر هذا النوع في عصر النفوذ التركي .

تاريخ الإقطاع الأندلسي:

منذ أن اعتبر الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز الأندلس ثغراً أعطى العرب الوافدين على الأندلس إقطاعات واسعة، حيث يقول ابن الخطيب : " ولما استقر ملك الإسلام بجزيرة الأندلس، ورمى إلى قصبتها الفتح واشراب في عَرصاتها الدين، و نزلت قرطبة وسواها العرب، فتبوءوا الأوطان وعمرو البلدان "كما يضيف أن أبا

---

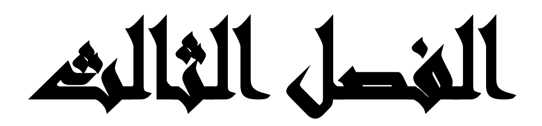
[1] - القاسم بن سلام: **الأموال** ،(المكتبة التجارية ، مصر**1953**م)، ص**268**.

[2] - القاسم بن سلام: **الأموال** (المكتبة التجارية، مصر**1953**م)، ص**267- 268** .

الخطار والى الأندلس " أنزل جند دمشق كورة البيرة وجند الأردن كورة جيان وجند مصر كورة باجة وبعضهم بكورة تُدمير:فهذه منازل العرب الشاميين، و جعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طُعمَة، وبقى العرب البلديون والبربر وشركاؤهم، فلما رأوا بلدانا شبه بلداهم بالشام نزلوا وسكنوا و اغتبطوا و كبروا و تحولوا، إلا من قد نزل منهم ... موضعاً رضيا" .

وفي العصر الموحدى استمر نظام الإقطاع ولكنه اتخذ أشكالا تختلف عنها في عصر المرابطين.

هذا ما سنعرض له في الفصول القادمة بشيئ من التفصيل في الأبعاد السياسية والاقتصادية للعقار الأندلسي في عهد الموحدين



خطة العقار في الأندلس

(عصر الموحدين)

الفصل الثالث

خطة العقار في الأندلس (عصر الموحدي)

تمهيد:

إن قراري بالوصول إلى هذا العنوان النهائي "خطة العقار في الأندلس خلال العهد الموحدي كان بين أخذ وعطاء ومناقشات جادة مع أهل التخصص، فكان عنوان هذا الفصل عندما بد،ت أخط الورقات الأولى لهذا البحث: **التنظيم العقاري في الأندلس خلال العصر الموحدي**، ولكن اعتراض أحد المتخصصين بأنه يقضي على عنوان الرسالة، وكيف لرسالة كالدكتراه أن تختزل في فصل، فغير العنوان إالى: **تسيير العقار في الأندلس خلال العصر الموحدي**، ولكن التسيير مصطلح له دلالة ادارية بحتة وكيف لنا أن نختصر حضارة أمة كالموحدين في جانب اداري، وبعد طول تفكير رسينا على: **"خطة العقار في الأندلس خلال العصر الموحدي**"، وهو عنوان شامل لرؤية الدولة ويرسم أهدافها البعيدة، في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

هذا وقد كان تنظيم العقار في الأندلس في العصر الموحدي وحسن تسييره، له دواعي وانعكاسات، فأما الداعي: فهو رغبة الموحدين في تأسيس دولة قوية مطبوعة بطابعهم الثلاثي: العظمة، الدين، التجديد.

وأما الانعكاسات: فهي تعكس صورة الدوله التي وصلت إلى أوج الحضارة الانسانية في أزهى عصورها، وإن هذا الحس التنظيمي ناشئ من نظرية التوحيد التي انتقلت من الجانب الديني إلى السياسي، ظلت هذه الفكرة مسيطرة على كل نظم الدولة.

وتأثر الدولة الموحدية بالأندلس واضح في كل المجالات وربما كان عامل قوة وعنصر اضافة، وقد استفادت من الدول التي سبقتها إلى الأندلس فانعكس ذلك على كل الأصعدة الحضارية بما فيها النظم والعقار.

وهنا يسوقنا الحديث إلى طرح الاشكال التالي، هل مفهوم الدولة المتكامل كان يحمله ابن تومرت وأحفاده من بعده، أم أن مفهوم الدولة تطور حيث بدأت دينية وانتهت سياسية؟

إن رسم ملامح تنظيم العقار الأندلسي في العصر الموحدي يمكن أن نستلهمها ونستقيها من طبيعة الدولة الموحدية في نظمها السياسية وتنظيماتها الادارية والعسكرية.....الخ.

وسأحاول مجتهدا أن أرسم صورة تقريبية متكاملة لرؤية الدولة الموحدية في حسن تسييرها وتنظيمها للعقار معتمدا في ذلك على بعض الاشارات المبثوثة في كتب النوازل وكتب الحسبة والعقود والمصادر المتخصصة في تاريخ الدولة الموحدية.

وعموما فقد استطاعت الدولة الموحدية أن تضبط خطة واضحة في تسيير العقار الأندلسي، وهو ما يعكسه هذا الفصل الذي يجسد رؤية الدولة المتكامل لمفهوم المدينة، ومدى توفرها على أهم منشآت ومرافق هذه الأخيرة –المدينة- سواء كانت اقتصادية، أو اجتماعية، أو عمومية، أو عمارة: دينية ومدنية وعسكرية، ناهيك عن حسن تدبيرها، وانفاقها على البناء والتعمير، أو ما خصصته الدولة من تحفيزات وتشجيعات للمستثمرين الفلاحيين، وهذا ما سنعرضه في هذا الفصل باعتباره حجر الزاوية، وبيت القصيد من بحثنا، محاولا تبيين كيف استطاعت الدولة الموحدية في أزهى عصورها أن تضبط وتشجع حركة البناء والتعمير؟ وكيف رسمت سياستها في تسيير منشآتها الاقتصادية، محاولا تتبع لمسة الدولة التنظيمية البعيدة عن الفوضى والارتجالية في التوزيع والتسيير، والوقوف عن منهج وسياسة الدولة في

تفادي الأزمات المتوقعة والنزاعات المحتملة أو تسكينها بين أفراد المجتمع؟ وماهي سياستها المنتهجة في توزيع العقار الفلاحي والعمراني؟

هذا وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث: فأما الأول فتكلمت فيه عن أهم المنشآت الاقتصادية(كالأسواق، والفنادق، والحمامات، والقياسر)، بينما المبحث الثاني خصصته للحديث عن أهم المنشآت الاجتماعية والمرافق العمومية(كالدور، والقصور، والمستشفيات، والحدائق والمتنزهات)، وجاء المبحث الثالث للحديث عن المنشآت العمرانية(وهنا حاولت أن أقسمه إلى ثلاثة أقسام: العمارة: (الدينية، والعسكرية، والثقافية)، بينما المبحث الرابع أفردته للحديث عن الأراضي الزراعية بمختلف أنواعها.

المبحث الأول

منشآت اقتصادية

تمهيد:

العقار الاقتصادي هو كل مساحة أرضا كانت زراعية أو عمرانية ذات اسهام اقتصادي، كالأسواق والحوانيت والفنادق والخانات والقياسر والأراضي الزراعية باختلاف أنواعها.

وفي هذا النوع نجد نوعين من العقار: خاص(ملكية فردية ذات منفعة خاصة) وعام(ملكية الدولة).

ويكمن البعد التنظيمي للدولة الموحدية في حسن تسييرها لهذه المنشآت، وعدم وجود نزاعات وخلافات على ملكيتها أو وثائق حيازتها مع تدخل الدولة لفض كل نزاع عن طريق نظم الدولة الادارية كالقضاء والمظالم وجهاز الحسبة والبت في الخلافات، مع حسن ضبط لتوثيق هذه العقود بالملكية أو الكراء والايجار.

وقد ازدهرت المنشآت والمرافق الاقتصادية في هذه الفترة مثل: الأسواق والحوانيت والفنادق للتجارة، وطواحين "الارحاء"، والمطامير والأهراء والأفران، وهي منشآت لاءمت اهتمام أهل الأندلس، وقد جسدت هذه المنشآت لحالة الأمن الغالبة على الأندلس، ولصورة الدولة المقتدرة.

ولنبدأ بأهم هذه المنشآت:

أولا: الأسواق

تعكس الأسواق الحياة الاقتصادية ونشاطها الزراعي والصناعي، وقد تنوعت في الأندلس، فهناك أسواق في الريف وأسواق في المدن .

تعد الأسواق بمثابة القلب النابض لاقتصاد المدينة الاسلامية ففيها تتم المعاملات التجارية من بيع وشراء وكذلك الصناعات المختلفة، وهي المرآة التي تعكس الحالة الاقتصادية للمدينة الاسلامية ازدهارا أو انهيارا، حيث تتأثر الأسواق بالحالة السياسية، وللأسواق أهمية اجتماعية حيث أنها تظهر صورا من الحياة الاجتماعية داخل الأسواق وخارجها، وتشير المصادر الجغرافية إلى غنى المدن الأندلسية بالأسواق المزدهرة في قرطبة وطليطلة واشبيلية وغرناطة، حيث كان لكل مدينة سوق أو أكثر وكانت هناك أسواق تقام في القرى –والتي تصل في جيان إلى ثلاثة آلاف قرية[1].

تعكس الأسواق الحياة الاقتصادية ونشاطها الزراعي والصناعي، وقد تنوعت في الأندلس، فهناك أسواق في الريف وأسواق في المدن .

فأقيمت الأسواق في القرى والحصون، وتعقد بشكل دوري أسبوعيا، فكان سوق قرية اندرش –من قرى الميرية – يعقد كل يوم خميس من كل أسبوع ويعقد سوق قرية شوذر من قرة جيان – يوم الثلاثاء أسبوعيا[2]، وذكر الإدريسي في قرى وحصون الأندلس[3] مثل سوق قرية فيسانة وسوق حصن بكيران، وسوق قرية برجه، سوق حصن قيشاطة، وسوق حصن آشر، وسوق حصن القبذاق، ووصفت هذه الأسواق بأنها عامرة ومشهورة في إقليم الشرف بإشبيلية قرى كثيرة، فكانت "كل قرية عامرة بالأسواق"[4].

---

1 – ابراهيم السيد الناقة: **تاريخ الأندلس الاقتصادي**–الأسواق الصناعية والتجارية في الأندلس، عصري الخلافة الأموية والخلافة الموحدية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، **2010**م، ص**15**.

2 – الحميري:**الروض المعطار، ص 117**.

3 – الإدريسي: **صفة المغرب**: ص**190– 191– 193– 196– 200– 202–203**.

4 – المقري: **نفح الطيب**، ج**1**،ص**159**.

ويباع في هذه الأسواق منتجات الفلاحين الزراعية والحيوانية وما يفيض عن حاجاتهم، فيباع فيها بذور وزريعة الأرض، ويباع فيها أنواع الخضر والفواكه، والأدوات التي يحتاجها البيت الريفي والحقل مثل: الحصير والقفف والغرابيل والفخار والأحبال، والقدور والحطب وغير ذلك من خيرات الريف[1].

كما وجد سوق الدواب في الأرياف أو خارج المدن في الأرباض مثل: سوق مرسية وسوق طليطلة، وسوق دواب اشبيلية، الذي أشرف عليه أمين " يرجع إلى قوله عند الاختلاف في الأشياء "[2] ووجد أيضا في ملقة سوق الدواب، ويشترط معرفة بائعي الدواب من التجار خوفا من التدليس والغش وبيع الدواب بها عيون مستترة [3]، كما وجدت كذلك في شاطبة وقرطبة خارج الاسوار [4]، ويراقب هذه الاسواق عيون للمحتسب[5] .

أما أسواق المدن فأغلبها مسقوف حتى لا تتعرض لعوامل الطبيعة من حر ومطر وبعضها مكشوف، وهنالك أسواق يومية في المدن يتجمع فيها التجار والباعة وأهل القرى القريبة من أسواق المدن، و لا تخلوا مدينة أندلسية من أسواق أسبوعية —بجانب السوق اليومي— فلمدينة قبرة سوق جامعة يوم الخميس[6] ولمدينة قرمونة

1 – ابن عبدون:**رسالة في الحسبة** ، ص**35–36–38–41**، ابن عبد الرؤوف :**ثلاث رسائل في الحسبة** ،ص **102**، السقطي:**آداب الحسبة**، ص**41– 64–67**، الونشريسي:**المعيار**، ج**5**، ص**249– 6– 56**.

2 – ابن عبدون: **رسالة في الحسبة**، ص**53**.

3 – السقطي: **آداب الحسبة**، ص**65– 66**.

4 – المقرى: **نفح الطيب** ،ج**2**، ص**162**، عبد العزيز سالم: **قرطبة** ،ج**1**،ص**182**.

5 – ابن عبدون: المرجع السابق، ص**12**.

6 – الحميرى: **الروض المعطار**، ص**453– 461**.

سوق جامعة –يوم الخميس أيضا، وفي كل ربض من أرباض قرطبة سوق " وفي كل ربض ما يكفيه من الأسواق والفنادق[1]"

ولمدينة مالقة أسواق جالبة كبيرة[2]، ومدينة بسطة ذات أسواق وتجارة عامرة آهلة[3]، ومدينة بليش –تتبع ملقة – عامرة آهلة ضخمة الأسواق، حولها ضياع كثيرة [4]، و لمدينة المكنب أسواق عامرة كبيرة[5].

إن هذا الكم الهائل من الأسواق، تقريبا في كل مدن وقرى الأندلس يعكس رؤية الدولة المتكاملة للجانب الاقتصادي، وسعيها لتوفير فضاءات بالتساوي بين المدن والقرى من جانب، وبين المدن الأندلسية من جانب آخر، فهو بحق يجسد تشجيع الدولة للجانب التجاري من خلال خلق نقاط منظمة ومعتمدة من قبل الدولة تمثلت في الأسواق باعتبارها أهم منشئة اقتصادية.

وكان لكل نوع من أنواع التجارة والصناعة مكان في السوق، أو سوق خاص به، فهنالك سوق للحديد[6]، وسوق الخشابين[7]، وأماكن لبيع الخضروات والفواكه والطيور والمجبنات والرقيق وغير ذلك مما يباع في الأسواق"فلكل تجارة شوارع وحوانيت معلومة لا يختلط قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة، ولا يباع صنف بغير صنفه،

---

1 – الادريسي: **صفة المغرب**، ص**208**، الحميرى: **صفة الأندلس** ،ص**153**.

2 – ابن غالب: **فرحة الأنفس** ،ص**283**، ابن سعيد: **الجغرافية**، ص**140**.

3 – الادريسي: **صفة المغرب** ،ص**202**.

4 – ابن بطوطة: **الرحلة** ،ج**2** ، ص**187**.

5 – الحميرى: **صفة الأندلس**، ص**186**.

6 – القاضي عياض: **ترتيب المدارك** ،ج**4**،ص**418- 419**.

7 – ابن عذارى: **البيان المغرب** ،ج**2** ص**57**.

ولا تختلط المهن مع سائر الصناعات بغيرهم، فكل أهل تجارة منفردون بتجارتهم، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم[1]".

إن هذا التناسق والترتيب والتنوع والتخصص، يعكس صورة الدولة التنظيمية في بعدها الحضاري، وهو لا يتوفر إلا في الدول التي توفر عندها خطة واضحة في التوزيع والتسيير والابداع على كل الأصعدة.

هذا وتجدر بنا الاشارة إلى أن الأسواق نظمت فكانت دكاكين صفا متصلا ويقابله مثله ويفصل بينهما ممر معقود السقف[2]، وفي السماء تضاء المصابيح وبعد انتهاء السوق لا يبقى إلا الحرس، فإذا مشى أحد بعدهم ضربوا عنقه لأنه لا مشي حينئذ إلا من يسرق أو يخرج لضرب من الفساد[3] وزيادة على تامين الأسواق أقيمت المراصد على أطراف الأسواق وبداخلها الحراس [4] .

وأبعدت بعض الأسواق عن المدينة، فأقيمت خارج الأسوار، وسوق الخيول والبغال الحمير[5] وسوق الدباغين والفخارين والحدادين[6]، مراعاة لشعور الناس وسلامتهم والحرص على نظافة المدينة.

1- الإشراف على الأسواق:

تتطلب الحركة التجارية بين الأشخاص وتعدد المعاملات وجود مؤسسة إدارية تشرف على تنظيم الأسواق وإدارتها، وتعمل على فرض النظام وفك النزاعات

1 - اليعقوبي: **البلدان**، ص**230**.

2 - حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات**، ج**1**،ص**58**- **59**.

3 - الدباغ: **معالم الإيمان**، ج**3**،ص**86**- **87**.

4 - الدباغ :المصدر السابق:ج**3**،ص**86**- **87**.

5 - محمد المطلبي: **تراجم أغلبية** ، ص**226**.

6 - حسني إبراهيم مبارك: **التطور الاقتصادي لولاية إفريقية**، ص**135**.

والخصومات بين المتعاملين والتجار، ومحاربة الفساد وطرق التعامل التجاري غير الشرعية فكانت إدارة الحسبة[1] فهي الهيئة المكلفة بتنظيم هذه المؤسسة.

وتعتبر الحسبة من بين أهم الأعمال الإدارية في النظم الإسلامية، لذلك نجد كتب الفكر السياسي تتحدث عن هذه الوظيفة؛ من خلال تعريفها، وبيان شروط المحتسب، وغير ذلك، ويقصد بها: "الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله"[2] ، والاحتساب : هو النظر في أمور أهل المدينة بإجراء ما رسم في الرياسة الإصلاحية، ونهي ما يخالفها، بتنفيذ ما تقرر في الشرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3] .

فقد شدد الموحدون في تنظيم هذه الخطة لما رأوه من فساد في الفترة المرابطية حول هذه الخطة؛ من تهاون المحتسبين في أداء مهامهم، مما أدى إلى انتشار الغش في البيع ونوع البضائع، والتطفيف في المكاييل والموازين وغيرها من المخالفات[4]، الأمر الذي يدل عليه كثرة الشكاوى والمظالم التي كانت ترفع إلى القاضي ليفصل فيها، بسبب عدم قيام نواب المحتسبين بأعمالهم على وجهها، وتغاضيهم عن تلك

---

1 - الحسبة لغة: مصدر من الاحتساب؛وهو طلب الأجر ،والاسم حسبة، وهو الأجر،والاحتساب من الحسب كالاعتداد من العد،وتطلق على الإنكار، تقول احتسب فلان على فلان أي أنكر عليه. لسان العرب(مادة حسب) ،ج**1**، ص**630**، الزبيدي: **تاج العروس**،(مادة حسب) ج**1** ،ص**212**، **النهاية**:ج**1** ، ص**382**.

2 - الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية**،مطبعة مصطفى الحلبي،مصر،طبعة **3**،**1393**هـ/**1973**م،ص **240**.

3 - خالد عثمان السبت: **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**،أصوله وضوابطه وآدابه، المنتدى الإسلامي،لندن،طبعة الاولى، ،**1415**هـ/**1995**م ، ص**33**. أحمد صبحي منصور: **الحسبة دراسة أصولية تاريخية**، المركز العربي المصري،طبعة الاولى،،**1995**م، ص7 - **14**.

4 - الونشريسي: **المعيار المعرب**،ج**6**، ص**118**. ابن عبدون: **رسالة الحسبة**، نشر إ.ليفي بروفنسال، **1934**م،ص**41**- **42**. السقطي: **في آداب الحسبة**، ص**1**–**12**– **16**–**21**–**41**. المراكشي: **وثائق المرابطين و الموحدين**،تح:حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،طبعة الاولى، ،**1997**م، ص**365**-**380**.

المفاسد، واخذ الرشوة على ذلك، مما دفع بالسقطي إلى دعوة المحتسبين إلى ضرورة إشرافهم على مراقبة الأسواق بأنفسهم.

وكان يطلق على متولي خطة الحسبة في هذه الفترة المحتسب، حيث كان هذا لقبه إلى غاية القرن السادس الهجري[1]، أما الموحدون فأعطوه لقب أمين السوق، وأطلقوا على متولي خطة الحسبة في السوق؛ الأمناء[2]، حيث نجد هذا المصطلح في اللغة الاسبانية بلفظ"**Alamin**"، ويبدو أن هذه الخطة كانت فرعا عن خطة القضاء والمظالم، نظرا لإشراف القاضي عليها إذ كان المحتسب أو أمين السوق يعين من قبل القاضي[3].

غير أن الظروف فرضت على بعض الخلفاء الإشراف على أمناء الأسواق بأنفسهم، إما مبالغة من هؤلاء الخلفاء في تحري الحق، والشعور بروح المسؤولية تجاه منصب الخلافة، أو لأن الخليفة لم يكن يطمئن على تنفيذ القوانين وفرض النظام من قبل العمال، فكان يشرف على مراقبتهم بنفسه، حيث كان الخليفة المنصور يراقب أمناء الأسواق بنفسه، ويأمرهم بالدخول عليه مرتين في كل شهر، يسألهم عن أسواقهم، وأسعارهم، وحكامهم[4] .

وهناك الكثير من المهام المنوطة بالمحتسبين والأمناء في الأسواق، فصلها من ألّف في موضوع الحسبة؛ كالسقطي، وابن عبدون، والجرسيقي، وأحمد بن عبد

---

[1] - السقطي: **في آداب الحسبة**، ص **9- 10**.

[2] - المراكشي: **المعجب**،ص **341- 362**، **البيان المغربي (قسم الموحدين)**،ص**28**، ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**،ص**309**. أحمد عزاوي: **رسائل موحدية**،ج**1**،ص**67**.السقطي،**في آداب الحسبة**،ص**23**.

[3] - عياد المبروك عمار: **الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في الاندلس خلال عصر الموحدين** ، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد حمام،كلية الآداب، الرباط،**1424**هـ/**2002**م،ص**256**.

[4] - عياد المبروك عمار: المصدر نفسه ،ص**256**.

الرؤوف، وغيرهم، وجلهم معاصرون للفترة المرابطية، ولما تولى الموحدون السلطة أعطوا للأمناء صلاحيات واسعة من أجل ضبط أمور الأسواق، وتفاديا لما وصل إليه حالها في الفترة المرابطية؛ من الإهمال، وتفشي الفساد الإداري، الأمر الذي دفع بالسقطي إلى أمر المحتسبين بمباشرة مهامهم بأنفسهم، دون تفويضها إلى مساعديهم؛ حرصا على ضبط أمور الأسواق، والحد من الفساد[1]، ومن تلك الصلاحيات؛ مراقبة كل ما يتعلق بالمعاملات داخل الأسواق، والفض في الخلافات والنزاعات بين التجار والمتعاملين بصفة عامة، ومراقبة أسعار البضائع، بالإضافة إلى أمر أهم وهو ضبط الرسوم المفروضة على السلع وتحصيلها[2]، لحفظ النظام ولسير القانون ولتوفير الأموال للدولة.

2-الحانوت

توجد الحوانيت غالبا في أسفل المباني وقد تتكون من بناء قائم بذاته وتستخدم للخزن وعرض وبيع مختلف السلع والبضائع[3].

وتستعمل عادة مع مصطبلة ومدخل، وترتفع أرضية الحانوت على مستوى أرضية الشارع بمقدار متر تقريبا وتمتد مصطبلة الحانوت خارج إغلاق الحانوت[4].

وتطالعنا كتب الفقه والفتاوى والنوازل ببعض المنازعات التي نتجت عن تعامل الأفراد في الحياة العامة وكيف ضبطت الدولة هذه المخالفات من خلال أجهزتها الإدارية، منطلقة في ذلك من الشرع الحنيف، وفيما يلي بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر:حيث "اكترى رجل حانوتا لشهرين كل شهر بدينار، ثم اكراه

---

[1] - السقطي:**في آداب الحسبة**،ص **9- 10**.

[2] - المقري: **نفح الطيب**،ج**1**،ص **218- 219**.

[3] - محمد محمد أمين: **المصطلحات المعمارية** ، ص**32**.

[4] - محمد محمد أمين: المصدر نفسه ، ص**32**.

من آخر لهذين الشهرين، كل شهر بكذا، وانقضى الشهران، ومضى من ثلاثة عشرة ايام، ثم طلب المكتري لأول ما اكراه به شهرين، فقال: قد دفعت ذلك اليك، فأفتى الفقيه ان المكتري الثاني مصدق مع يمينه فيدفع الكراء"[1] .

وباع رجل حانوتا من رجل، وللبائع دار تلاصق الحانوت، وفي الحانوت حفرة مرحاض الدار، ولم يعلم المشتري بها حين التبايع، فأراد تبقيتها، فمنعه المشتري، وقال: بيعك الحانوت بجميع حقوقه ومنافعه يقطع حجتك، وحقك من الحفرة، فحكم المشتري بالخيار في التزام الحانوت ببيعه أو تركه.

وإذا قلت تجارة الحوانيت المكتراة لضعف الناس، فليست حاجة للمكتري لها القيام بها، سواء كانت الحوانيت للأحباس أو لم تكن، وإن رأى القاضي أن يحط على المكترين لحوانيت الأحباس على سبيل الإستلاف جاز له ذلك[2].

وسكن رجل في حانوت بكراء، ثم إن صاحب الحانوت أكراها لرجل آخر فطلب المكتري بإخلاء الحانوت ليسكن، إدعى الساكن الأول أن كراءه كان لمدة، وإنها لم تنقض، وقال صاحبها، بل كان الكراء مشاهرة[3]، كما أكرى رجلان حانوتا على أن الكراء بينهما نصفان، فأراد أحدهما أن يدخل في المتاع دون من صاحبه، وكان إحداهما إسكافي والآخر حجام، و في هذه الحالة: لا يجوز إلا برضى صاحبه، فإن لم يرضى حجزوه بنصفين أو على حصته كراء كل واحد منهما[4].

وسئل أحد الفقهاء عن الحوانيت برقي الجامع وافنيتها ساحة، وبين يديها سقائف على عند لاصقة بالطريق والناس يسلكون تحتها وهي نافذة وبين يدي

1- ابن سهل : **الإعلام**، ص**386- 387**.

2 - ابن سهل : المصدر نفسه .

3 - الونشريسي:**المعيار**، ج**5**، ص**281**.

4 - الونشريسي:المصدر نفسه، ج**8**،ص**235**.

الحوانيت دكاكين والطريق بين الدكاكين وبين العمد، فأراد أصحاب الحوانيت الطريق قطعه بالبناء واراد كل واحد أن يجعل حائطا من حائطه إلى العمد من الجانبين ليدخل إليه من العمد. فليس لهم قطع الطريق ببناء هذه السقائف ولا في كل حانوت منها إن كره ذلك أهل الحوانيت.

وهنالك أيضا حوانيت في هذه الصفة مملوكا فأراد أهلها سد الطريق بين السقائف واتخذوا دكاكين أما العمد ونصبوا عليها ركائز؟ فأرى أن ترد على حالها، ويمنع من تضييق الطريق، وأمام هذه الحوانيت فهي لهم وهم إذا قطعوا هذه الطريق – يريد أما السواري – ما يضر بالطريق، فليس ذلك لهم، إنما موضع السواري فناؤهم ومدخل الناس إليهم، فإذا فعلوا ما ذكرت زادوا فناء في الطريق.

وإنما الذي بين يدي هذه الحوانيت أفنية سقفت والأفنية لم تقسم، وهي كذلك قديمة فتبقى على حالها، وأما ما أرادوا من منع أهل البادية أن يلبثوا بدوابهم فلهم ذلك لضرر الدواب وازبالها[1] .

3–الأسعار وارتباطها بالملكيات الزراعية:

ترتبط الأسعار غالبا بالوضع الفلاحي المتأثر بالنظام السياسي والظروف الطبيعية، فترتفع الأسعار وتنخفض وفق ظروف العرض والطلب، وتأتي الأسعار عرضا في كتب التراجم والجغرافية، وترصدها المصادر السياسية في أوقات الشدة والأزمات.

التسعير لغة بأنه جعل الشيء له سعر معلوم ينتهي إليه[2] .

شرعا [1]: هو أن يأمر السلطان أو نوابه أو كل من ولي من أمور المسلمين أمرا أهل السوق إلا يبيعوا أمتعتهم إلا بسعر كذا، فيمنعوا من الزيادة عليه أو

1 - ابن الرامي: **الإعلان**، ص**90**.

2 – محمد بن علي الشوكاني :**نيل الأوطار**، **ج5**، دار الحديث، الطبعة الأولى،**1413**هـ -**1993**م ،ص**248**.

النقصان لمصلحة"، والأصل في التسعير الحرمة، ولا يجوز إلا في حالة الضرورة لما روي أنه "غلى السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لو سعرت؟ فقال: إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعر، و إني لأرجو أن ألقى الله – عز و جل –و لا يطلبني أحد مظلمة ظلمته إياه في دم ولامال "[2].

فالتسعير في الأحوال العادية حتى وإن غلى السعر محرم، لأن السعر يرتفع بأحد الأمرين، قلة المنتج، وإما بكثرة الناس، أو هما معا. والعلاج لا يكون بالتسعير حتى لا تختفي السلع، وإنما العلاج يكون بزيادة المعروض من الانتاج وتشجيع الانتاج. أما إذا تدخلت عوامل خارجية مثل الاحتكار، فيجوز لولي الامر التسعير في هذه الحالة .

ولهذا سعرت بعض المنتجات الاستهلاكية: زراعية وصناعية مراعاة للمصلحة العامة [3] وتتم عملية التسعير بين المحتسب وتجار كل سوق " فإن أراد الإمام العدل أن يسعر شيئا من ذلك، فيجمع وجوه أهل السوق، ويحضر غيرهم استظهارا على صدقهم، فيسألهم كيف يشترون ؟ وكيف يبيعون ؟ فإن رأى شططا في البيع نازلهم على ما فيه لهم وللعامة صلاح وسداد، حتى يرتضوا به، و يتعاهد ذلك منهم بعد ذلك في كل حين، فمن وجد منهم قد زاد في الثمن أمر أن يبيع كبيع أصحابه وإلا أخرجه من السوق وأدبه، وإن أراد واحد منهم أو إثان أن يبيعوا بأرخص من ذلك، لم يمنع من بيعه، فإن كثر من هؤلاء قيل لمن بقي من أهل السوق: إما أن تبيعوا كبيع هؤلاء، وإلا فارفعوا "[4] ،

---

1 – رواه الخمسة إلا النسائي، وصححه الشرمذي.

2 – **الطرق الحكيمة** ، تحقيق الدكتور محمد جميل غازي ، **ص 355**.

3– المجيلدي: **التيسير في أحكام التسعير**، ص**49**.

4 – ابن عبد الرؤوف: **في آداب الحسبة والمحتسب**، ص **89**.

ولا يحل التسعير إلا عن تراض[1] .

ولم تسعر البضائع على أربابها في الأندلس، بل تركت حرية الأسعار وفق العرض والطلب، وكان الملمح العام في الأسعار – في غير عصور الإضطرابات- هو الاستقرار والرخس وكثرة الخير والسعة[2]، وتدل على ذلك أوصاف الجغرافيين والرحالة .

أما في عصر الفتن والثورات فقد غلت الأسعار واختلفت من إقليم لآخر. فهنالك بعض الأسعار في المجال الزراعي والعقاري، وهنا نسجل ملاحظتان:

الأولى: في زمن الفتنة ينشغل الناس بها فيلهيم هذا الإنشغال عن العمل، أو يخافون من هذه الفتن فيعتزلون الناس ويقعدون عن العمل، فيستغل أرباب المال والمحتكرين هذه الظروف لترويج سلعهم وعرض بضائعهم ولنقص المنافسة وندرة السلع يلجأ هؤلاء التجار إلى الزيادة في الأسعار مستغلين غياب الدولة وشيوع الفوضى، فتكون خيالية ترهق كاهل المجتمع.

الثانية: قد تكون هذه الثورات والفتن عامل طرد للناس، لسوء الحالة الأمنية، وضياع الكثير من الحقوق، فيلجأ الكثير من الناس إلى الهجرة مضطرين إلى بيع أملاكهم بأبخس الأثمان، وتطالعنا كتب النوازل ببعض الحالات نذكر منها على سبيل المثال:

حيث بيعت دار صغيرة بعشرة دنانير، وبيعت دار متوسطة الحجم ب **60** دينارا، وبيعت دار اخرى باشبيلية باثنين واربعين مثقالا ذهبا معتمدية، ودار أخرى بمائتي مثقالا، وأخرى بمائة مثقال وخمسين مثقالا عبادية، وتم كراء دار حصة ثلث الدار أخرى متوسطي الحجم لمدة اثني عشرة عاما من سنة **447**هـ إلى **459**هـ بمائة

---

1 - المجيلدي: **التيسير**،ص**49**- **50**.

2 - ابن حوقل:**صورة الأرض** ، ص**109**، ابن عذارى المراكشي:**البيان المغرب** ،ج**3** ،ص**223**.

مثقال وأربعة أربعين مثقالا ونصف مثقال، وأكريت دار أخرى لمدة عامين بعشرين مثقالا عبادية، وأجّر آخر دارا للسكنى بحوانيت وفرن بسبعين دينارا سنويا[1].

وهناك أوصاف أخرى تدل على رخص الأسعار مثل الوصف بالعمارة وكثرة السكان والتحضر، والأسواق بها نافقة.

وفي فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين وما صاحب ذلك من ثورات واضطرابات وفتن نجد أنّهكثر استغلال أراضي الآخرين ظلما وتعديا، فلجأ ضعفاء الناس إلى بيع أراضيهم بسعر زهيد، ويعلل ابن خلدون هذه الظاهرة "بأن العقارات والضياع ترخص في فترة الإنتقال من دولة إلى أخرى حتى يستحوذ الفرد على أملاك الكثيرين"[2] ويسمي ابن خلدون هذه الظاهرة ب"حوالة الأسواق"[3]

ثانيا: الفنادق

الفندق هو المكان الذي ينزل به التجار والمسافرون وغيرهم [4]، وتحفظ فيه البضائع وتخزن وتباع أحيانا بالجملة، ولذلك كانت تسمى الفنادق بأسماء البضاعة المباعة فيها مثل الحبوب والقمح والخضروات والتين، أو تسمى بأسماء أصحابها مثل فندق زايدة بغرناطة، وشغل الفندق مكانة هامة في العمران الاقتصادي، ولذلك كثرت الفنادق على طول طرق المواصلات[5]، لخدمت التجار والعابرين .

ويتكون الفندق من بهو مستطيل أو مربع وتدور به ممرات تطل على هذا البهو، وتتوزع غرف الفندق وراء هذه الممرات، والطابق السفلي للمخازن

---

1 - ابن سهل: **الإعلام** ،ص**298**.

2- عبد الرحمان بن خلدون: **المقدمة**، ص**367** .

3 - عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي**، ص**149**.

4 - محمد محمد أمين وليلى علي إبراهيم: **المصطلحات المعمارية** ، ص**86**.

5 - السيد عبد العزيز : **في تاريخ وحضارة الإسلام بالأندلس** ،ص**115- 116**.

والاصطبلات، أما العلوي ففيه حجرات النزلاء ومخازن البضاعة المعدة للبيع، ويمكن الصعود للطابق العلوي من الفندق من درجين، وتخلو جدران الفندق الخارجية من أي منفذ لتجنب السرقات[1].

ولم يكن لفنادق الأندلس أسرة للنوم، بل كان النزلاء ينامون على حصر يمدهم بها صاحب الفندق كما كان يمدهم بالأغطية اللأزمة وأحيانا يقدم لهم الطعام "وهذه عوائدهم في جميع البلاد الأندلسية فعند كل مسفتين أو ثلاثة مسافات يجدون فندقا أو دارا معدة لنزول الضيوف والمسافرين فإن وصل المسافر إلى موضع منها ينزل ويجد فيه من الطعام مايشتهي وتبلغ به مقدرته، كل على قدر سعته ويجد العلف لدوابه، والفراش لنفسه، فيأكل ويستريح، ويطعم دوابه إن كان نهارا أو ليلا، فإن أراد الخروج قدم له حساب ذلك كله.[2]

أدى ازدياد النشاط التجاري في إقليم غرناطة في عصر الموحدين وكثرة عدد التجار الأجانب الواردين على تلك البلاد إلى بناء عدد من الفنادق داخل الأسواق التجارية لمبيت التجار الأجانب وقد اشتهرت هذه الفنادق في إقليم غرناطة خاصة في المدن التي اشتهرت بورود التاجر الأجانب إليها مثل مدينة ألمرية [3] التي ازدحمت بأعداد كثيرة من الفنادق، يقول الحميري " وتحوي مدينة ألميرية على ألف فندق إلا ثلاثين فندقا"[4] وذلك لخدمت التجار الأجانب، يقول الحميري " وكانت الميرية تقصدها مواكب التجار من الإسكندرية والشام"[5]، كما وجدت الفنادق في مدن

1 – الونشريسي: **المعيار**، ص**253**.

2 – الغساني: **رحلة الوزير**، ص31.

3– الحميرى: **الروض المعطار**، ص**184**، المقرى: **نفح الطيب** ،ج**1**، ص**153**– **154**،ج**4**، ص**206**، ج**1**،ص**162**.

4 - الحميرى: **الروض المعطار**، ص**184** .

5 – الحميرى: **الروض المعطار**، ص**184** ، يقول المقرى: "والمرية كانت محط مراكب النصارى" المقرى:**نفح الطيب**،ج**4**،ص**206**.

الأندلس وبخاصة في المدن التجارية، فوجدت في استجة[1]، وبزيليانة[2]، وشقر[3]، وطريف[4]، وقرطبة[5]، وقشاطة[6]، ويوجد في المرية[7] وحدها **970**فندقا.

وقد تجهزت هذه الفنادق لخدمت التجار الغرباء، فكانت تقام بجوار الحمامات " وغربيها –أي الميرية – ربض لها آخر يسمى ربض الحوض ذو فنادق وحمامات "[8] وفي موضع آخر "كان بها من الفنادق والحمامات نحو ألف[9] " وكان لبعض البلاد الأجنبية ذات الصلة التجارية بإقليم غرناطة منشآت تجارية بها مثل فندق الجنوبيين[10].

ولم تختلف نظم هذه الفنادق عن غيرها من فنادق المدن الإسلامية الأخرى سواء في المغرب أو الأندلس أو المشرق فيذكر جمال سرور إن هذه الفنادق قد زودت بكنيسة ليقيم فيها التجار شعائرهم الدينية وفرن لصناعة الخبز وكان يشرف على الفندق من يسمى بالفندقي [11].

---

[1] – الحميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ص **14**.

[2] – الحميري: المصدر نفسه، ص**44**.

[3] – الحميري: المصدر نفسه، ص**92**.

[4] – الحميري: المصدر نفسه، ص**127**.

[5] – الحميري: المصدر نفسه، ص**153**.

[6] – الحميري: المصدر نفسه ،ص**165**.

[7] – الحميري: المصدر نفسه، ص**183**.

[8] – المقري: **نفح الطيب**، ج**1**، ص **163**.

[9] – المقري: المصدر السابق، ص**152**.

[10] - Presscott. Ibd.p.**170**.

[11] – سامية مصطفة محمد مسعد: **الحياة الإقتصادية والإجتماعية في إقليم غرناطة عصري المرابطين والموحدين**، ص**153**.

وكان في هذه الفنادق مكان ليحفظ فيه التجار بضاعتهم وتغلق بأقفال رومية الصنع وقد انتشرت في غرناطة فكان بها فندق الجنوبيين، والفندق الجديد وفندق الزائدة وفندق السلطان[1] .

وتتعرض الفنادق للتدمير وقت الفتن والأزمات مثلما حدث لفندق بن أبي اصبغ الوزير في ارملاط إذ احرقه الببر في الفتنة البربرية[2] .

ولم تهمل النوازل ما قد يقع في الفنادق من قضايا، منها أنه تضرر صاحب الفندق من أحد جيرانه الذي أعلى إحدي أبنيته مما أضر بباب فندقه[3] ، و أكثر ما يصيب الفنادق من أضرار هي الفتن التي تمنع الناس التنقل في البلاد، لذلك سأل المكترون للفنادق : إذا قل الواردون في البلاد لسكن الفنادق المكتراة المتخذة للنزول فيها من فتنة أو خوف حدث في الطريق أو ما أشبه، هل ذلك جائحة (مصيبة) يحط بها الكراء عنهم، وكان رد الفقهاء أن ذلك عيب فيما اكتراه المكتري، فيكون مخيرا بين أن يمسك بكرائه أو يرده ويفسخ عن نفسه، فإذا سكت، ولم يقم حتى انتهت المدة لزمه جميع الكراء [4].

هذا وقد اهتم الخلفاء الموحدون بإنشاء الفنادق، فالمنصور قام بإنشاء العديد من الأسواق والفنادق التي قصدها التجار من كل ناحية[5]، وأنشأ قبله يوسف بن

---

1 – ابن الأبار: **التكملة لكتاب الصلة**، ج**2**، ص**576**– **577**.

2 – ابن عذارى: **البيان المغرب**، ج**3**،ص**88**.

3 – عياض : **مذاهب الحكام** ،ص**300**.

4 – ابن رشد: **الفتاوى**، ج**3**، ص**1282**، الونشريسي: **المعيار**، ج**7**، ص**452**، ج**8**، ص**282**، البرزلي: **نوازل البرزلي**، ج**2**، ص **122**.

5 – أبو العباس المراكشي: **وثائق المرابطين و الموحدين** ، ج **1**، ص**64**.

عبد المؤمن الكثير منها، بمدينة رباط الفتح[1]، وفي عهد الناصر بلغ عدد الفنادق التي انشئت للتجار حوالي سبع وستين وأربعمائة فندق[2]، وهذا العدد الكبير تسانده كتب النوازل الفقهية التي تشير إلى كثرة الفنادق، في الحواضر المغربية[3]، وفي الأندلس أيضا حيث وجدت الكثير من الفنادق، ففي مدينة ألمرية وحدها وجد ما يقرب من تسع مئة وسبعين فندقا في القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد[4]- ولم تكن الفنادق أماكن إقامة مؤقتة فقط، بل وجد الكثير ممن اتخذوا من الفنادق مكانا لاستقرارهم، ولإقامتهم الدائمة، ومنهم المتصوف المعروف ابن العباس السبتي، الذي كان يسكن بأحد الفنادق بمدينة مراكش[5]. وغيره في الأندلس.

ثالثا: القياسر:

أما القياسر فهي عبارة عن مجموعة من المباني العامة تضم مخازن وحوانيت ومساكن لمبيت التجار وكانت تعرض في داخل القياسر أنواع السلع المختلفة، وقد اشتهرت قيسارية غرناطة ببيع أنواع الحرير وصنوف السلع الفاخرة[6]، كذلك كان بمدينة المرية قياسرية " قد رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها قد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد الناس إليها من أقطارهم "[7].

---

1 – أبو العباس المراكشي : المصدر نفسه، ج **1**، ص**189**.

2 – حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ص**404**.

3 – الونشريسي :**المعيار**، ج **6**، ص**463**.

4 – السيد عبد العزيز سالم : **في تاريخ وحضارة الإسلام بالأندلس** ، ص**216**.

5 – أحمد بابا التنبكتي :**نيل الابتهاج**، ص**61**.

6 – العمرى:**وصف أفريقية** ، ص**38**.

7 – العذرى: **نصوص عن الأندلس**، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة **1965**م، ص**86**.

وقد ضمت هذه القياسر بعض المساجد، فكان يعلوها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر، ويذكر حسن حسيني عبد الوهاب أن الدولة كانت تقوم ببناء تلك القياسر ويتم تأجيرها لأرباب الحرف والمهن والصناع والتجار مقابل كراء متفق عليه[1].

ونظرا لرواج الحركة التجارية، ولتعدد الثقافات في الأندلس، ولكثرة روادها تم تزويدها بكل أسباب الراحة والاستجمام فبالإضافة إلى الأسواق التي يعرض ويروج فيها التجار تجارتهم والفندق الذي يأوون فيه كان لابد من وجود ما يبعث على أنفسهم أسباب القوة ويطرد عليهم التعب وكل الأوساخ فكانت الحمامات ولتقريب المسافات بين مدن وقرى الأندلس فكانت القناطر وقد كثرت هذه المنشآت المائية في الأندلس لتوفرها على الماء، وظلت هذه المنشآت مهمة، وإذا حدث بها عطب يسرع بترميمها وإصلاحها ، لذلك سنعرض لها.

رابعا: الحمامات

كان للحمام أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية في الأندلس فقد كانت عادت الإستحمام متأصلة في نفوس الأندلسيين، فكانوا يبالغون في العناية بنظافة أبدانهم وثيابهم ويكثرون من الإستحمام، وفيهم من لا يكون عنده قوت يومه، فيطويه صائما ويبتاعه صابونا يغسل به ثيابه[2].

---

1 – المقريزي: **الخطط** ،ج**2** ، ص**87– 89**، جمال سرور: **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، القاهرة، **1387**هـ ،**1967**م ،ص**160**.

2 – المقرى: **نفح الطيب**: ج**1** ،تحقيق محيي الدين عبد الحميد سنة **1949**م، القاهرة، ص**208**..

وإن كان المألوف أن يستعمل الجنسان نفس الحمامات وفي هذه الحالة أوصى ابن عبدون بأن لا يجلس متقبل الحمام للنساء فإن الحمام موضع عورة، ولهذا يجب أن تكون متقبلة الحمام إمرأة وذلك في المواعيد المخصصة للنساء[1].

هذا وقد خضعت الحمامات لرقابة المحتسب فيرى ابن عبدون أنه يجب أن تكون صهاريج الحمامات مغطاة، منعا للتلوث لأنها لو كانت مكشوفة لم تؤمن نجاستها، فهو موضع طهارة .

وحرصا على نظافة الحمام كان المحتسب يأمر اصحاب الخدمة بالحمامات أن يبيتوا محاكهم التي يحكون بها أرجل الناس في الماء والملح كل ليلة لئلا تكتسب الروائح ويغسلون مؤازرهم كل عشية بالصابون كذلك وصى الاجرسفي بالحرص على نظافة الحمام وستر العورة فيه كما أوصى ابن عبدون بأن لا يحك جسم مسلم نصرانيا أو يهوديا، وأوصى ابن عبدون أن لا يمشي الطيباب ولا الحكاك ولا الحجام في الحمام إلا بالتبان والسراويلات، وكثرت الحمامات في غرناطة كما سبق أن ذكرنا ومن أشهرها حمام التاج والواقع بالقرب من نهر حدرة وحمام فحص الوز أو حمام عشار ويسمى أيضا الحمام الصغير وهذا الحمام من الأبنية الهامة في القرن الحادي عشرة ميلادي وهو يقع في جادة نهر حدرة وهو سليم إلى حد كبير لأنه يتفق مع ذلك النوع من الأبنية التي تقوم على خصائص معمارية خاصة بذلك القرن[3].

وللحمام بهو تتوسطه بركة وبعض الممرات وربما مرحاض فيه بابان عليهما عقد أقل من نصف دائرة، أحدهما للصعود إلى السطوح والآخر يفضي إلى الغرفة الأولى لخلع الملابس والتي كانت تسمى ببيت المسلح تتلوها غرفة أخرى يطلق عليها اسم البادر وتقابل كلمة (TEPIDARIUM) وفي الحمامات الرومانية وهي مستطيلة وفي طرفيها حاجزان من البناء يؤلفهما عقدان على شكل حدوة الفرس

[1] – ابن عبدون: **رسالة في الحسبة** ، ص**48**.

فوق أعمدة لم يحفظ منها شيء يلي ذلك البين الأوسط ويقابل البادر ثلاثة ممرات فيها عقود على شل حدوة الفرس وبهذه الممرات قبوات نصف اسطوانية فيها طاقات تجلب الضوء، وتؤدي هذه الممرات إلى البيت الساخن.

كذلك توجد غرفتان صغيرتان بهما أحواض استحمام المغطس وهذه الحجرات لها أسقف على هيئة قبو نصف اسطواني، فيها فتحت فتحات صغيرة ينفذ منها الضوء .

وجدران هذا الحمام مبنية من ملاط شديد الصلابة، أما الحواجز والعقود والقباب فمن الآخر مع ملاط من الجير[1] .

تعد الحمامات من المرافق الحيوية في المدن الإسلامية لارتباطها بالنظافة والتطهر اللذان يدعوا إليها الدين الإسلامي، ولهذا السبب انتشرت الحمامات في كل أنحاء دولة الموحدين في المغرب كما في الأندلس، أما هذه الأخيرة فإن الحمامات وجدت بها قبل قيام دولة المسلمين بها بكثير[2] ، وكانت أول الحمامات ظهورا وانتشارا هي الحمامات الرومانية التي اختلفت عن نظيرتها الإسلامية في وظيفتها وتفاصيلها، فالحمام الروماني يجمع بين وظائف صحية واجتماعية وسياسية وتميزت بالاتساع لاشتمالها على برآة الاستحمام كبيرة وكانت برآة جماعية للإناث الذكور في وقت واحد ومن حولها مشاجب الثياب، وهذا يعني أن الحمام لم يكن مكانا مخصصا للنظافة والتطهر فقط، بل كان مكانا للمجون والممارسات الشاذة، ومثل هذه الأمور لم تحدث في الحمامات الإسلامية[3].

[1] – مورينو: **الفن الإسلامي في اسبانيا**، ص**310**.

[2] – كونل أرنست : **الفن الإسلامي**، ترجمة أحمد موسى، دار صادر،بيروت،**1966** ،ص**188**.

[3] – عبد الفتاح رواس قلعة جي: **مدخل إلى علم الجمال الإسلامي**، دار قتيبة، بيروت،لبنان، الطبعة الاولى، **1991**م، ص**64**.

والحمامات غالبا ما توجد بالقرب من المساجد، حيث يتيسر للمسلمين الاستحمام والتطهر قبل ولوجها للصلاة[1]، وبالإضافة إلى هذا الغرض كانت الحمامات مكان اللقاءات أفراد المجتمع ومرحهم وفيها كانت تقام مجالس الأنس واللهو والغناء فقد كان الذهاب إليها فرصة لتغيير الجو، والتمتع بقسط من الراحة والحرية[2].

هذا ويتكون الحمام الإسلامي من مدخل يؤدي إلى ثلاث أو أربع قاعات لغرض الاستحمام وكلها مغطاة بقباب وبها ومراحيض ويتدرج آل قاعة دفئا وحرارة ففي البيت البارد يخلع المستحم ثيابه ثم يدخل إلى البيت الوسطاني الدافئ ومنه يولج إلى الحجرة الحارة، وبالحمام خادم يعرف بالحكاك أو المسّاد يقوم على خدمة رواد الحمام، وخصصت بعض الحمامات للرجال، وأخرى للنساء، أو حددت أوقات مختلفة لهما، ولاعتبار الحمامات من المرافق العامة فقد كانت ملكا للدولة أو تابعة للمسجد[3] .

وكانت قاعات الحمام موصولة فيما بينها عن طريق فتحات وأبواب، وكانت كلها تتخذ شكلا مستطيلا أو مربعًا، ويؤدي المدخل إلى ردهة صغيرة في شكل موقف يليه حجرة ضيقة ومستطيلة تعلوها قبوة نصف اسطوانية، بنهايتها قبوان يعرفان بالخلوتين، ويفصلهما عن بقية القاعات عقدان يستندان فيها على عمود مركزي وتعرف هذه القاعة باسم البيت في الحمامات الرومانية، وكان المستحمون le fidarium البارد، ومصطلحها القديم يجعلون فيها ثيابهم عند دخول الحمام

[1] – السيد عبد العزيز سالم : **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، ص**210**.

[2] – السيد عبد العزيز: المرجع نفسه، ص**209**.

[3] – محمد عبد الله الحماد : **التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية**، من الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث الحضارة والعمارة والفنون، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، **1996** ، طبعة **1**، ص**160**.

ويلبسونها عند خروجهم منه[1] ، ووجد في الحمامات غرفة عرفت ببيت المستراح، يستريح فيها المستحمون قبل الخروج من الحمام، ويلي القاعة الباردة قاعة تعرف بالبيت الوسطاني، وهي قاعة أكثر اتساعا من القاعة السابقة وتعد أهم أجزاء الحمام، ويتوسط هذه القاعة فراغ مركزي مربع يعلوه قبة ويحيط به أربعة ممرات تحملها عقود قائمة على أعمدة، وجميع هذه القنوات الجانبية والقبة الوسطى تتخللها فتحات نجمية الشكل، تغلف بقطع زجاجية تسمى مضاوي لإدخال الضوء، وتتبع هذه القاعة قاعة أخرى تعرف بالبيت الساخن، وهي غرفة مستطيلة ضيقة تشبه الغرفة الأولى ولها نفس نظامها[2] ، وفي منتهى الغرفة موقد كبير يسمى القدر أو البرمة أو الفرشى، ومن هذا القدر تخرج أنابيب الماء الساخن البارد، وتدخل في الأحواض لتصب فيها، والملاحظ أن درجة الحرارة ترتفع في الحمام بالتدريج من البيت البارد إلى البيت الساخن، وعند انتهاء المستحم من حمامه تعرض بالتدرج لهواء أقل حرارة من الهواء الداخلي الساخن[3] وأرضية الحمام كانت تكسي عادة بالفسيفساء، أوبلوحات الرخام، كثيرًا ما كانت التماثيل الرومانية أحد العناصر المزينة للحمامات[4] .

بالإضافة إلى الحكاك عمل بالحمامات الحجا مون والسقاءون الذين يحملون الماء على ظهورهم من القاعات إلى الحمام، وقد تصل المياه رأسا إلى الحمامات من قنوات في جوف الأرض تتفرغ منها أنابيب إلى المباني المختلفة[5]

[1] – السيد عبد العزيز سالم: **في تاريخ حضارة الأندلس،** ص**112**.

[2] – السيد عبد العزيز سالم :المرجع نفسه، ص**212**.

[3] – السيد عبد العزيز سالم: **في تاريخ حضارة الأندلس** ، ص**112**.

[4] – السيد عبد العزيز سالم: المرجع نفسه، ص**113**.

[5] – السيد عبد العزيز سالم: المرجع نفسه، ص**113**.

وفي عهد الموحدين إهتم الخلفاء ببناء الحمامات كثيراً ففي فترة حكم الناصر أنشأ ما يقارب ثلاث وتسعين وثلاثمائة حمام[1]، ويذكر ابن غازي أنه كان بمدينة فاس على أيام الموحدين ":ثلاث حمامات البالي، الجديد والصغير وهي باقية لهذا العهد وكان أحدث فيها يحيي عنصالبة المهاجر المعروف بابن أخت الفنش في العشرة الثانية من القرن السابع حمامًا كبيرًا محكما فجاء في غاية الإتقان[2] ،وأما مدينة فاس فكان بها ثلاثا وسبعين حمامًا، منها حمامات خصصت لعلية القوم فقط [3]، وهناك من يذكر أن عدد الحمامات بنفس المدينة وصل إلى ثمانين حمامًا عامًا بالإضافة إلى العديد من الحمامات الخاصة[4] ، أما بالأندلس فإن الحمامات كانت كثيرة بها من قبل دخول الموحدين إليها، فكانت منتشرة في جل مدنها وقراها، وبها العام والخاص أيضا، واعتبرت الحمامات من بين المرافق العامة، وكانت في الغالب ملكا للدولة، أو تابعة للمساجد والهيئات العامة[5] .وقد كان المحتسب دور كبير في تحديد أماكن إقامة الحمامات، وكذلك له الحق في تحديد روادها رجالا أو نساءا وفترات دخولهم.

1-حمام اليهود في بسطة

كذلك كانت توجد حمامات خاصة بالنصارى واليهود وكانت في مدينة بسطة احدى مدن غرناطة حمام يشبه الحمام الموجود في غرناطة ولكنه أقدم منه

---

[1] – حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين**، ص**403**.

[2] – ابن غازي :**الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**،تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، المغرب،الطبعة **3**، **1999**م، ص**32**.

[3] – ابن غازي :المصدر السابق، ص**32**.

[4] – ابن غازي :**الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون** ، ص**32**.

[5] – جوزيف ماك كيب :**مدينة المسلمين في اسبانيا**، ترجمة محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف، الرباط،ط **1985** ، ص **52** .

عهدا، ويحتفظ هذا الحمام ببيوته الثلاثة : بيت الماء البارد وبيت الماء الفاتر وبيت الماء الساخن، وعقود هذا الحمام على شكل حدوة الفرس[1]، كما يوجد حمام ثالث في قصة ألميرية وهو مؤلف من خمسة غرف في صف واحد في اثنين منها حواجز جانبية من البناء وبالغرفة الأخيرة أنابيب التسخين والمداخن المعروفة الممتدة في الجدران وقعود هذا الحمام من الآجر أيضا [2].

خامسا: القناطر

أقام أهل الأندلس عدة قناطر على الأنهار الموجودة في غرناطة مثل نهر شنيل ونهر حدرة وغيرها من الأنهار، ويوجد بغرناطة خمسة قناطر، فيذكر العمري في كتابه مسالك الأبصار ما نصه، واما حندرة فينحدر من جبل بناحية وادي آش " شرقي شيلر فيمر بين مزارع وبساتين ومزارع وكرمات إلى أن ينتهي إلى غرناطة، فيدخلها على باب بشرقيها، ويشق المدينة نصفين، تطحن الأرحاء بداخلها وعليه بداخلها خمسة: قنطرة ابن رشيق، وقنطرة القاضي، وقنطرة حمام جاش، والقنطرة الجديدة، وقنطرة العود[3] .

أ–قنطرة القاضي

ومازالت بعض آثارها باقية إلى اليوم وهي تقع على نهر حدرة أحد فروع نهر شنيل حيث تجمع بين القصبتين الحمراء والقديمة، وقد شيدت قنطرة القاضي هذه حوالي **447**هـ /**1055**م**1056**م وأن القاضي الذي تنسب إليه ابن ثوبة الذي تولى

[1] – مورينو: **الفن الإسلامي في إسبانيا**، ص **316**.

[2] – مورينو: المصدر نفسه ، ص **316**.

[3] – العمرى: **مسالك الأبصار** (وصف أفريقية)، ص**37**، يذكر القلقشندى: أن عليها سواق ومبان محكمة، القلقشندى: **صبح الأعشى**، ،ج**5**،ص**215**.

القضاء لباديس بن حبوس والذي على يديه عمل منبر جامعها[1] وتسمى ايضا قنطرة القاضي بعقدة حندرة وهو ضخم مشيد من الملاط وهو متقن الزخرفة[2] .

ب–قنطرة شنيل

أما قنطرة شنيل فتقع بالقرب ممن التقاء نهر شنيل بنهر حدرة وتتألف القنطرة من خمسة عقود نصف دائرية وهذه العقود بواطنها من الآجر أما بقية أجزائها فمشيدة بالحجر الرملي وهذه القنطرة من خصائص الفن الغرناطي وقد بنيت عام (**607**هـ/**1210**م)[3].

منشآت ريفية أخرى

1–المطاحن

ومن المنشآت التي وجدت بالقرى أيضا المطاحن ومثال ذلك مطاحن ورثتها زوجة وابنان حتى (سنة **453**هـ / **1061**م) غائبان نتيجة الفتنة البربرية وأحد الإبنين مطلوب منه نسخ شقق خز، ودفع إليه عشرة مثاقيل ذهبا، إلا أنه لم يقم بالعمل، فطلب منه صاحب العمل أن يعطي منه نصيب الابن الغائب في المطاحن، فادعت الزوجة أنها أنفقة على المطاحن خلال المدة التي استغلتها فيها[4]، وإذا اشترى رجل المطاحن وجدت متربة، فان له ردها[5] .

---

[1] – ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص **185**، هامش رقم**1** .

[2] – مورينو: **الفن الإسلامي في إسبانيا**، ص**310**، أحمد مختار العبادي:**دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، ص**225**.

[3] – مورينو: **الفن الإسلامي في اسبانيا**، ص**310**، أحمد مختار العبادى: **دراسات في تاريخ المغرب والاندلس** ، ص**225**.

[4] – ابن سهل: **الإعلام** ، ص **458**، **459**.

[5] – الونشريسي:**المعيار**، ج**6**، ص**188**.

2-المعاصير :

وكان على المعاصير مغرم وضرائب، كما يتضح من معصرة بين رجلين أراد أحدهما تحريكها، فقال له صاحبه لا تحركها، فإني أخاف أن يغرمني السلطان، فقال له: ما كان من السلطان فعلي، فحركها فعدى له السلطان عليه فهرب ، فأخذ لشريكه فغرمه دينارين[1] .

والمعصرة تعصر ما له دهن أو شراب أو عسل، وهي ملحقة بالبناء أو تكون بناءا مستقلا قائما بذاته، وتكون مكملة المدار والعدة بها رحاب به مدارين لكل مدار بيتين بالطوب والمكونة المتقنة وحجر رماني وصوانا[2] .

3-المطامير:

المطمورة حفرة تحت الأرض هي لإخفاء شيء من الطعام أو الأقوات[3]

ووردت بعض النوازل تخص المطامير مثل رجل اكترى دارا، وفيها مطامير لم يذكرها صاحب الدار ولا المكتري عند الكراء، وأراد صاحب الدار أن يطمر فيها طعامه، وأبى عليه المكتري، واحتج بأنه اكترى الدار بما فيها من مطمر وغير ذلك انه إن اعرف المكتري المطامير فهي في اكترائه، وليس لصاحبها فيها حجة إذ لم يشترطها عند الكراء وإن لم يعرف أن في الدار مطامير فإنما له الظاهر الذي اكترى وليس لصاحب الدار أن يختلف إلى الدار إلا برضى المكتري [4].

أتى رجل إلى أخر يطلب إليه أن يعطيه موضعا يحفر فيه مطمورة فأطلقه على حفرها فلما حفرها، وطمر الحافر فيها طعامه، وأقام فيها أربعة اشهر أو خمسة

---

[1] – الفيروزبادي: **القاموس المحيط**، ج**2**، ص**93**(عصر) ، محمد محمد أمين: **المصطلحات المعمارية**، ص **110**.

[2] – الونشريسي: **المعيار**، ج**9**، ص **115**.

[3] – الفيروزبادي: **القاموس المحيط**، ج**2**، ص**81** ، محمد محمد أمين: **المصطلحات المعمارية**، ص**110**.

[4] – المالقي: **الأحكام**، ص**319**، رقم **319**.

قام عليه صاحب الدار ودعاه إلى أن يخرج طعامه من المطمورة، فكان الرأي أن ليس بهان يخرجه حتى يمضي من الزمن والأجل ما يرى أن مثله يحفر له المطامير [1].

وأحيانا تترك المطمورة مفتوحة فيسقط فيها الناس، مثل رجل حفر مطمرا قريبا من باب المسجد، وخزنها بشعير واحتاج إلى فتحه وبقى مفتوحا حتى يبرد على العادة فجاء إنسان من أهل المسجد في السحر للصلاة فسقط، وسقط معه رجلان، فمات أحدهما [2].

ووجد في المطامير بعض العيوب مثل عدم حفظ الغلال، فقد اكترت إمرأة مطمورة فخزنتها، فوجدت القمح مسوسا، وصاحب المطمورة يعرف أنها تسوس، وهو بذلك ضامن[3]، وتركت مطمورة مفتوحة فوقع فيها خنزير فمات، فلم يجز العلماء زرع ما في المطمورة ولا بيعه لمسلم ولا نصراني[4] .

وأحيانا يتداع اثنان في مطمرة طعام وجد في فدان، مثل رجل أخرج من مطمر طعام، وزعم أن أباه طمر فيه خمسة عشرة قفيزا، ولها منذ طمرة تسعة سنين، وأتى ورثة الرجل ببينة عدل، فشهدت أن وليهم طمر في مطمر في هذا الفدان، وهم لا يدرون اهذه المطمر أم غيرها [5] .

4-الأنادر

والأندر هو الموضع الذي تجفف فيه الثمار مثل القمح، وجدرت الأحكام على أن الأندر لا يقسم، وبالتالي ليس فيه شفعة، لأن الشفعة لا تكون إلا فيما

[1] – يحيى أبو المعاطي محمد عباسي: **الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس**، ص **882**.

[2] – الونشريسي: **المعيار**، ج**9**، ص **556- 557**.

[3] – الونشريسي: المصدر نفسه، ج**6**، ص**230**.

[4] - الونشريسي: المصدر نفسه، ج**6**، ص **219- 220**.

[5] – المالقي: **الأحكام**، ص**124** ،رقم **123**.

يسم، إما الانتفاع به فيكون على قدر الحصص، لأن الانتفاع إذا كان بالسواء وبعضهم أكثر نصيبا من بعض كان ذلك جورا[1] .

وتحدث خلافات إذا أراد الرجل أن يبني في أرض تمنع صاحب الأندر من الانتفاع بالريح مثل رجل أراد أن يبني دارا في أرضه ويفتح بابها في سكة نافذة للمسلمين طريقا مفتوحا قديما وأمام الطريق أندر لرجل، فلما بدأ بالبنيان منعه صاحب الأندر، وقال: إنك تضر باندري وقت الذروة، فتمنعني عند نفعي بالريح وتضرني في ذلك بأمور كثيرة، والرجل ليس له أن يبني إذا منع ذلك الموضع، ولا مضرة له غير ما احتج به صاحب الأندر[2] .

1 – المالقي: **الأحكام**، ص**121**، رقم **117**.

2 - المالقي: المصدر نفسه، ص**217**، رقم **355**.

المبحث الثاني

منشآت اجتماعية ومرافق عمومية

أولا: المنشآت الاجتماعية

1-الدور والقصور :

أ-الدور العامة:

إمتازت بعض المدن الأندلسية بشوارعها الضيقة الملتوية وأزقتها المغلقة وميادينها القليلة [1] وهذا ما وصف به الرحالة والجغرافيين مدينة إشبيلية وغرناطة ولابد أن هذه الأخيرة خالية من الأبنية الكبيرة الفخمة على خلاف أنواعها بما في ذلك المساجد الكبيرة والأضرحة الواسعة، ولا بد أن إرتفاع مبانيها لم يتعد مترا ونصف متر، ويعلل المؤرخ توروس بلباس هذه الظاهرة بأنه كان يراعى في تلك الدور الناحية العملية فقط، ويتفق هذا الرأي مع ما ذكره ابن عبدون في كتاب الحسبة من أن المنازل ما هي إلا أردية تحمي النفس والروح والجسد وتحفظ المتاع فمنازل مالقة برغم صغر حجمها كانت منعشة ذات رسوم بديعة، ولم يكن بجدران المنازل سوى الأبواب والمداخل وكانت هذه الأبواب صغيرة وخالية من الزخرفة، كما كانت نوافذ المنازل قليلة ذات شيش خشبي، كما كانت أبواب منازل غرناطة تقفل بضلفتين ومزلاج خشبي[2].

أما عن نظام المنزل وطابعه العام، فإنه لم يختلف عن نظام المنزل الاسلامي ذي الطراز المميز، فقد جرت العادة ان يؤدي بابه إلى دهليز يتناسب عادة مع حجم المنزل ويفضي هذا الدهليز الى صحن المنزل الذي تلتف حوله الغرف، وكان

---

1 – توروس بلباس : **الأبنية الأسبانية الإسلامية**، ترجمة علية إبراهيم، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد، العدد الأول السنة الأولى سنة **1953**م/**1373**هـ، ص**97**.

2 – بلباس: المرجع السابق: ص**127**.

حصن المنزل يمثل جزءا هاما في كل منزل باستثناء المنازل التي كانت تقع خارج المدن أو في أماكن منعزلة عنها، وتكمن أهمية هذا الحصن في أنه المكان الذي تقوم فيه المرأة بأعمالها المنزلية ويقضي سكان المنزل فيه جانبا كبيرا من أوقاتهم ويمارسون فيه حياتهم العائلية كما أنه كان مراحا للأطفال، وبدأ ظهور الحصن في منازل الأندلس عامة منذ ظهور المرابطين حتى غدى طابعا عاما في كل منازل الأندلس، وكان الحصن يتخذ شكل المستطيل الذي تقع حوله غرف المنزل أي أن هذا الحصن يفضي إلى كل غرف المنزل[1]، ويتوسط حصن المنزل في كل البيوت بركة ماء — حتى تلك المنازل قليلة المياه — والغرض من هذه البركة هم تلطيف جو المنزل وإضفاء مسحة من الجمال على المنزل كله، فضلا على أنها كانت وعاءا كبيرا لحفظ الماء اللازم للحياة المنزلية، وكانت المنازل ذات الطابقين تحوي على سلالم خشبية ضيقة ذات أدراج غاية في الإرتفاع، وكان سقف الطابق العلوي منخفضا بعض الشيء، ويضم هذا الطابق الغرف المخصصة للنساء والحياة الخاصة وينفذ إليها الضوء والهواء عن طريق منافذ تطل على الحصن حيث لا تصل أعين الفضوليين من الجيران، وكانت السلالم من الخشب و تثبت بمسامير[2] .

ولقد خضعت الدور لرقابة المحتسب طول فترة بنائها كما خضع العامل والبناءون لرقابة المحتسب، وكانت المواد المستخدمة في البناء هي كتل الآجر وكان يجري الاهتمام بتوفير الأعداد المناسبة فيها بما يتناسب وسمك الحائط المراد بنائه، كذلك استخدم الرخام في بناء الدور حيث توفرت مقاطعه في غرناطة، وقد

1 – بلباس: **الأبنية الأسبانية الإسلامية**، ص**128**.

2 – ابن عبدون: **رسالة في الحسبة**، ص**36**.

استخدمه الغرناطيون في الكثير من أعمالهم التجميلية في بناء الدور وإن كان قطعه ونقله يكلف الكثير[1].

وتفاوتت لذلك أسعار الدور بحسب موقعها وحجمها وطريقة بنائها، فكان كراء الدار في المرية ثلاثة دنانير شهريا، ونسبت الدور أحيانا إلى مالكها كما في حل الدار المنسوبة إلى خلف والدار المنسوبة لابن جزي[2].

ب-المنزل الريفي

تميزت دور الفلاحين بالبساطة، وكانت غالبا من طابق واحد[3]، لكنها واسعة لوجود تربية الحيوانات بها وما تحويه من رائب، وتختل المنازل لاختلاف أصحابها في المستوى المادي، وكانت لبيوت الفلاحين عرصات تجري فيها الحيوانات والأبقار،أما بيوت الموسميين ففيها الجنان والمنيات ووجدت فيها الصهاريج والسواقي والمساحات الشاسع فيها الأشجار المثمرة والورود، واعدت بها المجالس وتختلف دار العوام من دار لأخرى[4].

واستخدم أهل الريف الأندلسي المواد المتوفرة بأقل التكاليف مثل الطوب المصنوع من الرمل والتراب أو من الرمل والتبن المسحوق، وكثيرا ما يقام الأساس من الصخر، وتستخدم القفاف والفؤوس والمساحي في البناء، ويهتم أهل الريف بسقف البناء لوضع أحطاب الحقل عليه، لذلك يسقف بجذوع الأشجار القوية الغليظة.

ويتكون المنزل الريفي من باب خشبي غالبا ويقفل بضلفتين خشبيتين وحيانا بمزلاج خشبي ويزود بمقرعة (يستخدمها الطارق) ثم بعد الباب ممر ضيق يؤدي إلى

---

1 – المقرى: **نفح الطيب**: ج**2**،ص**92** .

2 – ابن الخطيب: **الاحاطة**، ج**1**، ص**125**.

3 – عصمت دندش: **الأندلس** ، ص**214**.

4 – ابن بسام: **الذخيرة** ،ج**1**، ص**677**.

فناء المنزل وبه يلعب الأطفال وتقضي العائلة أوقاتها إذا كانت مجتمعة في البيت، وتمارس فيه المرأة أعمالها، ويكون غرفة معيشة خاصة في الصيف.

ويعتبر البئر من أهم مكونات المنزل الأندلسي فيقوم بحرها بنفسه أو يؤجر حفارا متخصصا للقيام بها، ويستخدم المواد التي لا تتعفن[1]، وهنالك نوازل عديدة تخص الآبار وتدور حول زيادة مياه الإبار وأضرارها بالجيران أو التنازع على الاستسقاء منها إذا كانت مشتركة بين الجيران، فإذا وهنت البئر حط ذلك على ثمن البيت، ووجد في قرطبة الآبار الكثيرة وكان أهلها يشربون منها المياه، وغالبا ما تزرع الأشجار بجانب البئر في الريف الأندلسي، وحصل ذلك في صحن المساجد كذلك[2].

وتقام في مساحة المنزل الأفران لصنع الخبز، ويراعي صاحب الفرن عدم ضرر جاره دخان الفرن، وربما طلب الجار تغيير مكان الفرن لأنه يؤثر على داره فيقلل من ثمنها، ويوجد في فناء المنزل كذلك المطاحن الثابتة والمتحركة التي يستعملها العوام من اجل طحن القمح، وهي كثيرة في ريف الأندلس[3].

وتختلف طرق الحصول على الدور حسب إمكانات الأسر المالية، فالأسر الميسورة تمكنت من بناء الدور أو ورثتها عن أسلافها، ولجأت بعض الأسر الفقيرة إلى الكراء، فتذكر النوازل أن رجلا ابتاع لابنه دارا بثمن وهبه إياه منجم عليه في ثلاثة اعوام، وقد يشترك رجلان في منزل واحد، وإذا لم يجد مالك المنزل من يكتريه فضّل بيعه [4].

---

1 - ابن العطار: **الوثائق**، **ص473**.

2 - أحمد يوسف : **ماخالف فيه الأندلسيون مذهب مالك**، ص**20- 22**.

3 - ابن سهل: **الاعلام** ،ص**12**، ج**1**،ص**444**.

4 - ابن حاج: **النوازل** ص**47**، بوتشيش: **المغرب و الأندلس في عصر المرابطين** ، ص**31**.

وتختلف أشكال الدور حسب المستوى المادي للأسر، وحسب البيئة الحضرية أو البدوية، ففي المدن تتكون دور العائلات الموسرة واسعة مزينة، تحيط بها حدائق ونافورات وبرك وتنتشر بها الأزهار والأشجار، أما منازل الأسر الفقيرة فاشتملت على حجر صغيرة وبئر في الوسط وبعض الحجرات العلوية ويصعد إليها من الدرج [1].

ج–بيع الدور وكرائها:

اهتمت كتب النوازل بالقضايا المتعلقة بالدور وإن كانت هذه القضايا عامة استقيناها من الكتب الفقهية التي تزخر بعشرات القضايا في مواضيع شتى إلا أنها تسعف في فهم حالة المجتمع الأندلسي إبان تلك الفترة، وسنورد بعض القضايا على سبيل المثال لا الحصر:

فكان هنالك من يبيع جزء من داره، مثل الشخص الذي باع أسطوانة داره – الفضاء – بحيطانه المحدقة وباب الدار وعتبته، واشترط على المشتري أن لا يقيم فيما اشتراه طاحونة، وأحيانا يؤجر المنزل كله سنويا أو شهريا حسب الاتفاق بين المالك والمستأجر، وتختلف المنازل حسب موقعها ونظافتها وبنيانها الحديث أوالقديم [2]، فاستأجر ابن قزمان دارا صغيرة متواضعة بربع دينار في الشهر، فأعجب ابن قزمان لأنها في منطقة هادئة واجرت شقة من دار بنصف دينار مرابطي، وأجر منزل بخمس دينارات في الشهر، ومنزل بأقل من دينار مرابطي في الشهر، أما الإيجار السنوي فيتراوح ما بين أربعة دنانير إلى خمسة عشرة دينارا، وأحيانا توجد ثلاثة أسر في منزل واحد، وأجرة الحجرة بمثقال في السنة.

1 – عياض: **الغنية**، ص**210** ،حيث ذكر في ترجمة سعيد ابن أحمد السفاقسي (ت**501**) أنه سقط من درج منزله بأغمات.

2 – الزجالي: **الأمثال**، ص**255**.

د–حبس الدور:

وحبس بعض الاثرياء – أحيانا – دورا للفقراء في القرى، فكان هنالك دور قرب المساجد محبسة على الفقراء والضعفاء[1]، ورجل آخر أسكن منزله الفقراء والضعفاء.

وسجل الإيجار في عقود بين المالك والمستأجر كتب فيه قيمة الإيجار وكيفية قضائها، وما تحتاج إليه الدار من تنظيف، وإذا انهدم شيء في المنزل على المكتري تصليحها[2].

ه –مشاكل أسرية بسبب الدور:

واشترى رجل دارا لزوجته بمالها، لكن الزوجة لا تعرف هل الدار في يده أم لا؟ وباع رجل دارا بمائة نقدا؟ وقامت امرأة على رجل وهو غائب بعقد تاريخه رمضان سنة **458**هـ/**1065**م ولها فيه عليه مائتا مثقال وستون مثقالا ذهبا قرمونية من ثمن دار كان باعها منها، ثم صرفتها عليه بعيوب ثبتت فيها، واثبت هذا العقد عنده [3].

و–هبة الدور:

وهنالك من وهب نصف داره، ثم سكنها مع الواهب والموهوب له، وكذلك وهب لرجل دارا ثم أعمرها الواهب بعد أشهر يسيرة، ولا يكون مثلها حيازة، ثم علم أن ذلك مما يبطل هبته، فأراد إيطال العمرى وقبض الدار، ووهب رجل لابنته نصف داره، وهنالك رجل انكح ابنته رجلا ونحل الأب ابنته عند نكاحها بفضاء

---

[1] – الونشريسي: **المعيار**: ج**7**،ص**220**.

[2] –ابن عطار : **الوثائق**،ص**193**، ابن مغيث : **المقنع**: ص**229**- **230**.

[3] – ابن سهل: **الإعلام** ج**1**،ص**448**.

عينه وأوقف البيّنة على حدوده، واشترط عليه الزواج أن يبني فيه لابنته دارا على صفة تواصفاها [1].

ز-كراء الدور

وهنالك من اكترى دارا في الميرية مشاهرة كل شهر بكذا دينار، فتحولت السكة إلى سكة أحسن من التي وقع العقد بها، فسكتا جميعا حتى مضى أمد، واختلفا: هل يسدد المكري للمكتري في السكة القديمة أم الجديدة ؟[2]

وفي القيروان اكترى رجل من رجل دارا لعشرة سنين لعدد معلوم دفعه إليه، وسكن الدار مدة، ثم أراد شرائها من صاحبها [3]وفي الأندلس اكترى رجل دارا بربض الرصافة من ابنت أخته، وادعى أانه قضاها جميع كرائها إلى أن خرج عنها، وأن له قبلها عشرة مثاقيل سلفا[4].

ح-التعدي على أهل الدور

ولا تخلو القرى من تعديات أهل الفساد على الدور وأصحابها مثلما وقع مع أناس من أهل الفساد وشرب الخمر والعباثة يعرفهم الناس، بكسر باب دار رجل، وهجموا على عياله ونهبوا ما في الدار، وضربوا أحد أهلها حتى أشرف على الموت[5].

---

[1] - عياض: **مذاهب الحكام**، ص**220**.

[2] - ابن سهل: **الإعلام** ، ص**390**.

[3] - ابن سهل: **الإعلام**، ج**1**، ص **384**.

[4] - ابن سهل: المصدر نفسه، ج**1**، ص **579**.

[5] - ابن سهل: **الإعلام**،ج**2**،ص**850**.

ط-البيع المشروط للدار

وهنالك من يبيع أو يشترط على المشتري شروطا، ويقع التنازع إذا لم تنفذ الشروط مثل شراء رجل اسطوانة دار، وعقد الوثيقة عاقد الشروط فكتب: اشترى فلان من فلان داره بحاضرة قرطبة بحومة مسجد كذا، جميع اسطوانة هذه الدار المكشوفة الاعلى بقاعة هذا الاسطوان وحيطانه المحدقة به من جهاته الاربع مع باب الدار والعتبة وما تبقى من جوائز الغرفة التي كانت عليه، والمدخل إلى ذلك كله، والمخرج عنه على باب الدار، على ان يقلع باب الفصيل الذي كان بفضي منه إلى الدار المحددة، و يبني البائع الفصيل بنيانا حسنا بالطوب بعد أن يجعل له أساسا مما يصلح له، وشرط البائع على المشتري إلا يجعل في هذا الأسطوان طاحونة يطحن عليها، كما يطحن على الطاحونات، وعلى ذلك انعقدت صفة التبايع، ثم أن المشتري جعل في الأسطوانة طاحونة فقام عليه البائع في ذلك عند صاحب السوق [1].

ي-النزاع على ملكية الدور

ووقع تنازع بين شخص يدعى ابن البراء وابن أخيه أحمد في الدار التي كانت ملكا للبراء، وذكر ابن أحمد، أن عمته أخذت من أبيه أحمد ثلاثمائة دينار، ورهنت بذلك الدار، وأنكر ذلك ابن البراء، وذكر أن الذي باعت أخته لمغرم السلطان لسبب اعترضت فيه، وهذه الدار سيرتها الى أخيها، لأنه شقيقها، وادعى رهانا لم يصح [2].

---

[1] – ابن سهل: **الإعلام**، ج**1**، ص**349**.

[2] – ابن سهل: المصدر نفسه، ج**1**،ص**349**.

وتنازعت سيدتان في دار إدعتها إحداهما لنفسها، وأدعتها الأخرى لأمها، و أنها توفيت وأوصت بثلثها فيها، وأختلفت الشهادة بينهما[1]، وكان لورثت رجل يدعى خلف بن سعيد دار، وبعضهم فيها وبعضهم خارج عنها، فأراد الخارجون عنها تسويقها وبيعها وقالوا لا يمكن تسوقها إلا بإخلائها، ودعا ساكنوها إلى غرم كرائها على الإباحة للتسويق، فأبى ذلك الخارجون عنها [2].

واثبت عبد الله بن الأصبغ موت زوجته عائشة بنت مهنا، وعدة ورثتها وهم عبد الله وزوجها هذا القائم، وأخوها لأبيها عبد الملك بن مهنا الغائب بالمشرق، وفاطمة الحاضرة، واثبت للميتة زوجه شريكا في الدار مع اخيها الغائب واختها الحاضرة، وانها اصبحت بثلثها لها [3].

ك-أضرار الجار في داره

وغرس رجل وردا في جنانه بفناء دار رجل تجاوره واستغله زمنا، فقام صاحب الدار يطلب زوال الورد لضرره بجداره وقيمة ما اغتل[4] . واشترت إمرأة قطيعا من دار زوجها، وفي الكتاب حدود الدار وموضعها، وما شهد به الشهود في ذلك الكتاب وقبولها لشهادتهم، وما ألفيت من تقديم الشراء لتاريخ الإرتهان الذي قام به عندك مرتهن الدار[5] .

---

[1] – ابن سهل: المصدر نفسه، ج**1**، ص **447**.

[2] - ابن سهل: **الإعلام**، ج**1**،ص**533**.

[3] – ابن سهل: **الإعلام**، ص **445**.

[4] – ابن رشد : **الفتاوى**، ج**3**، ص**1604**، رقم**618** ، البرزلي: **النوازل**، ج**2**، ص **206**أ- **206**ب .

[5] – ابن سهل، **الإعلام**، ص**376**- **377**.

ل-الاختلاف في ثمن الدار

وباعت إمرأة دارا لرجل بأحواز قرطبة بستين دينارا، وأنها أقبضته الدار، ولم تقبض منه الثمن، ولكن الرجل قال، إنه اشترى منها ربع الدار بثلاثة دنانير وستة دراهم من أربعة عشرة سنة، ولم يجر بينه وبينها في ثلاثة أرباع الدار مبايعة، وأن ثلاثة الأرباع لم تزل بيد الرجل وفي ملكه[1].

م-النزاع في مرافق الدور

وذكر أحد الشهود للقاضي في الأندلس أنه دخل دار رجل يدعى عمر بن عامر، فنظر إلى كوة لمجرى ماء دار عمر على دار زكريا أدل على أنها قديمة، ولم يرى في الدار كوة يجري ماء دار عمر بن عامر سواها، ولا مصبا لماء داره إلا تلك الكوة، ودخل الشاهد دار زكريا فنظر إلى حفرة الفرن المحدث قبالة الكوة التي نظر إليها في دار عمر، وبأن له الماء الذي استنقع تلك الحفرة أضر ببئر دار عمر لقرب ما بينهما، وأن دخان الفرن المحدث وشرره وحره مضر بعمر في داره [2].

ن-شراء الدور والاختلاف على عيوبها

اشترى رجل من إمرأة دارا بداخل قرطبة بحومة مسجد عباد التي ابتاعها من المرأة ب**280**مثقالا ذهبا قرمونية، وقضت المرأة من الثمن ثمانين مثقالا، وتبرأ للرجل من قدم البنيان ووهن الأسس، غير أن الدار وجد بها عيوب في الحيطان والأسس[3]، وقدي حدث أن تطل شجرة قديمة على الدار، وتضر بأهلها فيجب على صاحبها قطعها [4].

---

[1] – ابن سهل،المصدر نفسه، ج**1**، ص **377**.

[2] – ابن سهل: **الإعلام**،ج**2**، ص **820**.

[3] – ابن سهل: المصدر نفسه، ص **425**.

[4] – ابن سهل، المصدر نفسه ،ج**3**، ص **824**.

س–عيوب الدور

وقد ذكر الفقهاء أن العيوب التي ترد بها الدور ثلاثة أقسام : قسم لا ترد بها الدار ولا يرجع المشتري من أجله بشيء لخسارته، وثاني عيب لا ترد بها الدار، ولكنه يرجع على البائع بقيمة العيب كصدع الحائط ونحوه، والثالث: ما ترد له الدار كالعيب الكثير، وما يخشى منه سقوطها، أو سقوط الحائط من الصدع الذي فيه[1].

ع–اختلاف الورثة في وراثة الدور

وإذا مات صاحب الدار تقسم بين الورثة، مثلما حدث مع دار رجل في قرى قرطبة، وأن أحد ابنيه حاضر والاخر غائب بإشبيلية [2].

ووقع بجهات لشبونة بالأندلس أن رجلا اشترى ثلثي دار، وسكنها مع زوجه أزيد من ستة أعوام، ثم اشترى بعد ذلك الثلث الباقي لزوجه بأسمهان وذكر في العقد أن الدار كلها خلصت لها بتقدم ملكها لسائرها، وتقيد في عقد الإشهار على الزوج أن ابتياعه ثلثي الدار إنما كان لزوجه بمالها وأمرها، وتمادى في السكن في الجار ألى أن توفي فيها، ثم تزوجت الزوجة زوجا غيره فتوفيا عنها بعد عام، فاختلف ورثتها وورثت الزوج الاول في الدار[3] .

وباع زوج لزوجته دارا بخمسة وعشرين دينارا، وأشهدت البائعة بقبض الثمن، وحاز المشتري الجار المذكورة، وذلك كله في حال الصحة والطوع والجواز بشهادة عدلين، ثم توفيت البائعة بعد ذلك بنحو أزيد من شهر فطلب ورثتها المشتري بدفع الثمن، وذكروا أن القبض لم يكن بمعاينة الشهود[4].

---

[1] – ابن سهل: المصدر نفسه ،ج**1**، ص **431**.

[2] – ابن سهل: **الإعلام**، ص**449**.

[3] – ابن رشد: **الفتاوى** ،ج**2**،ص**1092**، رقم **332**، الونشريسي:**المعيار**، ج**6**،ص**476**- **478**.

[4] – الونشريسي: **المعيار**، ج**6**، ص **78**.

ف- التعدي على حائط دار الجار

وكان لرجل دار غاب عنها مدة طويلة، وله جار يجاوره، وغرز الجار خشب في حائط من حيطانه، وأضاف إليه بناء معلقا من الحائط، وقام صاحب الدار المذكورة، ولم بليث إلا قليلا، وباع داره المذكورة من رجل آخر، وملكها المبتاع مدة عشر أعوام، ثم علم بالإضافة المذكورة وأراد هدمها بعد أن أثبت أن الزيادة كانت في غيبة البائع منه[1].

ص-الكوى في البيوت و اثر ذلك على العلاقة بين الجيران

والكوى قسمان : قديمة ومحدثة، وقد سال الإمام سحنون بن القاسم قائلا : أرايت لو أن رجلا بنى قصورا إلى جنب داري ورفعها علي وفتح فيها أبوابا وكوى يشرف منها على داري وعيالي، فرأى ابن القاسم أن يمنع الجار من ذلك، لأنه أمر لم يحدثه عليه وذلك أمر قديم [2].

وزخرت كتب النوازل بمثل هذه القضايا مثلما حدث مع رجل كان له علو على بعض ملك لشخص آخر، وفي كوة ينظر منها إلى الشارع، فبنى المالك على باقي ملكه، ورفع بنيانه فسد به كوة جاره، فرفع الجار بشكواه للقاضي، فاخبره أن بنيان المالك علا عليه وسد كوة كانت له في غرفة يشرف منها، وينظر المارة وغيره ،فحكم أن ليس للمستأجر أن يمنعه شيئا مما بنى لأنه عمل ما يجوز عمله [3]،

وقد تحدث المشاكل بسبب ما حدث الناس في كرومهم في الأبراج، ويتخذون فيها كوى للفرجة على مواضعهم ويتكشفون منها على مواضع غيرهم من الكروم والجنات فهل يمنع من اتخذ ذلك أم لا ؟ فحكم الفقهاء : إن كان جنانا

---

[1] – عياض: **مذاهب الأحكام**، ص**97**.

[2] – ابن رشد : **الفتاوى** ،ج**2**، ص**1092** ،رقم **332**، الونشريسي:**المعيار**، ج**6**، ص**476**- **478**.

[3] – ابن الرومي: **الإعلان**، ص**74**.

فيها بناء محظر، فحكمه كحكم الدور ويسد كل ما اتخذ عليها من الكوى ويمنع صاحبها من ذلك، والكروم التي لا بناء فيها ولا تحضير ولا فيها غير الثمار فلا يمنع من اتخاذ الكوى في الأبراج التي تطل عليها .

فان كان للرجل كرم وله فيها برج وبدائر البرج مشتبك كالبناء، فبنى جاره برجا في كره وفتح فيه كوى تكشف منها على من يكون في الحرم الذي بدائر البرج الذي لجاره، فهل يمنع ذلك ؟ بالحكم، نعم يمنع ذلك، لأنه ستر على نفسه ببناء فيمنع الاخر من ان يكتشف عليه كالدور[1] .

فإذا اراد رجل ان يفتح في برجه كوى يتكشف منها على كروم جيرانه ن فلا يمنع من ذلك احد إلا اذا كان موضعا للسكنى مثل رياض أو غيره، وإذا كان يتكشف منها على الكروم التي لا بناء فيها فلا يمنع[2].

وإذا أراد شخص أن يبني على موضع يشرف منه على دار جاره، فإذا كان الموضع ليس فيه منتفع إلا بنيان لم يمنع . وأن كان مزدرعا وكان صاحبه اليه مضطرا، ولم يجد عنه غنى،لم يمنع أيضا . وأم كان غير مضطر إليه وهو يجد عنه غنى الرأي ان يمنع ان كان مضرا [3].

وإن أراد رجل أن يفتتح باب : فلا يخلوا فتح الباب من ثلاثة صور[4] : إما أن يكون يقابله باب دار لرجل – أو قرب باب أره ليضيق به عليه – أو أحدث بابا ولم يكن قبالته باب آخر ولا قرب من باب أحد. ففي هذه الصورة لا يمنع.

---

[1]– ابن الرومي: **الإعلان** ، ص**76**.

[2] – ابن الرومي: المصدر نفسه، ص **77**.

[3] – ابن الرومي: **الإعلان**، ص**78**.

[4] – سحنون: **المدونة** ،ج**5**، ص **531**، **البيان والتحصيل**، ج**9**، ص **403**.

وأما من فتح من ناحية من داره حوانيت ولا قرب من باب أحد السكة من سكك الناس ولرجل دار تقابله تلك الحوانيت وباب منفتح من ذلك الزقاق يقابل تلك الحوانيت، فشكا الرجل بان الحوانيت تضر به فيمن يخرج من خدمه اهله (إلى حوائجهم) فإن كانت طريقا سالكة وسكة واسعة حتى يكون هو وغيره من المارة في الفتح والمرور بها في النظر سواء، فله أن يفتح ما شاء من الحوانيت وغيرها [1].

واذا أراد شخص احداث باب في الزقاق، فليس له أن يفتح في الزقاق غير نافذة بابا إلا برضى جميع أهل الزقاق[2]، وعلى مشتري الدور في الأزقة أن يعرف ذلك، وإلا تحدث المنازعات، مثلما وقع من رجل أراد فح باب في الزقاق غير نافذ أو نافذ، فنازعه جيرانه فالتزم لهم أنه لا يفتح الباب في الموضع المذكور وأسقط حقه من ذلك، ثم باع الدر وأراد المشتري أن يفتح باب الدار في الجهة المذكرة، فنازعه المنازعون لصاحبها البائع منه واحتج أنه لم يعلم بما التزم لهم البائع منه، هل له في ذلك مقال ام لا ؟ فالحكم أنه إذا أسقط حقه هذا البائع للباب في الصحة والتزم لمخاصميه ما ذكر حتى صار ذلك حقا من حقوق مخاصميه، ثم باع خذا البائع من مشتريه، فالمشتري إنما ينزل منزلة البائع فيما كان يملك، فإن باع منه ولم يبين له ذلك كان للمشتري أن يرجع عليه بما ينوب ذلك من الثمن[3] .

أما الإعتداء على الطريق فيكون ذلك بالبناء في فناء الطريق أو حرمه، فإذا أراد شخص أن يبني أبراجا في الطريق ملصقة بجداره، فلس له أن يحدث في الطريق شيئا فينقصه به أو يضيق به على من يسلكه[4].

---

[1] – ابن الرومي: المصدر نفسه ، ص**82- 83**.

[2] – سحنون: **المدونة،** ج**5**، ص **531**.

[3] - ابن الرامي: **الإعلان**، ص**88**.

[4] – ابن الرامي: المصدر نفسه، ص**89**.

2-القصور :

إن بناء القصور والمبالغة في تزيينها وزخرفتها كان سمة من سمات الحكام الأمراء والسلاطين التجار وذوي المال لكثرة ما بين أيديهم من أموال وهي ظاهرة ممتدة في الزمان المكان وقد عرف في العصر الاسلامي الكثير من هذه الظاهرة التي ورد ذكرها في كتب المؤرخين والرحالة، كقصور الأمويين في الشام الأندلس وقصور العباسيين، وقصور حكام المغرب والأندلس التي كانت تزخرف في داخلها بضروب الفن وانواع والزينة والزخارف، كقصور الأمويين في قرطبة وقصور الحكام والولاة في المدن الأندلسية وخاصة في عصر ملوك الطوائف وكذلك قصور الحكام بلاد المغرب وثرائها كقصور الأغالبة الزيريين في إفريقية الحماديين في القلعة وبجاية.

كان المرابطون قد بدأو حياتهم متقشفين، فلم يقم يوسف بن تاشفين إلا في دور بسيطة ولكن بوفاته ووصول إبنه علي إلى سدة الحكم أدخل حياة الترف والفخامة إلى البلاط المرابطي، فبنى قصر الحجر وهي نفس الظاهرة التي سار عليها الموحدون من حيث تقشفهم في أول أمرهم حتى أن الناس في مدينة فاس لجأو إلى تغطية محراب جامع القرويين بالجص عند اقتراب عبد المؤمن من دخول المدينة، لما عرف عن المهدي بن تومرت من التقشف خوفا من ان يهدم المحراب ويؤاخذ الناس على اقبالهم على الدنيا[1] لكن بدخول الدولة مرحلة الاستقرار بدأ الخلفاء يهتمون كثيرا بجانب العمران، حيث شيدوا الكثير من القصور التي كانت غاية في الجمال، حتى أن العديد من الشعراء أتو على ذكر تلك القصور ووصف مدى حسنها، فيقول أحدهم في وصفه للقصور التي بنيت في عهد الخليفة المنصور

وقصور منصورية　　　　حط السرور بها المطية

[1] - عبد المجيد النجار :**المهدي بن تومرت**، ص **390**.

أعجب بمنزلها الذي قد أكمل الرحمان زيه[1]

كان عبد المؤمن أول من بدأ في بناء القصور، فيقول المراكشي:" وأقام عبد المؤمن رحمة الله مراكشي مرتبا للأمور المختصة بالمملكة في بناء الدور وإيجاد قصور وإعداد سلاح "[2] ، وانشأ ابنه الكثير منها على الطريق من مراكش حتى مدينة الرباط، قاعدة الجيوش الموحدية في الانطلاق إلى الأندلس[3] وبعده جاء ابنه أبو يوسف يعقوب الذي عرفت أيامه أزهى فترات الدولة الموحدية حيث تطورت وازدهرت في جل الميادين بما فيها العمران وكان المنصور قد ابتنى ضاحية امتدادًا لمدينة مراكش وانشأ فيها الكثير من القصور والمباني الأخرى، وفي ذلك قال المراكشي ":فإنه - أي المنصور الموحدي - كان مهتما بالبناء، وفي طول أيامه لم يخل من قصر يستجده أو مدينة يعمرها، زاد في مدينة مراكش في أيامه زيادة كثيرة يطول تفصيلها[4] " ،وأما في الأندلس فقد عمل على ترميم قصور بني عباد وأضاف عليها[5].

أما الأندلس فكان لها الحظ الأوفر في الجانب العمراني، حيث بنى بها الموحدون الكثير من القصور، هذا إضافة إلى القصور التي كانت بها قبل دخول الموحدين إليها، ومن قصور الموحدين بها قصر أبي يحي بقرطبة، والذي بناه السيد أبو يحي بن يوسف بن يعقوب بن عبد المؤمن خارج قرطبة، على متن نهر الوادي،

---

1 - الأصفهاني :**الأغاني**، قسم شعراء المغرب، ص **23**.

2 - المراكشي، **وثائق المرابطين و الموحدين** ، ص **208**.

3 – ابن صاحب الصلاة :**المن بالإمامة**، ص **442-443**.

4 – المراكشي :**وثائق المرابطين والموحدين**، ص**292**.

5 – Henri Terrasse ; histoire de Maroc (des origine à l'établissement du protectorat français), éditions AL lanti des, Casablanca **1999**, p : **335**

وقد كان من إنشاء المهندس الحاج يعيش المالقي، وهذا الأخير بالغ في إتقانه آما لم يبخل السيد أبو يحي في النفقة على بنيانه[1]، ونجد أيضا قصر المأمون بمالقة والذي كان يعرف بالقصر السعيد[2] أما في اشبيليا فإنه من الصعب معرفة ما أنشأه الموحدون بها من قصور، إذ أن أغلب ما أقاموه كان على أنقاض ما وجدوه من قصور المعتمد بن عباد، حيث قام الموحدون بهدم جزء من تلك القصور، وأقاموا مكانها قاعات جديدة تتفق زخارفها مع الأسلوب الشائع في فنون الموحدين، والذي يجمع بين البساطة التي امتازت بها منشآتهم بالمغرب، والعلو في الحشو الزخرفي والميل إلى التعقيد[3]، وكان بناء قصور البحيرة بإشبيليا سنة(**567 هـ/1171 م**)، بأمر من الخليفة أبو يعقوب يوسف، وقد أمر بأن تختط خارج باب

جصور من إشبيليا، في الجنة المنسوبة لابن مسلمة القرطبي، بعد أن انتزع ملكيتها، مقابل عوض صحيح من النبات مثلها، وفي هذا الموضع أقام العرفاء القصور المذكورة ودورا للأمراء فقامت القصور التي أنشأها العريف محمد بن المعلم لأخيه السيد أبي حفص على وادي اشبيليا خارج باب الكحل، وقد تولى بناء القصور ودور الأمراء العريف أحمد بن باسة[4]، آما عهد أبو يعقوب يوسف إلى كل من القاضي أبي القاسم أحمد بن محمد الحوفي الاشبيلي والموثق باختطاط ما يلزم لإقامة بساتين ملحقة بالقصور، تغريس بأشجار الزيتون والأعناب والكمثري والإجاص المسمى بالعبقر.والأرز والتفاح، فإختط ما أمره به، وكان الملتزم للحفر في غريس البحيرة المذكورة الشيخ أبو داود بلول بن جلد اسن شرف اشبيليا تحت الإشراف

[1] – السيد عبد العزيز سالم : **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، ص **202**.

[2] – إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، ص **349**.

[3] – السيد عبد العزيز سالم : **المساجد والقصور**، ص **122**.

[4] – ابن صاحب الصلاة :**المن بالإمامة**، ص **476**.

السيد أبي العلاء إدريس الوزير وابنه[1] ، وبعدها انتبه الخليفة الموحدي إلى مشكلة توصيل المياه إلى هذه القصور، فعهد إلى الحاج يعيش المالقي بتوصيل المياه إليها[2] ، وقد كانت القصور التي بناها الموحدون بإشبيليا أجمل العمائر وأفخمها.

1- قصور خاصة

وإلى جانب الدور والمنازل التي سكنها العامة كانت توجد القصور الفخمة والعمائر العظيمة التي حفلت بها الأندلس عامة واقليم غرناطة خاصة، ومن أهم هذه القصور قصر بني زبرى : و هي دار ضخمة بناها بنو زبرى الصنهاجيون عند امتلاك غرناطة أواسط القرن الخامس للهجرة [3] ،(الحادي عشرة ملادي) وتشرف هذه الدار على المنظر العام لسهل غرناطة، وقد بني في هذه الدار برج متوج بشكل بونزي على نحو دوارة للهواء تصور ديكا يمتطيه محارب يحمل رمحه ودرقته مع الريح وهو يرمز الى أن من يحكم البلاد فعليه أن يكون حذرا كالديك ويقبل بوجهه ولا يوليه ظهره وكان يسمى في القرن السادس عشر ببيت الديك [4] أو دار الديك .

وقد شيدت هذه الدار من ملاط شديد الصلابة، ويدل على ذلك بعض القطع الحجرية المتبقية في القصر.

أ-قصر شنيل

ويسمى قصر السيد ويقع خارج غرناطة على الضفة اليسرى لنهر شنيل ويرجع تاريخ بنائه إلى الأمير الموحدي أبي اسحاق ابن الخليفة أبي يعقوب يوسف

---

[1] – ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه، ص **476**.

[2] – السيد عبد العزيز سالم :**المساجد والقصور**، ص **80**.

[3] – العمرى: **مسالك الأبصار** : (وصف أفريقية) ص**40**، انظر المقرى: **نفح الطيب**: ج**1**، ص**196**.

[4] – العمرى: المصدر نفسه، ص**40**، هامش رقم **1**.

615هـ سنة **1218**م)[1] وهي عبارة عن بناء يشتمل على باب عربي ذي عقود رائعة وبكل جانب منه عقدان يؤدي الباب بالداخل الى فناء مربع الشط به اربعة عقود رائعة بكل جانب عقدان وللقصر قبة يبلغ ارتفاعها اثني عشر مترا تكسوها المقرنصات الرائعة، هذا ولم يتبقى من القصر الان سوى البقايا التي بها النقوش والزخارف المذكورة، كما يوجد في غرناطة قصران آخران من عصر الموحدين، هما قصر نجد والدار البيضاء، وتنسب هذا القصران إلى الخليفة أبي مالك عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن [2].

ثانيا: المرافق العمومية:

1-المستشفيات:

كانت المستشفيات تعرف بالبيمارستانات، وكلمة بيمارستان فارسية الأصل مكونة من شقتين هما بيمار وتعني عليلا وستان وتعني دار أو مقرا للمرضى، وأول مشفى أنشأت في الإسلام كان عبارة عن خيمة أمر بها الرسول -صلى الله عليه وسلم -لرفيدة الأسلمية في غزوة الخندق لإسعاف الجرحى[3]، وبعدها أنشأت الكثير من هذه المؤسسات الصحية في عهد الأمويين والعباسيين من بعدهم في العديد من الحواضر الإسلامية[4] .

كانت المستشفيات تنقسم إلى قسمين: الأول يضم المرضى من الرجال والثاني مخصص للنساء، بالإضافة إلى جناح يستقبل المرضى عقليا[5]. في البداية كان

[1] – ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج**1**، هامش**3**، ص**119**- **127**- **316**- **523**.

[2] – مجهول: **الحلل الموشية**: ص**162**.

[3] - على بن عبد الله الدفاع :**رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت **1997**، طبعة **1**، ص**80**.

[4] - يوسف فرحات :**علماء العرب**، تراد مكسيم شرآة مساهمة سويسرية، دون تاريخ نشر، ص**19**.

[5] - سيرتوماس :أرنولد :**تراث الإسلام**، تر :جرجيس فتح الله، دار الطليعة بيروت، **1972** ، طبعة **2**، ص**502**.

أمر إنشاء المستشفيات متوقف على أمر من الخلفاء والولاة، لكن الوضع اختلف فيما بعد إذا أقدم الكثيرمن الأطباء وغيرهم على إقامة المستشفيات وتجهيزها بكل ما يلزمها لاستقبال المرضى[1] وفي بلاد المغرب والأندلس لم يرد ذآر المستشفيات أنشأت طوال فترة حكم المرابطين[2] ، وكانت أول مستشفى هي تلك التي أنشأها المنصور الموحدي في مراكش[3] وكان المشفى بديع البناء، وإذ يصفها المراكشي بقوله ":وبنى المنصور بمدينة مراكش بيمارستان ما أظن في الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه، فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح، وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع المشمومات والمأكولات، وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسطه، إحداهما رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصدف والكتان والحرير والأديم وغيره ما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت وأجرى له ثلاثين دينار في كل من الأدوية، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأنترية والأذهان والأكحال"[4] ، وهذا يبين اهتمام المنصور بإنشاء الأماكن الإستشفائية وعمله على تجهيزها بكل أنواع العلاج وحشد لها مجموعة من الأطباء وذلك للسهر على راحة المرضى[5]، ويعد هذا المشفى أشهر

---

1 - زيغريد هونكة :**شمس العرب تسطع على الغرب**، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوني رابعة مارون عيسى الحوري المرجع السابق، دار صادر، دار الآفاق، بيروت، **2000** ، ط و، ص**730**.

2 - حسن على حسن :**الحضارة الإسلامية**، ص**401**.

3 - – أحمد عيسى :**تاريخ اليمارستان في الإسلام**، المطبعة الهاشمية، دمشق **1939** ، ص**280**.

4 - المراكشي :**وثائق المرابطين والموحدين**، ج**1**، ص**269**.

5 - Budget Meakimm the murish empire, swan sonnenscheina a Colin London, **1899**, P **81**.

مشفى عرف في عهد الموحدين، حتى أن المصادر والمراجع لا تصف من المستشفيات في تلك الفترة سوى هذا المستشفى.

2-المنتزهات

انتشرت في الأندلس عامة لطبيعة إقليمها الخصب ومناخها الرائع، الحدائق والجنات التي اتخذها الناس مكانا للنزهة والترويح عن النفس ومن أشهر منتزهات غرناطة فحصها المعروف بمرج غرناطة، وهو بساط أخضر تشرف عليه المدينة من الجنوب الشرقي، وكان من أنضر وأبدع بقاع الأندلس الخضراء بمزارعه اليانعة وحدائقه الغناء ولذا صار منتزها للناس لاسيما في الصيف[1]، إن توفر الأندلس على مثل هذه الأماكن، وتخصيص أماكن خاصة بها وحمايتها من قبل الدولة من كل غاصب ومتعد، وتعارف الناس على مثل هذه المناطق وقصدها للاستجمام، لدليل واضح على مستوى الوعي والنضج الذي وصل إليه المجتمع الأندلسي في الحفاظ على مثل هذه الفضاءات، وهي في نفس الوقت تعكس رؤية الدولة المتكاملة لتخطيط المدينة.

أ-عين الدمع

هي بقعة في ضواحي غرناطة كانت أيام المسلمين متنزها بديعا تغطيها المروج والحدائق الغناء ويبدو من وصف ابن الخطيب لها أنها كانت قريبة من سفح جبل الفخار وكانت تسمى عندئذ بعين الدمعة، ويشغل موقعها سطح قلال البيازين، كذلك كان من بين منتزهات غرناطة المشهورة حوز مؤمل واللشتة والزاوية والمشايخ.

ب-متنزهات نهر شنيل

وهو النهر الذي تقع عليه غرناطة ويسمى أيضا عند الأندلسيين بنهر سنجيل، وشنيل هو أحد نهر الوادي الكبير وكان لأهل غرناطة شغف وولع

---

[1] - ابن الخطيب: **الإحاطة**: ج**1** ،ص**99** ،هامش (**1**)، المقرى: **نفح الطيب**: ج**1** ص**164**، سنة **1949**.

بالجلوس على ضفافه، حيث يقضون الأمسيات في أنس وسمر وخاصة في فصل الربيع والصيف وبلغ من حبهم لهذا أن فضلوه على النيل ولهذا فقد أضافوا حرف الشين إلى حرف النيل فأصبحت تعنى ألف نيل (شنيل) فكأنهم قدوه بألف نيل.

ولم تكن مدينة غرناطة تضم فقط الحدائق والمنتزهات بل حفلت بعض مدنها وأعمالها أيضا بالمنتزهات البديعة والحدائق الغناء فكان يوجد بمدينة ألمرية بعض المنتزهات والمنى الخضراء ومن أجمل هذه المنتزهات منى عبدوس،ومنى غسان،والنجاد وبركة الصفر،وعينو النطية[1].

3-الطرق والشوارع والقرى

تشدد الفقهاء في العمل على احترام الطرق بين الأرض أو داخل القرية فقالوا بهدم كل ما اقتطع من سكك المسلمين، لأنه لو جاز لأهل جانب السكة التوسع فيها لجاز لأصحاب الجانب الأخر أن يأخذوا مثله، فإذا بسكك المسلمين قد ضاقت بهم، وإنما الأفنية والطرق كأحباس للمسلمين، لا يجوز لأحد أن يحدث فيها حدثا إلا من ضرورة، و أن تزيد من طرق المسلمين شيئا بنيان أو اغتراس أو غيره مما يريد اقتلاعه دونهم، فإن السلطان يأمر بهدمه وتغييره[2]، إن هذا التوصيف الذي قدمته المصادر للطرق، وتشدد الفقهاء في الحفاظ عليه لهو من أهم الأمور التي تعكس صورة الدولة الحضارية.

ولكن للأسف، لم يمنع هذا التشدد من قيام تعديات ومشاكل بسبب الطرق والحدود التي في القرى الأندلسية، فقد ثبت أن شخصا يدعى سعيد بن سليم قد تعدى على طريق المسلمين في إحدى القرى وضمه إلى جنانه وأرضه[3]، ونازلة أخرى

[1] – ابن سعيد: **المغرب**، ج**2**، ص**194**.

[2] – ابن سهل: **الإعلام**، ج**2**،ص**780** ومابعدها.

[3] – ابن سهل: **المعيار**، ص**780**.

في رجل له كرم بين كروم لأناس شتى متلاصقة، وكانت قد تبورت، وكان صاحب الكروم يسير إلى كرمه من حيث شاء لا يمنع، ثم عمر أصحاب الكرم كرومهم، ومنعوه من الدخول عليها، وكان قد سلك هذا الطريق قبل الغرس نحو ستة أعوام فلما غرست الأرض وأدرك الغرس منعه من السلوك عليه، واستند الفقهاء في حكمهم على هذه النازلة التي نزلت ببياسة على سنة أهل القرية في الفدادين والاحقال.

ووقعت مشكلة كذلك بين أقارب في قرية، إذ كان لأحدهم أرض فغرسها كرم، وحوله أرض جيرانه وقرابته غير محظور عليها، فكان يختلف إلى كرومه من حيث أمكنه عشرون سنة أو نحوها، ثم غرس جيرانه وأقاربه أرضهم من كل ناحية ، وأغلقوا عليه ومنعوه الدخول إلى كرمه من كل ناحية[1] ، وكذلك وقع لصاحب أرض وسط أرضين لقوم كانوا ينتجعونها بالحرث والحصاد على فدان من لم يحرث فدانه تلك السنة فأراد أن يتخذ بنيانا في أرضه فمنعه أصحاب الفدادين المحيطة به، و قالوا له : تطرق علينا وتضر بنا في فدادينا إذا زرعناها[2] .

وباع رجل قطعة أرض، وعليها طرق للغير، فوقع النزاع في الطريق وفي سعته، لأنه للبهائم وغيرها، وقد جرى العرف أن يحد لصاحب الطريق بقدر ممشاه بذاته وبهائمه[3] ، إن هذا الحرص الشديد على مراعاة حقوق الناس وعدم المساس بها في كل ما رأينا من أمثلة، وليس الحفاظ على حقوق الإنسان فحسب بل حتى حقوق الحيوان لم تهمل في أبسط صورها ألا وهو الطريق.

---

[1] – ابن سهل: **الإعلام**، ج**2**، ص**833**.

[2] – ابن سهل: المصدر نفسه، ج**2**، ص **834- 835**.

[3] – الونشريسي: **المعيار**، ج**6**، ص**39**.

المبحث الثالث

منشآت عمرانية

تمهيد:

إنَّ البناء والتعمير يعكس الوجه الحقيقي لأحوال المجتمعات، وتبيِّن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ككل، وتوضح مدى تطوّر وازدهار الدول أو ضعفها وانحطاطها، فالعمران هو بمثابة اللباس الذي يرتديه المرء إذ ينبئ ثوب الشخص عن أحواله ومستواه، إلى أي طبقة ينتمي وكذلك العمران يعبر عن هوية المجتمع وأحواله.

شهدت بلاد المغرب والأندلس على حدٍّ سواء ازدهاراً ونشاطا كبيرين في حقل البناء والتعمير، خاصة مع قيام دولة الموحدين، حيث أولى خلفاء الموحدين جانب البناء والتشييد اهتماما كبيرا[1] فقد أنشأوا الكثير من المدن الجديدة، وعملوا على تزويدها بكل ما تحتاج إليه من منشآت مدنية وأخرى عسكرية ودفاعية[2]، ومن المنشآت المدنية التي أنشأها الموحدون الكثير من المساجد والمستشفيات، والمدارس والفنادق والحمامات والقناطر، وغيرها من المنشآت الحيوية الأخرى.

في هذا العصر شهدت الكثير من المدن المغربية والأندلسية ازدهار كبيراً[3]، وأدخلت عليها الكثير من التعديلات، أُقيمت بها العديد من المنشآت الجديدة[4]، ومن هذه المدن مراكش رباط الفتح المغربيتين، وغيرهم، ومن أهم المنشآت التي شيدوها القصور والمساجد فبعد المؤمن بن علي اهتم كثيرًا بعملية البناء والتشييد

---

[1] – عبد الواحد المراكشي : **وثائق المرابطين و الموحدين** ، ص **271**.

[2] – عبد الواحد المراكشي:المصدرنفسه، ص **282** ، ابن صاحب الصلاة :**المن بالإمامة**، ص **411**.

[3] – الأغا مزاري العودة :**طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن19**، ج**1**،تحقيق يحي بوعزيز،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان،**1990**، ص **131**.

[4] – ابن صاحب الصلاة،المصدر السابق، ص **412**.

حتّى أنّه أمر بتعمير مدينة جديدة هي مدينة رباط الفتح وأنشأ بها كل ما هو ضروري وحيوي[1].

وهمة البناء والتشييد لم يقتصر على عبد المؤمن بن علي بن بقيت عالية عند خلفاء بني عبد المؤمن كلهم[2]، فابنه أبو يعقوب يوسف واصل على نهج أبيه، وأنشأ الكثير من المنشآت مثل المساجد و قصور وحتى مدن وخاصة في الأندلس، ولما جاء المنصور عرفت حركة البناء والتشييد دفعا جديدًا، وازدهار كبيراً، وكان ذلك طوال فترة خلافته إذ أنَّ المراكشي يقول:"كان مهتما بالبناء وفي طوال أيامه لم يخِل من قصر يستجده أومدينة يعمرها"[3]، وفي عهده حقّقت الدولة الكثير من الانتصارات العسكرية الباهرة، وتم توظيف العائدات في انجاز أجمل المباني وأروعها ويذكر بن أبي زرع أن " أبا يوسف يعقوب المنصور لما جاز إلى الأندلس لغزاة الأرك المذكور، أمر ببناء قصبة مراكش وبناء الجامع المكرم الذي بإزاء القصبة وصومعته، بناء منار جامع الكتيبة وبناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا وبناء جامع حسان ومنارته"[4] وبعد المنصور عرفت حركة البناء والتعمير نوعًا من التراجع، ويعود ذلك إلى أفول دولة الموحدين، وتراجع سلطانها، فبعد أن كان الخلفاء مهتمين ببناء المدن وتزويدها بالمنشآت العسكرية، لمقاومة الأخطار الخارجية التي أصبحت تهدّد آيان دولة الموحدين، فالنصارى تكالبوا على المدن الأندلسية واستردُّوا بعضها، وفي المغرب ظهرت دويلات فتية راحت تُنافس دولة الموحدين،

---

[1] – عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس–قسم الموحدين**، ص **332**.

[2] – ابن أبي زرع :**الأنيس المطرب**، ص **127**.

[3] – عبد الواحد المراكشي: **وثائق المرابطين و الموحدين** ، ص **222**.

[4] – ابن أبي زرع :المصدر السابق ص: **126**.

وتعمل على أخذ سلطانها، ومنها الدولة المرينية التي كانت سببا في أفول نجم الموحدين، وذهاب سلطانهم في المنطقة.

1-طابع البناء:

لقد ارتبط طابع البناء في الغرب الإسلامي بموقعه الجغرافي، وبالظروف التي مرت بها المنطقة أيام الموحدين، فبدخول المسلمين إلى بلاد المغرب أيام الفتح، ونقلوا معهم خبراتهم في طريقة البناء، ولكن المغاربة طوروا أساليبهم وطرقهم على مر الأيام السنين فاكتسبوا طرازا خاصا بهم وخطا فنيا يميزهم ولكن المؤثرات الشرقية ظلت قائمة ليبقى الإحتكاك الدائم وخاصة من خلال طريقة بناء المساجد والحمامات[1].

كما كان للأندلس تأثير على عمران المغرب وعمارته وخاصة أيام المرابطين والموحدين حيث شهدت العدوتين ارتباطا كبيرا بفضل الوحدة السياسية التي شهدتها المنطقة فقد استعان الخلفاء الموحدون كثيرا بخبرة أهل الأندلس الذين كانوا معروفين في هذا المجال وبرز الحاج يعيش المالقي الذي استعين به في بناء مدينة جبل الفتح[2]، وأحمد بن باسه الذي استعان به الموحدون كثيرًا في إنشاء القصور والمساجد وغيرها من المنشآت العامة، وحتى الأسرى النصارى الذين كانوا بالمغرب استغلوا في عمليات البناء والتشييد، فيقول الحميري : ثم رجع المنصور بعد انتصار في الارك -إلى اشبيلية ظافرً وأقام مدة ثم غزا بلاد الجوف فحاصر ترجالة، ونزل على بلنسية ففتحها عنوة، وقبض على قائدها يومئذ مع مئة وخمسين من أعيان كفارها، ووجههم إلى خدمة بناء الجامع الكبير مع أسارى الارك[3].

---

[1] – حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في الأندلس**، ص **374**.

[2] – السيد عبد العزيز سالم : **المغرب الكبير**، ص **835**.

[3] – الحميري :**الروض المعطار**، ص **13**.

وبالإضافة إلى استفادة المغاربة من خبرة الأندلسيين، أصبح بعض أبنائه بعد الاحتكاك والممارسة لأعمال البناء يشارآون في أعمال البناء في الأندلس فضلا عما أقاموه بالمغرب، وفي بداية دولة الموحدين لقيت الزخرفة معارضة شديدة، وذلك اقتداءً بتعاليم المعمري بن تومرت الدينية في البعد عن النقش والزخرفة[1] .

لكن بدخول دولة الموحدين مرحلة الازدهار، واستعانتهم بخبراء الأندلس في إنشاء جل ما عمروا بالعدرتين، أصبحت مبانيهم ناطقة بذوقهم في الزخرفة التي تجمع بين رقة الأندلس وفخامتها وقوة بلاد المغرب[2] .

وفي عهد الموحدين أُنشأت الكثير من المدن في المغرب كما في الأندلس، وكان لهذه المدن دورها الحضاري الكبير والفعَّال في تقدم المنطقة وازدهارها، وذلك لما اشتملت عليه من منشآت اقتصادية واجتماعية يحتاج إليها الناس لمزاولة حياتهم اليومية بأكثر سهولة، وشكلَّت هذه المدن مراكز جلبت السكان إليها من شتَّى المناطق المجاورة وغير المجاورة، حتى أن العديد من هذه المدن اكتظت بالسكان**.**

ومن المدن التي أنشأها الموحدون مدينة رباط الفتح[3] ، وجبل الفتح[4] ومدينة البطحاء[5] بالمغرب الأوسط، والتي كانت تعرف بالدرة، وموقعها على نهر الشلف وأن بناؤها سنة(**555 هـ / 1159م**)[6]، وبالإضافة إلى المدن التي أسسها الموحدون،

---

[1] – حسن علي حسن :**الحضارة الإسلامية في الأندلس،** ص **377**.

[2] –حسن علي حسن: المصدر نفسه، ص **378**.

[3] – مجهول : **الحلل الموشية** ، ص**151**.

[4] – ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب،** ص **173**.

[5] – البطحاء : مدينة قديمة تقع شمالي اغيل إيزان قرب ملتقى وادي مينا بنهر شلف عن مقام المهدي ورفاقه بالبطحاء أنظر،البيذق ،**المهدي بن تومرت** ،تهميش ص**37**.

[6] – على عبد الله علام : **الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، مصر،**1971**، ص **373**.

فإنهم قاموا أيضا بتجديد بعض المدن وتزويدها بما ينقصها من منشآت، ومن هذه المدن مدينة تاجرا التي جدَّدها عبد المؤمن[1] ، ومدينة مراكش التي اهتم الخلفاء الموحدون بها كثيرا، فعند اكتظاظ هذه المدينة بإسكان عمل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على إنشاء مدينة أخرى تكون امتدادًا للعاصمة مراكش، وكان المنصور هو المكلَّف بالإشراف على هذا المشروع، وعند وفاة أبي يعقوب يوسف سنة (582هـ/1184م)، تواصل مشروعه في البناء، وحشد له الخبراء والصنّاع والآلات، وأمرهم ببذل آل جهد وفن في سبيل إتقان بنائها وسمَّاها الصالحة، وضمَّت القصور الأسواق والفنادق[2] .

2-نظام المدن:

لقد اعتمد الفقهاء في تناولهم لأحكام البنيان على آيتين في القرآن الكريم وهما "خذ العفو وأمر بالعفو واعرض عن الجاهلين" [3] ، والعرف هنا يتمثل في مجموعة من القواعد التي اعتاد الناس على إتباعها جيلا بعد جيل، واحترموها خشية العقاب، والخروج عن المألوف[4] وهذه القاعدة الأصولية هي عماد الحياة الاجتماعية في المدن الإسلامية و التجمعات الإنسانية وفي الحديث جاء قوله صلى الله عليه وسلم " لا ضرر ولا ضرار"[5] والذي بابا واسعًا في فقه العمارة الإسلامية، وعليه

[1] – على عبد الله علام : **الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي** ، ص **373**.

[2] – حسن علي حسن : **الحضارة الإسلامية في الأندلس**، ص: **282**.

3 – سورة الأعراف، الآية: 199.

4 – عزت خالد محمد: **تخطيط وعمارة المدن الإسلامية**، كتاب الأمة سلسلة دورية تصدر عن وزارة الأوقاف، قطر، العدد **58**، ربيع **1418**هـ، ص**81**.

5 – حديث شريف رواه ابن ماجة وأحمد.

قامت أحكام كثيرة، كما أثرت هذه القعدة على حركة العمران في المدن الإسلامية[1] .

امتازت العمارة الإسلامية بالعديد من الميزات الخاصة التي جعلتها تنفرد عن باقي أنواع العمارة القديمة، وفي أغلب المدن الإسلامية كان المسجد يتوسطها، وذلك للمكانة المقدسة التي احتلها المسجد عند المسلمين[2] ، ووجد بالقرب منه الحمام، والفنادق والأسواق ودار الإمارة ثم يليها الدور السكينة التي نزل بها الأهالي[3] .

وقد وجه الخلفاء وولاة الأمر اهتمامهم الكبير بالمدن، فعملوا على توفير كل المنشآت الضرورية التي تيسير حياة السكان، وتسهلها، وأول ما قام به ولاة الأمر عند إنشائهم للمدن كان جلب المياه اللازمة للشرب للأهالي ولدوابهم[4] ، فيقول ابن أبي زرع "**:**لم يكن بها ماء - مراكش - فحفر الناس بها آباراً فخرج لهم الماء على قرب فأستوطنها الناس"[5] ،ثم نزل بالمدينة المهندس عبد الله بن يونس، والذي استطاع بمهارته أن يوفر المياه لسقي البساتين بها، وذلك بفضل طريقة ابتكرها، والتي يقول عنها الإدريسي".. ماؤها - أي ماء مدينة مراكش - التي تسقي به البساتين مستخرج بصنعة هندسية حسنة استخرج ذلك ، عبد الله بن يونس ... وذلك أن هذا الرجل المذكور وهو عبيد الله يونس دخل إلى مراكش في صدر بنائها وليس بهما إلا بستانا واحد لأبي الفضل مولى أمير المسلمين ...فقصد إلى أعلى

---

1 – عزت خالد محمد: **تخطيط وعمارة المدن الإسلامية** ، ص **82**.

2 – محمد عزت: المصدر نفسه، ص **82**.

3 – نمحمد عزت: المصدر نفسه، ص **59**.

4 – حسن على حسن : **الحضارة الإسلامية في الأندلس**، ص **385**.

5 – ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص **127**.

الأرض مما يلي البستان أحتفر فيه بئراً مربعه كبيرة التربيع، ثم احتفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض ومر الحفر بتدريج من أرفع إلى أخفض متدرجا إلى أسفله بميزان حتى وصل الماء إلى البستان وهو منسكب مع وجه الأرض يصب فيه فهو جار مع الأيام لا يتغير..."[1].

عمل الخلفاء الموحدين على تهيئة هذه المدن بكل ما تستحق من منشآت وتزويدها بكل ما تحتاجه من أسباب الحياة كجلب الماء وشق الطرقات.....الخ في المغرب والأندلس[2]، أما في بلاد الأندلسيين فقد اشتهر عرفاؤها ومهندسوها بمعرفتهم التامة بوسائل استخراج المياه من باطن الأرض بعدة طرق وبأساليب فنية، وكانوا يجلبونها من أماكن بعيدة ويخزنوها في خزانات أعدوها لها، إلى جانب خبرتهم في معرفة طرق ووسائل الري[3]، ومن هؤلاء الخبراء الحاج يعيش المالكي الذي يعود إليه الفضل في الكشف عن قناطر المياه الرومانية عام(**567** هـ /**1171** م)، عندما كان يشرع في توصيل المياه إلى قصور الموحدين بالبحيرة في مدينة اشبيليا[4].

أولا: العمارة الدينية:

تعددت المنشآت الدينية في المدينة الإسلامية، ويمثل المسجد الجامع الأساس الأول لهذه المنشآت التي تنوعت بتنوع وظائفها، والتي انبثقت أصلا من وظائف المسجد الجامع، وتطورت مرتبطة بظروف الحياة السياسية والاجتماعية في العصور التاريخية الإسلامية المتتابعة.

---

[1] – الإدريسي: **القارة الإفريقية**، ص **148**.

[2] – ابن غازي :**الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، ص **6**.

[3] – محمد الكحلاوي : **عرفاء البناء في الغرب والأندلس وأهم أعمالهم** من " الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات" القسم**3**، الحضارة والعمارة والفنون، ص **202**.

[4] – ابن صاحب الصلاة :**المن بالإمامة**، ص **469**.

ومن هنا جاءت المساجد والمدارس والخانقات والربط والزوايا والتكايا في عداد هذه المنشآت التي لبت حاجات المجتمع الدينية والتعليمية.

1-المساجد:

يعتبر المسجد من أهم العمائر في المدن الإسلامية عامة، خاصة وفي دولة الموحدين خاصة باعتبارها قامت على أساس دعوة دينية، زعيمها الروحي ابن تومرت، و لهذا فقد ابدوا اهتماما كبيرا ببناء المساجد وتجديدها وتعميرها باعتبارها مراكز الاشعاع الفكري والديني للدعوة، ولذا فقد اصبح بحكم اهميته الدينية والتعليمية[1] واسهامه في اثراء الحيتة الفكرية من اهم المعالم الاسلامية .

وتفاوتت سعته بحسب عدد سكان المنطقة[2] او المدينة التي اقيم فيها، فمسجد غرناطة الاكبر كان يحتوي على احد عشرة رواقا شيده بنو زيرى وابدوا اهتماما كبيرا بعمارته[3] اما مسجد البيازين فكان به تسعة اروقة كذالك كان مسجد المرية يضم اروقة وذلك بعد توسيعه وزيادة مساحته اما مسجد ملقة الجامع فكان يضم خمسة اروقة [4].

ويعتبر مسجد البيرة من اقدم المساجد في اقليم غرناطة فقد شيده التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني الذي توفي سنة (**100هـ/717م-719م**)[5] والذي لم يكمل بنائه نظرا لقة عدد المسلمين الذين كانت تضمعم المدينة حينئذ[6]، حتى اذا

[1] - المقري: **نفح الطيب**، ج**1**، ص**205**.

[2] - بلباس : **الأبنية الإسبانية**، ص**99**.

[3] - ابن خلدون: **العبر**، ص**186**.

[4] - الحميري: **الروض المعطار**، ص**178**، بلباس: المصدر السابق، ص**103**، Elie Lambert. Les Mosquees de type andlou en Espagne et en Afrique du nord(Al Andalus .Xiv **1999** p .**p73 286**)

[5]- ابن الخطيب: **الإحاطة**: ج**1**، ص**92**، الحميري: **الروض المعطار**، ص**29**.

[6] - ابن الخطيب: **الإحاطة**، ج**1**، ص**92**، بلباس،المصدر السابق، ص**99**.

كانت سنة (**250هـ/864م**) اي بعد حوالي قرن ونصف من الزمان أتم بنائه الأمير محمد عبد الله[1]، كذلك شيده الفقيه المحدث معاوية بن صالح الحمصي مسجدا في قصبة مالقة[2] ثم ما لبث المرابطين أن أدخلوا في النصف الاول من القرن الثاني عشرة الميلادي تجديدا هاما في بناء المساجد الاندلسية وهو اسخدام اكتاف من الطوب الاحمر لترتكز عليها العقود بدلا من الاعمدة الحجرية او الرخامية التي كانت تستخدم في ذلك الوقت[3] ومع هذا فقد اشتهر الغرناطيون بكثرة استخدام الرخام في بناء المساجد كما هو واضح في مسجد البيازين[4].

ويصف القلقشندي مسجد غرناطة الجامع بقوله"منظرا هو محكم البناء لا يلاصقه بناء، تحف به دكاكين الشهود والعطارين، وقد قام سقفه على اعمدة حسان والماء يجري داخله[5]"

وانفردت صحون المساجد الأندلوسية بمسحة من الجمال في عمارتها بالجنان وحدائق الفاكهة، فيذكر العمري في كتابه مسالك الابصار: أن حصن المسجد الاكبر بمالقة كانت به اشجار برتقال ونخيل[6].

كذلك كام مسجد المرية الجامع له حديقة كبيرة مربعة الشكل بها اشجار وأنواع أخرى من الأشجار وأرصفة أرضيتها بقطع رخامية وتتوسطها نافورة، كما

---

[1] – ابن عذارى: **البيان المغرب**، ج**2**، ص**48**.

[2] – الحميري: **الروض المعطار**، ص**178**.

[3] – بلباس: **الأبنية الإسبانية الأسلامية**، ص**101**.

[4] – بلباس: المصدر نفسه، ص**110**.

[5] – القلقشندى: **صبح الأعشى**، ج**5**، ص**214**.

[6] – العمري: **مسالك الأبصار**، ص**47– 48**.

كان في وسط حصن المسجد وادى آش حديقة جميلة ونافورة استخدمت للوضوء، وكان مسجد البيازين الأكبر ذا حديقة بديعة بها أشجار لليمون[1] .

ولقد أدرك النصارى دور المسجد وأهميته بالنسبة للمسلمين، فعندما كانت المدن الأندلسية تسقط في أيديهم كانوا يعمدون إلى الدخول إلى المسجد ويحلون قبلته ويجعلون مئذنته برجا للكنيسة، ويذكر بلباس انه مازات بعض المآذن باقية في إسبانيا بسبب تحويلها إلى أبراج للكنائس[2].

مثل المئذنة الغرناطية التي صارت برجا لأجراس كنيسة سان خوسيه[3]، كذلك كانت مئذنة مسجد المرابطين في حي البيازين[4] وكان هذا المسجد من أقدم مساجد غرناطة .

أما مسجد غرناطة الجامع فقد تحول هو أيضا إلى كنيسة سان سلفادور وما زالت بعض أسواره باقية وكذلك عدد من بوائكه وجزء من صحنه[5].

أ-المساجد في القرى

تعد المساجد من أهم المرافق في القرية الأندلسية والمغربية، فقد يؤدي الفلاح صلاته، ويتعلم أمور دينه ودنياه، ويفصل فيه في قضايا الفلاحين وفق لأحكام الشريعة الإسلامية، ويتعلم فيه أبناءه القرآن .

وفي المساجد الجامعة بالقرية تقرأ الكتب الواردة من الحاضر، وأخبار الإنتصارات وطلب المتطوعة للجيش، ويجتمع في المساجد عمال الضرائب

[1] - العمري: **مسالك الأبصار**، ص**47**.

[2] - بلباس: **الأبنية الأسبانية الإسلامية**، ص**105**.

[3] - عنان: **الآثار الأندلسية**، ص**167**، بلباس: المصدر نفسه، ص**105**.

[4] - عنان: المصدر نفسه، ص**168**.

[5] - عنان: المصدر نفسه، ص**168**.

لتحصيلها من الفلاحين، وترسل التحذيرات بالإبتعاد عن المذاهب والفرق الممنوعة من الدولة[1]، و يأوي الغرباء إلى القرية، وغالبا ما يجدون المأوى والمأكل[2] .

ويتضامن أهل القرية في بناء الجوامع والمساجد والمصليات، وتحبس عليها الاحباس للصرف عليها وصيانتها، فإذا لم توجد أحباس أو لم تكف شؤون المسجد جمع من أهل القرية ما يكفي للمسجد، وقد يسيئ بعض الفلاحين إستخدام المستجد فينزل بها الزروع والحطب، وقد تدخلها الأغنام وتلوثها . وإذا عرض المسجد للتخريب من سيل او فتن بشرية يقوم الفلاحون بتجديده .

وقد أوردت كتب النوازل العديد من القضايا المتعلقة بالقرى الأندلوسية والمغربية وشملة أحباس المسجد وأجرة عمله و ترميمه، ومن نماذج هذه النوازل :

ب–أحباس المسجد

إذا ضاقت غلة المسجد المحبسة عليه فيبدأ الناظر بإصلاح ما ضعف من بنائه، ويتبع ذلك بكسوته، فإصلاح حبسه[3]، وهنالك مسجد جامع بقرية تهدمت بلاطات داره، وليس من مستغلاته ما يبني منه بعد نفقات وقيده، وأجرة أئمته وخدمته، وهنالك مساجد أخرى قد فضل من غلاتها كثير[4]، وإذا ضاق المسجد الجامع بالقرية عن أهله وعن من يصلي فيه الجمعة ، وأحتاج أهله إلى الزيادة فيه، و حواليه حوانيت لقوم شتى إمتنعوا عن البيع، فكان رأي الفقهاء أن تؤخذ منهم الحوانيت بالقيمة[5].

---

[1] – ابن حيان: **المقتبس،** ص**25– 29– 232– 237**.

[2] – ابن سعيد: **المغرب،** ج**1**، ص**277**، حسين مؤنس: **المساجد،** ص**34**.

[3] – الونشريسي: **المعيار**، ج**6**، ص**129**.

[4] – ابن رشد: **الفتاوى**،ج**1**، ص**311** ، رقم **65**، الونشريسي: **المعيار**، ج**76**، ص**135– 136**، البرزلي: **النوازل**، ج**4**، ص**38**ب.

[5] – عياض: **مذاهب الحكام**، ص**306**.

ج–مصروفات المساجد

وهنالك مسجد جامع بقرية تهدم حائط قبلته، ولم يكن له من غلة حبسه ما يكفي لبنائه، وبقرب البلدة قرية خلة وبها مسجد تعطل من إقامة الصلاة فيه، وتداعى للسقوط فأراد أهل البلدة نقل أنقاضه لبناء مسجدهم[1]، وهنالك مسجد في القرى ليس لها إمام ولا مؤذن[2]، ووجد مسجد بقرية له احباس منها للبناء، ومنها للحصد والزيت والشمع ولقراءة الحديث، تجمع منها وفر بطول المدة، وللمسجد إمام يسكن بالكراء، فأراد أن يشتري من الوفر دارا تكون فيها حبسا ليسكن فيها بغير كراء[3]، ووجد مسجد بقرية له حوانيت محبسة عليه، وله أربعة مؤذنين يجري لهم مرتب من غلة حبسه، فتسبب بعض الناس بمن له جاه في الاذان فيه حتى صار المؤذنون سبعة، وذاقة غلة الحبس عن مرتباتهم .

د–مصير المساجد بعد الهجرة

وبنى أحد الفلاحين مسجدا في أرضه، وحبس له أحباسا من أرض و زيتون فأنتقل الناس عن الموضع ولم يبق بها إلا قليل منهم، وأرادوا نقل المسجد إلى موضع يكثر الناس فيه، وتخرب ثلث بناء مسجد في قرية منذ عشرة أعوام، وقد هلة القرية التي يوجد بها منذ ستين عاما، وأريد إزالة باقيه ووضعه في مصالح قرية أخرى، وقد يحدث نزاع بين إمام المسجد وأهل القرية، بعد أن يقوم الإمام بتعمير أحباس المسجد، وأنفق على ذلك ببعض ماله في العمارة .

[1] – الونشريسي: **المعيار**، ج**7**، ص**143**.

[2] – الونشريسي: المصدر نفسه، ج**7**، **164**.

[3] – الونشريسي: المصدر نفسه، ج**7**، ص**139**- **140**- **184**.

هـ-صومعة المسجد و عدم الضرر بالجيران

وأحيانا تكون صومعة المسجد تكشف بيوت بعض الجيران، فشكا بعض الجيران من ذلك، بخاصة أن الصعود في الصومعة للأذان يتكرر مرارا في كل يوم، فحكم أن يمنع المؤذن من الطلوع في الجهة التي يطّلع من بعض نواحيها، ويبنى حاجز في الجهة التي يكشف منها، وهذا واقع بالأندلس[1].

ثانيا: العمارة الحربية(منشآت عسكرية):

إن مثل هذا النوع من العمارة اشتمل على الأسوار المحيطة بالمدن بأبراجها وأبوابها، وهذه الأسوار استحدثت فيها الكثير من التحسينات التي جاءت لتدعيم النظم الدفاعية أمام الأخطار الخارجية، سواء كانت من الدول الإسلامية المناهضة، أو من النصارى ببلاد الأندلس، وتمثلت هذه التحسينات في الأبراج البرانية، والأسوار الأمامية والأبواب ذات المرافق، وبالإضافة إلى الأسوار نجد القلاع والحصون والتي غالبا ما تقام في الأماكن المشرفة العالية، والأماكن التي تتسم بمواقعها الضعيفة دفاعيا.

1- القلاع والحصون:

أنشأ الموحدون الكثير من القلاع والحصون، وخاصة الخلفاء والمتأخرين منهم، لأنهم كانوا في فترة تراجع وانحطاط، واشتدت عليهم الأخطار في الداخل والخارج معًا، ولم يبق موقفهم كما كان في السابق، أصبحوا في موقف المدافع بعد ان كانوا في موقف المهاجم، وهذا ما يستدعي وجود مثل هذه المنشآت، التي تساعد في عرقلة تقدم العدو في أراضيهم.

[1] - القاضي عياض: **مذاهب الأحكام**، ص**91-92**.

لقد استفاد الموحدون بما وجدوه من حصون كثيرة خلفها المرابطون في المغرب والأندلس[1]، حيث قاموا بترميمها، وأضافوا إليها حصونا وقلاعًا جديدة[2]، أما في الأندلس فإن مثل هذه المباني الدفاعية وجد فيها منذ السنوات الأولى من الفتح الإسلامي لها، وذلك بحكم موقعها الجغرافي، والذي يجعل منها مجاورة لأراضي الأعداء من النصارى.

وكانت الظروف التي تحكمت في قيام الدولة الموحدية من صراع مع المرابطين من العوامل التي ساعدت على بناء سلسلة من القلاع والحصون الأولى خوفا من الهجمات مباغثة للمرابطين عليهم كما كان لفتنة بني غانية وغزوهم لبلاد المغرب والممتلكات الموحدية فيها إنطلاقا من جزر البليار والجزر الشرقية أثر قوي في تحصين المدن الموحدية وتشييد القلاع والحصون.

أ– القلاع:

قلعة مهدي : حولها مزارع وغلات وبقر وغنم واحوال واسعة، ولها عمارات وأسواق، ويسكنها بطون من زناتة .

قلعة كرقطة : تطل على نهر ايتاون، وبها زرع مثل القمح والشعير كثير جدا،وبها سوق وبجوارها حصن تابريد المنيع .

قلعة بن حمادة أعم المناطق فواكه وخصبا، وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة، وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا، وأحسنها قصورا ومساكن .

قلعة ترنانة : بها مياه كثيرة، وحولها جنات وكروم، ويقام بها سوق عامر .

1 – يوسف اشباخ :**تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، **1958**م، ج **2**، ص**496**.

2 – توفيق مزاري عبد الصمد :**التنظيمات العسكرية المغربية في عهدي المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ جامعة الجزائر **2000** ، ص **197**.

قلاع أجر سيف : يتبع قرية أجر سيف حصن وقلاع جارة، قريبة من نهر ملوية، يأتيها من مطغرة .

قلعة جرماط : قريبة من وادي سيبو بها أسواق، ويسكنها قبيلة مطغرة، استقر بها راوي ابن أخت موسى بن أبي العافية .

ب-الحصون

ومن المراكز العمرانية في الأندلس الحصون، لأنها أقيمت وسط الأراضي الزراعية، ويخزن بها الفلاحين المحاصيل، ويلجئون إليها وقت الفتن والثورات وشكلت الحصون بذلك خطرا كبيرا حتى جعلت الدولة الأموية تهدم الحصون التي تستولي عليها.

وكثرت الحصون ومعاقل في الأندلس بشكل كبير حتى بلغت المئات فوصفت جيان وبلنسية وطرطوشة ولاردة وبريطانية وأشقة والبيرة وشنتبرية بأنها لها حصون كثيرة[1]، ولمدينة مارد أربعة حصون[2]، ولببشتر حصون عديدة[3]، ولمدينة أستجة[4] معاقل منيعة .

ويبني الحصن على أرض مسيطرة على ما حولها، ، وتقام عادة في أماكن استراتيجية فتقوم بحمايتها والدفاع عنها، وفي حالة الخطر يهرع السكان إلى الحصن أو القلعة، ويخزنون الزروع والأغراض، ويكون في الحصن صهاريج المياه ومخازن المؤن والذخيرة، وكان الرجال حامية الحصن يقومون بزراعة قطعة أرض يطلق عليها إسم

[1] – ابن غالب: **فرحة الأنفس**، ص**284- 285- 289- 287**.

[2] – ابن غالب: المصدر نفسه، ص**290**.

[3] –ابن غالب: المصدر نفسه، ص**195**.

[4] – ابن غالب: المصدر نفسه، ص**259**.

المحرث[1]، وكانت الدولة تشجع من يسكن الحصون وبخاصة القريبة من الثغور، فتسجل اسمه في الديوان وتصرف له دينارين وتمنحه منزلا ومحرثا، مثلما حدث في حصن (عقصر) من ثغر برشلونة **393**هـ/**1002**م[2].

فكانت الحصون أشبه بالقرى العسكرية – إن صح التعبير – لأن الحصون تتحول وقت السلم إلى قرى يعمل أهلها بالزراعة مثل حصن بني فراطة في مدينة الفرج وفي البيرة تحولت الحصون إلى قرى وقت السلم[3] ، وبذلك يتحول الحصن إلى مركز عمراني فوص حصن قطرونفي كورة رية بأنه حصن حصين قد احاط به واد شتوي ذي مهاو عظيمة، لا يدني منها ولا يتعلق بها وبين أسفل الوادي والمهاوي حواليه عمائر واسعة وكروم ألفاف وأشجار متصلة ومسارح للمواش عريضة، وتظل فيها سوام أهل الحصن راتعة لا تلحقها مخافة[4] .

وحصن ببشتر تحول إلى مدينة، وكان إذا تول المتوصل إلى أعلاه الفاه سهلا، منفس رحبا منبسطا، كثير الكروم والزيتون والرمان واللوز[5] .

وهكذا كانت الحصون في المناطق الزراعية مراكز للإستقرار ووصفت بأنها عامرة وآهلة كثيرة الخلق محدثة كثيرة الساكن[6].

وكانت الدولة تتجه إلى بناء الحصون والتسجيل فيها لعمالها لوأد الفتن والثورات وشجعت التوطين العسكري فيها – لعل هذا يفسر كثرت الثورات في

---

[1] – ابن عذارى: البيان المغرب، ج**3**، ص**7**.

[2] – ابن عذارى: المصدر نفسه، ج**3**، ص**7**.

[3] – ابن عذارى: المصدر نفسه، ج**2**، ص**163**.

[4] – ابن حيان: **المقتبس**، ص**223**.

[5] – ابن غالب: **فرحة الأنفس**، ص**295**، الإدريسي: **نزهة المشتاق**،ج**2**، ص**542-568**.

[6] – الإدريسي: **نزهة المشتاق**،ج**2**، ص**537- 542- 550- 555- 571- 573**.

وقت ضعف الدولة – وتقوم بإصلاح الحصون المخربة، فقد شر الحاجب عبد الملك المضفر بن المنصور بن ابي عامر (**399-392**هـ / **1000-1008**) بإصلاح حصن ممقصر، ونادى في المسلمين من أراد الإثبات في الديوان بدينارين في الشهر، على أن يستوطن في هذا الحصن فعل، وله مع ذلك المنزل والمحرث، فرغب في ذلك خلق عظيم، واستقروا به في حينهم[1] .

ومع إتساع العمران حول الحصن وتمدنه تضم إليه القرى كتوابع له فيوصف الحصن بأن له ولاية وقرى، وبتزايد إتساع الحصن يحتوي على منشآت مدنية مثل الحمامات والأسواق والأسوار وأحيانا أرباض، فيصبح الحصن أوثق بنيانا وأكثر عمارة[2] .

وفي العهد الموحدي فإن النظام الدفاعي كان ضرورة مطلوبة جدًا منذ الفتح الإسلامي لها، وحتى بعد سقوط دولة الموحدين، ومن الحصون التي أنشأها الموحدون على الأراضي الأندلسية حصن الفرج الذي يقع غربي طريانة من مدينة اشبيليا، والذي يعرف اليوم باسم ما خوان دي، وبناء هذا الحصن يعود إلى أيام الخليفة الموحدي المنصور، سنة(**585**هـ/**1189**م)، وفيه أمر المنصور ببناء القصور والقباب، وفيه جلس ليلقى تهنئة الوفود على النصر الذي حققه في الأرك على النصارى سنة(**591**هـ/**1195**م)[3] ، وبعدها أصبح هذا الحصن مقرًا لخلفاء الموحدين، ومركزًا دفاعيا لمنطقة الشرق، إلا أن الحصن سقط في أيدي القشتاليين سنة (**644**هـ/**1246**م)، وتعمدت أسواره سنة(**683**هـ/**1284**م)[4] .

---

[1] – ابن عذارى: **البيان المغرب**، ج**3**، ص**7**.

[2] – العذري: **نصوص عن الأندلس**، ص**55**- **56**، الحميري: **الروض المعطار**،ص**42**.

[3] - السيد عبد العزيز سالم : **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، ص **128**.

[4] - – عبد العزيز لعرج : **العمران الإسلامي وعمارته** ،ص **82**.

بالإضافة إلى الحصون التي أنشؤوها، قام الموحدون بترميم بعض الحصون الأخرى

ومنها قلعة جابر أو قلعة وادي إبرة، التي تقع على بعد اثنا عشر كيلومترا غربي اشبيليا، وقاموا بتزويد أسوارها بالخنادق، والأسوار الأمامية أما شيدوا وقصبة بطليوس التي أقامها أبو يعقوب يوسف، وأجرى إليها المياه من الوادي المعروف بوادي أنة سنة(**591**هـ/**1172**م).

ج-الربط

الرباط لغة: ما يربط الدابة والقربة وتستعمل لملازمة ثغر العدو.

اصطلاحا: عبارة عن مقام في ثغر العدو لإعزاز الدين، وهي مجاميع لتدريس العلم وتلاوة القرآن، وأماكن للحث عن الجهاد في سبيل الله، وجل أصحابها من المعلمين المدرسين الذين يعلمون الصبيان القرآن[1]، وله وظائف جمة منها دفع الأخطار التي تتهدد المسلمين من الداخل والخارج[2]، وقد وردت كلمة الرباط في القرآن في سورة آل عمران، قال تعالى:"يا لأيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وانقوا الله لعلكم تفلحون"[3]، وفي السنة المطهرة ورد المصطلح صريحا، قال صلى الله عليه وسلم:"ألا أنبئكم بما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذالكم الرباط فذالكم الرباط فذالكم الرباط"[4] .

---

1 - التادلي محمد الزيات: **التشوف بمذهب أهل التصوف**، الرباط، **1950**م، ص**368**.

2 – عبد الرحمان حسن جياد: **أقطاب المدرسة الصوفية في بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد الثالث عشر، العدد**02**، **2010**م، ص**135**.

3 – سورة آل عمران، الآية **200**.

4 – ابن عربي أبو بكر: **الوصايا**، القاهرة، **1980**م، ص**51**.

الرباط مكان المجاهدين المرابطين على الثغور لإرهاب العدو، وكانت ثغور المغرب على السواحل وفي الداخل وأجاز الإمام مالك خروج الرجل بأهله إلى الربط، وقد يطلق عليها المسارح، أو القصور، أو الحصن، أو المحرس[1] .

وكان العمل الزراعي أنسب أعمال المرابطين لأنه عمل موسمي ثم بعد ذلك يتفرغون للعبادة والجهاد، وبنيت الربط والمحارس في الأراضي الخصبة بالوفيرة المياه كالأودية مثل وادي جربة حيث زرع فيه المرابطون الزروعات على جانبيه، وحبست الأراضي على الربط والمحارس، وانتفع المرابطون بزرعها وكانت أكثر الغلات المزروعة الحنط والشعير والفواكه [2]، وحبست الأراضي على الربط والمحارس، وانتفع المرابطون بزرعها وكانت أكثر الغلات المزروعة الحنط والشعير والفواكه .

وكثرت الروابط في مناطق السواحل الصالحة للزراعة حتى وصلت إلى عشرة آلاف رباط من حجر الصخر وأبواب من حديد[3]، وإن بدا هذا العدد مبالغا فيه، إلا أن المسلمين إستخدموا الحصون والأبراج البيزنطية الموجودة، وبنو ربطا أخرى[4] .

ويعد رباط عبد الله بن ياسين أشهر الربط المغربية على الإطلاق، وعندما تجمع في هذا الرباط مع عبد لله بن ياسين نحو ألف من المرابطين في رباط السنغال، بدأ بن ياسن دعوته في نشر الإسلام حتى أصبح المرابطون قوة سياسية كبيرة في المغرب والأندلس .

[1] - انظر: **اليعقوبي: فتوح البلدان**، ج**1**، ص**211**، الدباغ: **معالم الإيمان**، ج**3**، ص**133**، المالكي: **رياض النفوس**، ج**1**، ص**335**، الكندي: **الولاة والقضاة**، ص**155**.

[2] – الإدريسي: **صفة المغرب**، ص**102**.

[3] – ابن الأثير: **الكامل**،ج**6**، ص**213**، ابن خلدون: **العبر**، ج**6**، ص**429**.

[4] – العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس**، ص**296**.

وفي الأندلس أقيمت في أواخر القرن الثاني الهجري الثامن ميلادي، رباطات يقيم فيها العبّاد والنساك من أجل العبادة والجهاد والمرابطة[1]، وفي الأندلس رباطات معلومة الشهرة أيضا كرباط روطة، في قرية يقال لها روطة، وهو موقع يقصده الصالحون وله بركات مشهورة، ورابطة العقاب، والعقاب جبل مطل على خارج غرناطة، وبينهما نحو ثمان أميال[2]، وفي ألمرية هناك رباطان أحدهما يقع في الشمال والآخر في الجنوب، وهناك رباط الخشني[3]، ورباط أبو القاسم المريد، ورابطة أبي عمران، ورابطة السوداني، ورابطة الساحلي، ورابطة السعداء، وهي جميعا مشهورة في مالقة[4].

ثالثا: العمارة الثقافية

إن هذه المنشآت العلمية لم تُعرف في العالم الإسلامي قبل القرن الرابع للهجرة، العاشر للميلاد، إلاّ أنّ هذا لا يعني أن المسلمين لم يكونوا أهل علم ومعرفة، بل على العكس، لأنّ أوّل ما دعا إليه الإسلام كان طلب العلم، ودلّ على ذلك قوله تعالى في أوّل آية نزلت على سيّدنا محمد- صلى الله عليه وسلم ":- اقرأ باسم ربك الذي خلق" [5] ، وفي هذه الآية دعوة صريحة لطلب العلم، وفي تلك الفترة برز الكثير من العلماء والفقهاء الذين أبدعوا وبرعوا كلٌ في مجال بحثه.

1 – الخشني: **تاريخ قضاة قرطبة**، القاهرة، **1970**م، ص**37**.

2 – ابن بطوطة: **تحفة النّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار صادر، بيروت ، ص**64**، **68**.

3 – الدباغ عبد الرحمان بن محمد الأنصاري: **معالم الايمان في معرفة أهل القيروان**، تونس، **1330**هـ، ج**2**، **229**.

4 – ابن عربي: **روح القدس في محاسبة النفس**، بيروت، **1969**م، **50**.

5 – سورة العلق الآية**01**.

اتبع طلبة العلم في مزاولة دراستهم على طرق مختلفة وحصلوا علومهم في أماكن عديدة منذ الفترة الإسلامية المبكرة من القرن **2هـ /8**م[1] وكان الجامع والمسجد نواة تحصيل العلوم والمعارف إذ لم يكن دوره منحصرا في كونه مكان عبادة فقط[2] ، وكما كان المسجد مكانا للدرس فقد كان مكانا للدعوة ونشر الإسلام ووظائف أخرى كمحكمة الدعوة السياسية والإصلاح وتلاقي أفراد المجتمع وتواصلهم، وهي أمور تفطن لها صاحب الدعوة الموحدين المهدي بن تومرت حيث أدرك الدور الذي يمكن للمسجد تأديته لتسهيل نشر دعوته وجمع المناصرين له فبدا دعوته في المسجد وعند قيام دولته راح يبني المساجد في كل حاضرة ينزل بها، وفيها كان المهدي يبث في الطلبة المجتمعين إليه عقيدته، ومبادئه ويجب الحاضرين فيما يدعو إليه.

وتعليم الصبيان في المساجد لقي معارضة بعض الفقهاء، الذين خشوا من أن يقوم الصبية بتنجيس المسجد وهو ما فيه إساءة لبيت الله، ألاّ أنّ كونه المقر الأساسي لتقديم الدروس، خاصة الشرعية منها، جعله مفتوحا أمام الراغبين في التعلّم، وبعد فترة ظهرت الكتاتيب التي استقبلت وفود الصبيان من طلبة العلم، والكتّاب هو عبارة عن مكان يتسع لمجموعة من الأطفال قد تكون غرفة في منزل أو حانوتٍ مُكَبّرٍ أو فناء، وإنشاء الكتاتيب لم يُضبط في مكان معين، وغالبا ما كان يقام بقرب من المسجد، وفي أحيّانٍ أقيم داخله، والوظيفة الأساسية للكتاب كانت تعليم الأحداث القراءة والكتابة وتلقينهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[3].

---

1 – عماد عبد السلام رؤوف : **مدارس بغداد في العصر العباسي**، مطبعة البصرة، بغداد **1966** ، ص**05**.

2 – محمد عبد الحميد عيسى : **تاريخ التعليم في الأندلس**، إشراف لويس مواريث فرنانديز، تقديم عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة **1**، **1982** ، ص**207**.

3 – محمد بن سحنون :**كتاب آداب المعلمين**، تقديم وتحقيق محمد عبد الموبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائ، ددون تاريخ طبع، ص**88**.

وكان تعليم الصبيان لا يتم إلاّ بإشراف علماء ومشايخ متمكنين، ومثل هذا العمل كان يتم في مقابل أجرة[1]، وأمر تقاضي الأجرة اختلف بخصوصه العلماء، فهناك من رفض تقديم الأجرة، ومنهم من أباح ذلك[2]،غير أنَّ الإباحة رُبطت بعدة شروط، أهمها أن تكون نية المؤدِّب أو المعلِّم من وراء عمله في تدريس الصبيان، هي التقرب إلى الله عزوجل[3] وأن لا تكون غايته دنيوية كحب المال، وأن لا يكون للمال دخل في تحديد طريقة تعامل المؤدب مع الصبيان، كأن يميل المعلِّم لمن يدفع

له أكثر، ويُهمل في متابعة وتعليم من لا طاقة لهم على دفع الكثير من المال[4]، في فترة موضوع الدراسة، عمل الكثير من المتصوِّفة في تدريس الصبيان، إلاّ أنّهم لم يتقاضوا أجرًا مقابل ذلك، ومن كان يتقاضى أجرا، لقاء ذلك كان ينفعه على تلامذته من الفقراء والمساكين، وعلى المعوزين من الناس[5] ، وغالبا ما كان

الفقر والحاجة هما من يدفع ببعض العلماء إلى القعود لتدريس الصبيان أملاً منهم في أن يكون الأجر الذي يحصلون عليه ضمانا لهم ولأسرهم، ويجنبهم حرج السؤال[6] . وللتدريس اختار بعض المتصوفة بيوتهم لتكون مقراً لاستقبال الأطفال، لإدراكهم أن نشر العلم أمر مهم[7] ، فأبي مدين شعيب رأى أنّه "من تعلّم العلم

1 – محمد عبد الحميد عيسى :**تاريخ التعليم في الأندلس** ،ص **217-218**.

2 – محمد صالح الجوة :أثر الأندلسيين في الأدب المغربي،رسالة دكتوراه، معهد اللغة وأدب العربي،جامعة الجزائر، **1987**، ص **185**.

3 – ابن عباد الرندي :**الرسائل الصغرى** :نشر الأب بولس نويا السيوعي، المطبعة الكاثوليكية بيروت لبنان،**1957**،ص**83**.

4 – ابن عبد الرندى: المصدر نفسه، ص **84**.

5 – التادلي محمد الزيات: **التشوف بمذهب أهل التصوف** ، ص **88**.

6 – ابن الزبير: **الصلة**، القسم **5** ،ص**301**.

7 – الصدفي : **السر المصون في ما أكرم به المخلصون**، تحقيق حليمة فرحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، طبعة**1**، **1964**م، ص**16**.

ليعلِّم به الناس أعطاه الله -فهما يعرف به" [1] ، وجلس بعض العلماء والفقهاء للتدريس في حوانيتهم، وهذه الحوانيت كانت مخصصة لبيع الكتب، وأصبحت فيما بعد دُور للثقافة ونشر العلم، ومثل هذه الحوانيت ظهر في عهد العباسيين، وانتشرت فيما بعد في باقي العواصم الإسلامية[2] ويذكر السقطي أنّه على المعلمين أن يكونوا في الشوارع العامرة بالناس وأصحاب الحوانيت[3] .

وقد عمل المؤدبون على تلقين طلابهم دروسا في مختلف الميادين، فكانوا يدرسون القرآن الكريم والحديث وما نجم عنهما من العلوم، مثل التفسير، والقراءات والفقه، والكلام، والعلوم العقلية، والفلسفة، والهندسة والرياضيات[4] ، وهذه الطريقة في التدريس أنجبت الكثير من العلماء الذين سُجِّلت أسماؤهم بأحرف من ذهب في سجِّل التاريخ، ودرست مصنَّفاتهم في أرقى الجامعات عبر العالم، ومنهم الفيلسوف ابن طفيل، وابن رشد الحفيد، ابن زهر وآخرون كثُر.

أَمَّا المدرسة فقد جاءت فيما بعد فقد أصبحت مؤسسة تربوية مستقلة عن المسجد غير أنَّها كانت خاضعة لسلطة الدولة، وأول ما ظهرت مثل هذه المؤسسات بالعالم الإسلامي كان في المشرق، وبالتحديد في مدينة نيسابوري، وذلك بعد القرن **4**هـ / **11** م، وتُعد المدرسة البيهقية

---

1 – أبو مدين شعيب: **رسالة في التصوف**، م م المكتبة الوطنية الجزائر، رقم **5009** ، ص **21**.

2 – ابن الآبار : **التكملة لكتاب الصلة**، ج **1**، ص**185**.

3 –كامل حيدر :**العمارة العربية الإسلامية**، نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي دار الفكر اللبناني، بيروت، دون تاريخ طبع ، ص **17**.

4 - Abd Ahhah Mohamed B Abi Mohammed Assakati : un manual hispanique du hisba , libraries Ernest leroux Paris, p **28**

التي شيّدها أبو بكر البيهقي (ت **407** هـ /**1066** م)[1] ، أوّل مدرسة في بلاد المسلمين، وبعدها أنشئت الكثير من المدارس في بغداد العباسية[2] ، ومن ثمَّ انتقل إنشاء هذه المؤسسات إلى الإسكندرية المصرية، لتعُمَّ بعدها باقي الحواضر المصرية[3] ، وفي غضون قرن من الزمن انتقلت مثل هذه المنشآت إلى بلاد المغرب، بعدها إلى الأندلس التي عرفت بكثرة الكتاتيب بها قبل ظهور المدارس، وانتشارها فيما بعد[4] ،وهناك من يُرجع السبب في ظهور نظام المدارس في الإسلام كمؤسسة علمية تربوية قائمة بذاتها، إلى رغبة الدارسين في تلقي مختلف العلوم على نحو أكثر عمقا على أيدي شيوخ العصر[5] .

-ظهرت المدارس ببلاد المغرب أيام حكم الموحدين، لكن هناك من يذكر أنَّ بناء مثل هذه المؤسسات بالبلاد لم يكن معروفا في أيامهم، وأن بناءها عُرف في أيَّام من خلفوهم من دول كالحفصيين والمرنيين والزيانيين، ومنهم ابن مرزوق الذي يقول ":قد قدّمنا أن إنشاء المدارس كان في المغرب غير معروف حتى أنشأها

---

1 – أحمد عبد الرزاق :**الحضارة الإسلامية في العصور الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة الاولى،**1991**م،ص**32**.

2 – عما د عبد السلام رؤوف :**مدارس بغداد في العصر العباسي**،مطبعة البصرة،بغداد، **1966**م، ص **44** ، وما بعدها أحمد عبد الرزاق :المصدرنفسه، ص**32**.

3 – أحمد عبد الرزاق: المصدر نفسه، ص **32**.

4 – عبد العزيز محمود لعرج :**المدارس الإسلامية في العصور الوسطى**، دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها، مجلة الدراسات الإنسانية، تصدر عن آلية العلوم الإنسانية ع **1**، السنة **2001** ، ص **118**.

5 – بوطارن مبارك :**العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن السادس حتى نهاية القرن الثامن الهجري**، رسالة ماجستير، إشراف السيد عبد العزيز سالم علي محمود المليجي، قسم التاريخ والآثار المصرية، جامعة الإسكندرية **1991** ، ص **177**.

مولانا المجاهد، الملك العابد -مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس، وبعدوة القرويين منها[1] وهو هنا يقصد أحد السلاطين المرينيين الذين عاش في بلاطهم.

غير أنَّ ما حصل في بلاد المغرب والأندلس عند قيام دولة الموحدين من دفع جديد وخاصة في المجال الفكري يفند ذلك، فخلفاء الموحدين كانوا من المهتمين كثيراً بالعلم ورجاله، حيث بعثوا في طلبهم من شتى الأمصار، وكانت حاشية، الخلفاء من العلماء، وحتى هم أنفسهم كانوا على قدر كبير من التعلُّم وسنَّ أوَّل خليفة لهم - عبد المؤمن بن علي - سُنَّة التعليم الإجباري المفروض على كلّ مكلَّف من الرجال والنساء[2] ، وأنشأ باقي الخلفاء المؤسسات التعليمية، وأجزلوا العطاء للعلماء، ويَذكر ابن أبي زرع أن المنصور ":حصن البلاد وضبط الثغور وبنى المساجد والمدارس في بلاد المغرب وإفريقية والأندلس، وبنى المارستان وأجرى المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبتهم وطبقاتهم[3] ".

إنَّ أوّل مدرسة أنشأت أيام الموحدين هي تلك التي أنشأها عبد المؤمن بن علي بمراكش لصغار الطلبة، وكانت هذه المدرسة تضم نحو ثلاث ألف طالب من سن واحدة[4] ، وكانت هذه الأخيرة مخصصة لتخريج رجال السياسة وقادة الجيش الحواضر الموحدية والأسطول، عمل عبد المؤمن على جلب الطلبة إليها من شتى الحواضر الموحدية، كإشبيليا، قرطبة، فاس، وتلمسان، وأثناء تواجدهم بالمدرسة اعتكفوا على حفظ القرآن والحديث الشريف وتآليف المهدي بن تومرت، وهؤلاء

---

1 – ابن مرزوق :**المسند الصحيح على مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا مسيوس بيفيرا، تقديم محمود بوعياد،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1981**م، ص**405**.

2 – علي عبد الله علام :**الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي**، ص**244**.

3 – ابن أبي زرع :**الأنيس المطرب**، ص**43**.

4 – مجهول :**الحلل الموشيه**، ص**151**.

الطلبة يجتمعون عند عبد المؤمن كلّ يوم جمعة، بعد صلاة الجمعة في قصره، وكان هو من يشرف عليهم ويعمل على تشجيعهم، وفي باقي الأيام يتدرَّبون على فنون الحرب وذلك في بحيرة أنشأها هذا الخليفة خصِّصا لهذا الغرض، وهي على مقربة من قصره في المنتزه، ومن الكتب التي كان عبد المؤمن يشجع على قراءتها تلك التي تتحدث عن المغامرات والفروسية [1]. وقد وُجدت أنواع مختلفة من المدارس، فمنها ما كان مخصَّصا لتدريس أبناء الطبقات الخاصة، وللتدريس بها اختير أفضل الأساتذة، ومنهم أبو العباس أحمد بن عبد الجليل التدميري(**ت 555 هـ /1160 م**)[2] بالإضافة إلى ما أنشأه عبد المؤمن من مدارس قام خلفاؤه بإنشاء الكثير منها.

بعد عبد المؤمن، قام المنصور بإنشاء العديد من المدارس منها مدرسة سلا[3]، ومدرسة أخرى أنشأها وحبسها على أبي العباس السبتي مع دار للسكنى[4]، كما أنشأ مدرسة خاصة بأبنائه، وباقي أفراد أسرته، وهذه المدرسة كانت ملحقة بالقصر، فيذكر الوزّاَن، أنها- أي المدرسة "-كانت قاعدة مربعة غاية في الحسنى يحيط بها الثمر، مع نوافذ رائعة ذات زجاج ملوّن وحول القاعة خزانات كثيرة[5]، وأنشأ أخرى بمراكش العتيقة، استقبلت النبهاء من الطلبة، وتعد هذه المدرسة من أفخم المدارس، حيث كانت مزخرفة بالفسيفساء البديعة، وحيث لا يوجد فسيفساء، تُغطَّى الجدران الداخلية بزليج من الطين المشوي اللماع المقطَّع على شكل أوراق رقيقة، أو بموارد أخرى بدل الفسيفساء، وذلك على الأخص في قاعة

---

1 – أحمد مختار العبادي : **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، ص**345**.

2 – محمد صالح الجوة :**أثر الأندلسيين في الأدب المغربي، ص185**.

3 – السلاوي: **الإستقصا** ، ج **2**، ص**198**.

4 – أبو العباس المراكشي: **الإعلام**، ج **1**، ص **269** Emile sesmenghen, vie de saints

5 – حسن الوزان :**وصف إفريقية**، ج **1**، ص **133**.

الدروس والممرات المسوقة وبناء المدرسة مكشوف آله، ومفروش بالزليج اللماع كالذي يستعمل في الأندلس[1] ، وفي وسط المدرسة فسيقة منحوتة من الزمرد الأبيض في غاية الجمال، لكنها منخفضة على عدة الأفارقة[2] .

أَمَّا الناصر فقد قام ببناء ما يقارب عشرون مدرسة، وفي إفريقية الحفصية انشأ أبو زكريا الحفصي (**624** هـ /**647** هـ)(**1228** م /**1249** م) قصبة عند استقلاله بالبلاد، عُرفت باسم قصبة الموحدين، وشيد فيها جامعا ومدرسة عرفت باسم المدرسة الشمَّاعية وهذه المدرسة كانت مخصصة لتدريس مذهب التوحيد، وتعاليم مهدي الموحدين محمد بن تومرت وكان ذلك سنة (**633** هـ /**1235** م)[3] ، وبعدها بُنيت الكثير من المدارس في البلاد، وقام المرنيون أيضا ببناء الكثير من المدارس في المغرب الأقصى في أيامهم[4] .

أمّا أوّل مدرسة خصوصية أنشأت ببلاد المغرب فكانت أيام الموحدين، وكان ذلك على يد العالم السبتي على بن محمد الساري، وكان إنشاؤها على النموذج الشرقي في مدينة سلا، وأوقف عليها صاحبها كلّ ما يحتاج إليه الطلبة من كتب[5]، وفي الأندلس فإن غرناطة شهدت سنة **750** هـ /**1349** م تشيد مدرسة ضخمة على يد يوسف أبو الحجّاج، سابع حكام بني نصر، وقبلها لم يكن بالأندلس مدارس، فالمسجد في تلك الفترة كان مركزًا يجتمع إليه الناس للعبادة وطلب العلم معًا.

---

1 - حسن الوزان : **وصف إفريقية** ، ص**132**.

2 - حسن الوزان :المصدر نفسه، ص**132**.

3 - لعرج محمود عبد العزيز، **المدارس الإسلامية في العصور الوسطى** ، ص**119**.

4 - محمد المنوني :**حضارة الموحدين**، ص**164**.

5 - إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، ص**346**.

إن أغلب المدارس التي أنشأها الموحدون قد اندثرت، ومن المحتمل أن يكون المرينيون أقدموا على تهديمها وإقامة مدار س تحمل أسماءهم وطابعه الخاص لهم، بدل تلك التي كانت للموحدين[1] والمدرسة أحيانا كانت تتكون من طابقين، وفي وسطها صحن مكشوف، فيه حوض ماء، وغالبا ما كانت المدارس متصلة بالمساجد المجاورة لها، ووجدت أيضا المدارس المستقلة عنها، وبالمدرسة وجدت قاعة كبيرة مخصَّصة للدرس[2] ، وأحيانا كانت المدارس تتضمن ما يحتاج إليه الطلبة[3] .

1 – أحمد عبد الرزاق أحمد: **الحضارة الإسلامية في العصور الإسلامية** ، ص**347**.

2 – بوطارن مبارك: **العمائر الدينية في المغرب الأوسط من القرن السادس حتى نهاية القرن الثامن الهجري** ، ص**177**.

3 – حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في الأندلس**، ص**401**.

المحث الرابع

الأراضي الزراعية

تمهيد:

كانت الأراضي الزراعية في الغرب الإسلامي إما أراض ملكا للدولة وتسمى بالمستخلص[1]، أو أرض المخزن والخاص[2]، وهناك أراضي الإقطاع والملكية الخاصة[3].

قبل الحديث عن نظرة الموحدين في تنظيمهم للعقار الفلاحي نلقي إطلالة على وضعية أرض الأندلس.

وضعية أرض الأندلس

وقد تقلصت أراضي الدولة بالأندلس منذ الفتح، إذ أخذ أمراء الطوائف والمنتزون أكثر الأراضي ،حتى لم يبق إلا القليل التافه، واعتبر هؤلاء ما بأيديهم ملكا خاصا فتصرفوا فيه إقطاعا وتوريثا وبيعا فاختلطت أراضي الدولة بحقوقهم الخاصة.

وضم المرابطون أراضي المناوئين لهم في بداية دولتهم في المغرب [4]وعندما حكموا الأندلس، ضموا أراضي أمراء الطوائف سواء من أجلوا عن ديارهم كبني صمادح[5]، أو من أعطوا أمانا في النفس والأهل دون المال مثل بني عباد[6]، وعبد الله ابن بلقين[7]، وكذلك ضموا أراضي من ارتبط بأمراء الطوائف من شخصيات ذات

1 – الونشريسي: **المعيار**،ج**6** ،ص **133** ،**134**،ابن الخطيب: **الإحاطة**،ج **4**،ص**121** - **131**.

2 – ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة** ،ص **447**- **465**-**467**.

3 – الونشريسي:المصدر السابق ،ج**9** ،ص**539** عن سؤال لابن بشأن أملاك الثائر ابن زيفل بحصن شفورة سنة **495**ه ولم يكن يملك شيئا عندما ثار وانظر ج**10**، ص**55**- **56** عن غضب المعتمد بن عباد مجشراً لابن زهر.

4 – ضموا أراضي زناتة وبرغواطة وغمارة، بينما أقروا المصامدة على أراضيهم لتحالفهم مع المرابطين عند قيام دولتهم.

5 – ابن الابار: **الحلة**،ج**2** ،ص **174**.

6 – عبد الواحد المراكشي:**المعجب**،ص **77**.

7 – عبد الله بلقين: **التبيان**،ص **147**.

نفوذ[1] ، كما ألحق المرابطون أراضي من توفي دون وريث إلى أراضي الدولة، فاتسعت ملكية الدولة نتيجة لهذه الإجراءات.

وفي عهد الفتنة التي أعقبت سقوط المرابطين[2] ضاعت كثير من أراضي الدولة إذ استولى الثوار على الكثير من الأراضي والعقارات واعتبروها ملكا خاصا، بينما أصدر البعض القوانين التي تبيح للدولة الاستيلاء على الأراضي التي يهجرها أصحابها لعجزهم عن دفع الضرائب أو زراعتها[3].

وآلت ملكية أراضي الدولة بعد ذلك إلى الموحدين بالإضافة إلى الأراضي التي استولو عليها من أمراء المرابطين وجندهم وحلفائهم، واعتبروا ما فتحوه أرضا خراجية عنوية [4] ، أو ملكا للدولة [5] وزادت ملكية الدولة بمصادرة أملاك الثائرين عليهم تأديبا وعقابا لهم[6]، واستصفاء أموال العمال المغضوب عليهم[7]، ووراثة من لا وريث له.

وزادت أراضي الدولة في عهد الموحدين عما كانت عليه في أيام المرابطين، إذ إن العوامل التي كانت سببا في تقلص أراضي الدولة في عهد المرابطين من هبة

---

1 – ابن الابار: **المعجم**، ج9،ص **56**، ، عزالدين موسى: **النشاط الإقتصادي**،ص**132**.

2 – ابن الخطيب: **الاعلام**، ص **214**، ابن الخطيب :**الإحاطة**، ج**2**، ص**119**.

3 – ابن الخطيب : **الإحاطة**، ج**2** ،ص**142**.

4 – ابن ابي زرع: **الأنيس المطرب**،ص**188**، عزالدين موسى: المرجع السابق، ص**136- 137**.

5 – ابن عبدالملك: **الذيل والتكملة** ، قسم**5**، سفر**1** ،ص**176**، ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص**117**.

6 – ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه ،ص**446– 447**.

7 – عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص**139**.

وإقطاع، لم تحدث للموحدين، إذ كانوا كثيرا ما ينزعزن الإقطاع، كما كانت سياسة دولتهم محاولة إنزال قبائلهم في المدن دون السهول الزراعية[1].

وفي عهد المرابطين كان يشرف على أراضي الدولة في المدن الكبرى ديوان يعرف بديوان المستخلص[2]، وتخضع هذه الدواوين لصاحب المستخلص في غرناطة.

وعرف هذا الديوان عند الموحدين باسم المستخلص، والمختص، وديوان الضياع[3]، ويشرف صاحب المستخلص أوالمختص أو أمين الضياع على أراضي المخزن (الدولة) مزارعة ومسافاة، ويتولى تحصيل مالها[4]، ويبدو أن بعضهم كان مطلق اليد في عهد المرابطين كأبي عبد الرحمان بن مالك، وأبي علي هدية، فقد أضيفت لهم الأحباس والتعتيب وإصلاح أحوال بعض المدن وبنائها[5].

أولا: الاقطاع الأندلسي في العهد الموحدي

1-تطور نظام الاقطاع عند دولة الموحدين

سمي الإقطاع في عهد الموحدين بالسهام[6] أو السهوم [7] وكان الاقطاع في بداية الدعوة تمليك إذ كانت الثورة في بدايتها، فأقطعوا البلاد المفتوحة لقبائلهم على أسس قبلية، غير أن النظرة إلى الإقطاع تغيرت بعد قيام الدولة إذ أصبحت الغاية

1 - عزالدين موسى: **النشاط الإقتصادي** ، ص**139**.

2 - ابن سعيد: **المغرب** ،ج**2**، رقم**431**، ص**117**.

3 - ابن ابي الزرع: **الأنيس المطرب**، ص**225**، البيدق: **اخبار المهدي**، ص**40**.

4 - ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص**447- 465**.

5 - ابن سعيد: **المغرب**، ج**2**،ص**117**، المقري:**نفح الطيب**، ج**3**،ص**232**.

6 - يقول ابن الخطيب:أن"ابن همشك أقطع سهاما لها خطر" ابن الخطيب: **الإحاطة**،ج **1**، ص**311**،المراكشي:**المعجب**، ص**211**.

7 - البيدق:**أخبار المهدي** ، ص**29**.

من الإقطاع دفع جزء من الرواتب[1] أوتسكيناً[2] أو تأليفاً[3] أولقاء خدمة[4] أو هبة[5].

والإقطاع الموحدي غالبا ماكان مزارعة أومشاركة لأن هذا يتفق ونظرة الموحدين للملكية بعد قيام الدولة بمعنى أن الدولة دخلت شريكا إقطاعيا مع الملاك الأصليين، ولها حصة من دخل الأرض، وكان الإسهام أو الإقطاع يسجل في ظهير أو صلة، ولم يرد شيء عن الوراثة فيه وقد ينزع و يقيد ضمن المستخلص[6].

وأما الملكية الخاصة فهي إما عن طريق الإقطاع أو الهبة من الدولة، أوعن طريق الشراء أوالإرث، واختلف وضع الملكية الخاصة زمن الاستقرار والأمن عنه في طريق الشراء أو الإرث، واختلف وضع الملكية الخاصة زمن الاستقرار والأمن عنه في زمن الفتنة و الاضطراب، وقد رافق الاستقرار السياسي في عهد المرابطين و الموحدين إقبال الناس على شراء الأراضي والضياع والعقار واستثمارها بل شجع هذا الاستقرار بعض الأسر الأندلسية على اقتناء الدور والضياع بالمغرب.

ومن الملاحظ أن الملكيات الخاصة في الأندلس كانت ملكيات كبيرة خلاف ما كانت عليه في المغرب .

2-نظرة الموحدين للإقطاع.

[1] - كان الجند الموحدي يعطي إلى جانب زاتبه الذي يسمى " البركة، الإحسان، المواساة، الجامكية" .

[2] - قد يقطع الموحدون من يخشون فتنته تسكيناً لنفسه واستجلاباً لطاعته كما فعل عبد المؤمن مع رؤساء بني هلال وما فعله المنصور مع أعمامه عندما تلكأوا في البيعة له ثم استجابوا.

[3] - البيدق: **أخبار المهدي** ،ص**199** ،**200** ،**217**، **211**، **250** ،**253**.

[4] - ابن قطان: **نظم الجمان**، ص**137**،ابن عذاري: **البيان المغرب** ،ص**81**.

[5] - المقري: **نفح الطيب** ،ج **3**،ص**419**.

[6] - ابن عذاري:المصدر السابق ، ص**225**.

تعددت الملكية الخاصة في عصر الموحدين وتعددت أشكالها، فبالاضافة إلى ما أشرنا له سابقا عن طريق الحرب، فمنها ما يأتي عن طريق الهبة من الدولة أو اقطاعا[1] منها، أو عن طريق الإرث أو الشراء، لكن كيف كانت نظرة الموحدين للملكية الخاصة؟ وهل تغيرت أم بقيت ثابتة عند الخلفاء.

أ-احترام الموحدين للملكية الخاصة:

اتبع عبد المؤمن بن علي نفس سياسة سالفه ابن تومرت لما فتح البلاد المغربية، ولكن بعد الثورة[2] واستتباب الأمن تغير موقفه من الملكية، وليس هذا فحسب، بل أكد على احترام الملكية الخاصة وعدم التسلط على أموال الناس لأنه نقض للشرع[3]، وشدد على الموحدين أن يسمحوا للقبائل الثائرة بالرجوع إلى أوطانها وأعمارها[4]، وبقيت هذه القبائل في أراضيها[5]، وسار خلفاء عبد المؤمن على نفس المنهج في احترام الملكية الخاصة[6]، فيذكر البيذق: "أن السيد أبا حفص الموحدي خرج لملاقاة الثائر بن ملجان بوادي آش وبسطة من أعمال غرناطة فوحد له"[7]،

[1] - أنظر: باب الهبات: ابن رشد : **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، ج2، دار التوفيق، سنة**1983**م، ص**400-407**.

[2] - يقول عز الدين موسى: أن دافع الثورتين كان بسبب تخميس أموال وأرض القبائل المغربية، الثورتين هما: الأولى: ثورة الماسي(**542**هـ/**1147**م) والثورة الثانية: ثورة دكالة و برغواطة يساندهم الفقهاء المالكية أمثال بني غانية والقاضي عياض كانت مباشرة بعد الثورة الأولى(**543**هـ/**1148**م)، أنظر: ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**، ص**190-191**م.

[3] - ابن القطان: **نظم الجمان**، ص**153-154**.

[4] - ابن القطان: المصدر نفسه، ص **157**.

[5] - البيذق:**أخبار المهدي**: ص**109-110**.

[6] - عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، بيروت ، الطبعة الأولى**1403**هـ/**1983**م، ص **136**.

[7] - – البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت**: طبعة دار المنصور، ص**88**.

واحتفظت هذه القبائل بأراضيها واعتبرت هذه الأرض أرضا خراجية يؤدى عنها الخراج للدولة[1].

وظل احتئرام الموحدين للملكية الخاصة قائما رغم عدم ثبوت ملكيتها لأصحابها، خاصة وأن أرض الأندلس أسالت أقلام كثير من الباحثين وأثارت جدلا واختلافا فقهيا واسعا في طريقة فتحها صلحا أو عنوة، وهو ما يقودنا إلى طرح التساؤل: هل كانوا هم المالكين الأصليين لها قبل الفتح؟ بغض النظر عن نوعه؟ يجيب عز الدين موسى: "يبدوا أن ما فتح صلحا كانت ملكيته لأصحابه الأصليين، وكانت هذه السياسة من أسباب فتح الموحدين لكثير من المناطق أو اعادتها عندما تخرج من طاعتهم مع ثائر"[2].

فهاهو المنصور الموحدي يحترم الملكية الخاصة، لما أراد تغريب بني حمود وبني القائد عن بجاية جزاء تعاونهم مع الميورقيين حيث أنه لم يصادر ممتلكاتهم بل أجبرهم على بيعها[3]، هذا بالنسبة لأرض الصلح.

أما أرض العنوة فقد تعاملت معها الدولة الموحدية بصفة مختلفة وقد جرت على حالتين[4]:

ففي الأول فقد أبقت الدولة الأرض في يد أصحابها وفرضت عليهم نسبة من غلاتها، وقد حدد في البلاد الأندلسية بالربع.

أما في الحالة الثانية فقد تملكت الدولة للأرض.

ثانيا: الأرباض

---

1 - – البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت**: طبعة دار المنصور، ص**88**.

2 - عز الدين أحمد موسى: **النشاط الإقتصادي**، ص **136**.

3 - عز الدين أحمد موسى: المرجع نفسه، ص **137**.

4- عز الدين أحمد موسى: المرجع نفسه، ص**137-138**.

انتشرت في الأندلس، فهي السمة الغالبة على مدنها وقراها، فغرناطة مثلا مدينة مستديرة الشكل تقع على سفح جبل شلير وتمتد على ضفتي وادي شنيل ويشقها وادي حدرة وهو فرع من شنيل، ويذكر المؤرخ توروس بلباس غرناطة بأنها امتازت –شأنها شان باقي المدن الإسبانية الإسلامية– بشوارعها الضيقة وميادينها القليلة الصغيرة، وأحتوت على أربعة أرباض كبرى هي : ربض الفخارين وربض الأجل، وهو كثير القصور والبساتين ويقع هذان الربضان على نهر شنيل وربض الرملة وهو في جنوب المدينة وربض البيازين وهو أكبر أرباض غرناطة ويقع في شرق المدينة وفي هذا الربض ثلاثة أبواب مازالت قائمة إلى الآن وهي : باب البيازين وباب فحص اللوز وباب الزيادة، وفي ربض البيازين هذا كان يوجد مسجد غرناطة الجامع ومسجد المرابطين وهو من أقدم مساجد غرناطة وتميز هذا الربض بشوارعه الضيقة و لمتقاطعة وكثرة عمائره إذ يذكر العمري أن هذا الربض كان كثير العمارة، مستقل بقضائه وحكامه .

وضمت غرناطة بالإضافة إلى هذه الأرباض أربضا أخرى أصغر مثل ربض اليهود، الذي هو أصل غرناطة ويذكر عنان أن هذا الربض يقع بجوار الفخاريين في شرق المدينة، وربض المضفر في قصبة غرناطة القديمة، أما ربض باديس وربض المرابطين فيقعان داخل قصبة غرناطة الجديدة، كما يوجد داخل ربض البيازين ثلاثة أرباض وهي ربض البيضاء، وربض الشارع، وربض آسف، أما ربض زناتة فيقع بالقرب من باب سيدة أو الأسدد.

ثالثا: القناطر:

تعد القناطر أهم وسيلة اتصال شريط بين ضفة وأخرى، وبين مرتفعين تفصل بينهما فجوة عميقة، ومن القناطر ماهو ثابت، وما هو متحرك، والقناطر الثابتة هي الأكثر انتشارًا، وقد تركت الأنظمة السابقة كالقوط بالأندلس،

والساسانيين بإيران والعراق عددًا من هذه القناطر التي رممت في العصر الإسلامي[1]، وأنشأ الكثير منها فيما بعد.

حيث اهتم خلفاء الدولة الموحدية بإنشاء مثل هذه الجسور، وذلك لربط المناطق ببعضها، وتسهيل أمور الرعية، من تنقلات وقضاء حاجاتهم وكذلك استغلال مياه الأنهار في ري الأراضي الزراعية[2]، أما في الأندلس فإن طبيعتها وكثرة الأنهار بها يوجب على الأمراء الاهتمام بإنشاء القناطر بها[3].

ومن القناطر التي أنشأت بالمغرب قنطرة تانسيف التي تصل المغرب بجنوبه عبر مراكش وهذه القنطرة من إنشاء المرابطين، سميت كذلك نسبة لنهر ناسيفت[4]، لكن هذه القنطرة ، تهدمت مع الوقت بتأثير العوامل الطبيعية وأعاد الموحدون بناءها، وأقام عبد المؤمن قنطرة بين المهدية وسلا إلا أنها تهدمت خلال فترة وجيزة[5]، وكان المنصور من أكثر الخلفاء الموحدين المهتمين ببناء القناطر فبنى الصوامع والقناطر لجلب الماء في البرية واتخذ عليها المنازل[6]، وفي الأندلس أقام أبو يعقوب يوسف قنطرة اشبيليا سنة(**566** هـ /**1170** م) لإنجاز مصالح الناس، وأجازه الجند عليها، وتهدمت هذه القنطرة سنة (**642** هـ - **1246**م) عند استرداد المسيحيين لإشبيليا[7].

---

[1] - إبراهيم حركات :**النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط**، في إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،ص **199**.

[2] - ابن أبي زرع : **الأنيس المطرب**، ص**215**.

[3] - السيد عبد العزيز سالم: **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، ص**224**.

[4] - إبراهيم حركات :المصدر السابق ، ص**20**.

[5] - ابن صاحب الصلاة :**المن بالإمامة**، ص **449-450**.

[6] - ابن أبي زرع :المصدر السابق، ص**157**.

[7] - ابن أبي زرع :المصدر السابق، ص**157**.

رابعا: الأرحاء

ومما يتصل بالأرض الفلاحية أو بالأراضي الزراعية الأرحاء إذ تعتبر من أهم المناطق الفلاحية وهي ترتبط بالماء إما تساقطا عن طريق الأمطار أو جاري في المواسم الشتوية عن طريق الوديان والأنهار والشلالات لذلك ظهر هذا التقسيم في الأرحاءفظهرت الرحى الشتوية والرحى الصيفية ، حيث أن الأولى مرتبطة بالأمطار والثانية نرتبطة بالوديان والأنهار وهناك أرحاء لا علاقة لها بالماء تدار بالحيوانات(البغال، الحمير، الأبقار) وهذا بالإضافة إلى وجود إلى أرحاء تشتغل بقوة الرياح[1] .

ويصف لنا ابن رشد لرحى شيدت في منطقة أندلسية فقال" تتكون دواليب الرحى من البلوط وبأعمدة الحديد وقطب وحلق وقنوات توضع على سرير وأحجار ثمانية سمك كل حجر شبر وثلث وسعته أربعة أشبار ونصف من الشبر الوسط، ومصب البيت أربع من الألواح يرفعون سد الرحى المذكورة بالحجارة والسلل والأوتاد ويخرج مائه في ساقية الرحى، ويقام حول بيت الرحى إسطبل للدواب سعته مثل سعة بيت الرحى يتصل بالبيت طوله أربعة ألواح وإرتفاعه ثلاثة ألواح للطابية، وغلظ الحائط شبران بالشبر الوسط وأسه بالحجر والطين وغطاؤه غطاء بيت الرحى بالقراميد ويشركون البيت المتصل بالبيت الرحى من ناحية الغرب بالجصّ[2].

وكانت أغلب الأرحاء الأندلسية تديرها المياه لكثرته في الأندلس، وذلك دأب أهل غرناطة إتخاذ أرحاء مائية لطحن القمح بإعتبار أغلب الأقوات منه، كما إتخد أهل غرناطة الأرحاء التي تديرها الحيوانات أو الرياح[3]، واتخذ أهل غرناطة

---

1 - ابن رشد: **الفتاوى**، ج2، ص**1483– 1474**، ابن بسام: **الذخيرة**، قسم**2**، ج**2**، ص**787**.

2 – ابن رشد: المصدر نفسه، ج**2**، ص **1204– 1205**، محمد محمد أمين: **المصطلحات العمرانية**، ص**75**.

3 – الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص**203**، ابن الكردبوس: **إفتتاح الأندلس**، ص**145**، ابن سعيد المغربي: الجغرافية، ص**167**، الزهري: **الجغرافية**، ص**93– 94**، القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج5، ص**214**، الحميري: **الروض المعطار**، ص **23– 24**.

الأرحاء في منازلهم أو عند مداخلها[1]، فيذكر ابن الخطيب أن الأرحاء التي تدور في غرناطة لا مثيل لها، ففيهامن الأرحاء الطاحنة بالماء على ما نيف على مائة وثلاثين رحى[2]

وفيما عرضناه تتأتى للقارئ أهمية الأندلس بالنسبة للمسلمين عامة وللموحدين خاصة كثغر مهم وارتباط تاريخي يأبى الإنفكاك عن أصله.

إن هذه المنشآت على اختلافها وتنوعها تعطينا نظرة عن إسهام الموحدين في اختطاط الأندلس، وعدم تقصيرهم تجاهها، وتمدنا بصورة كاملة عن رؤية الموحدين للمدينة بكل مرافقها ومنشآتها وأبعادها الحضارية.

وتنبؤ عن رعاية الموحدين لهذا الثغر والاهتمام البالغ به من وجهين وجودها والحفاظ عليها:

من جانب وجودها: عن طريق تشييدها وتوفير المال الكافي للإنفاق عليها أو ترميمها في حال إتلافها.

من جانب الحفاظ عليها: الاهتمام بتوثيقها، والحرص على وضعيتها القانونية، وتوفير المساحات المخصصة لها، مع إيجاد الصيغة القانونية لحمايتها من الأخطار التي قد تتهددها.

يشهد لذلك أمرين أساسيين:

1-ما عرض في هذا الفصل، ولو قمنا بعملية جرد لكل تلك المنشآت لرأينا العجب العجاب.

---

[1] - ابن الخطيب :**الإحاطة في إقليم غرناطة**، ج**1**، ص**126**، القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج**5**، ص**215**، الحميري :**الروض المعطار**، ص **23**، **24**.

[2] - ابن الخطيب: **الإحاطة في إقليم غرناطة**، ص**119**، **133**.

2-ما خصصته كتب النوازل والفتاوى والفقه والوثائق والمراسلات الرسمية، لفترة الموحدين فهي تذخر بعشرات إن لم نقل المئات القضايا التي تشير إلى هذا الجانب وتعالجه من الناحية الشرعية سواء في أسباب وجوده أو من حيث البت في الخلافات والنزاعات الناجمة عنه



الفصل الرابع:

أبعاد العقار على الأندلس في العهد الموحدي

المبحث الأول

الأبعاد السياسية

تمهيد

كانت الأندلس منطقة مهمة ولها تأثير كبير على بلاد المغرب، ولا يتصور استقرار المغرب دون الأندلس، لموقعها الإستراتيجي باعتبارها همزة الوصل الذي يربط العالم الإسلامي والغرب الصليبي، ناهيك عن إمكاناتها المادية والمعنوية والبشرية، فكل دولة تسيطر على المغرب إلا وتضع في حسبانها، لحاق الأندلس، كخطوة مهمة في استقرار الغرب الإسلامي –المغرب والأندلس– فارتبطت المغرب بالأندلس في كل شيئ سياسيا وثقافيا وحضاريا، وحتى في الأبحاث والدراسات الأكادمية الجادة، ولكن تفوق الأندلس حضاريا كان بارزا.

والأندلس ليست في منأى عما يحدث في المغرب، بل كانت تتأثر وتؤثر، وقد عرفت الأندلس هزات ارتدادية، وثورات سياسية أغلبها كانت رفضا لواقع سياسي أو بفعل تأثير اقتصادي، أو حرمان من حقوق معلومة ضيعت.

أولا: إستيلاء الموحدون على الأندلس وأثر ذلك على العقار

كان لزاما على أي دولة تبسط نفوذها على الأندلس أن تراعي هذه المسألة، وهو ما حاولت دولة الموحدين ألا تشذ على القاعدة، حيث كانت الأندلس من أولى اهتمامات عبد المؤمن بن علي رغم انشغاله الشديد بتصفيت وتتبع المرابطين في المغرب، فهي في نظره ثغرا هاما وإرثا مرابطيا لا يمكن التفريط فيه، ومع ذلك لم يأذن بارسال جيش لها، غير أن الأحداث تطورت سريعا وعجلت بالتدخل في هذا الثغر وسبب ذلك عاملان أساسيان هما: مصرع تاشفين في وهران، وتكالب النصارى على الأندلس.

فكان أكبر حافز للثوار للعبور إلى العدوة وطلبوا من عبد المؤمن المعونة والسند، وهذا ما يؤكده ابن الخطيب بقوله: "ومن أجل الحفاظ على الأندلس واستقرارها وولاءها، انتهجت سياسة حكيمة قائمة على حسن تسيير خيرات الأندلس وتوزيعها بالتساوي بين أفراد المجتمع، مخالفة بذلك سياسة سابقتها-دولة المرابطين- وليس ذلك فحسب بل متخذة أساليب تتماشى والوضع الظرفي سواء كان حربا أم سلما، كسياسة الاغداق على المشوشين والمتمردين بما يشبع رغباتهم ويسكن حركاتهم ويخمد ثوراتهم ويعزز ولاءهم، فاتخذت من العقار ووسيلة لخدمة أغراضها السياسية وأداة لتحقيق أهدافها الاستراتيجية، فكيف وظفت الدولة الموحدية العقار في الأندلس؟ وما آثار ذلك سياسيا على المدى القريب والبعيد؟

ثانيا: النظم الإدارية للدولة الموحدية في الأندلس:

كانت بمثابة صمام الأمان للمجتمع والملجأ لمن يلوذ بها في حالة ما إذا بخس حقا أو ضيعت حاجته، وكانت هذه النظم أجهزة تعصم المجتمع وتقيه الفوضى والاضطرابات، خاصة زمن الفتن والإنتقال من حال اللا استقرار -الحرب والفتن والاضطرابات- إلى حال الاستقرار -الدولة-

1-القضاء:

يعد القضاء من أسمى خطط الدولة الإسلامية ...إذ يحكم بين الناس في الدماء والأبضاع والأموال والممتلكات والحلال والحرام، ويفصل بين الناس في الخصومات حسما للنزاعات وقطعا للعداوة.

1-أ-القاضي و قضايا الملكيات

كان القاضي يحكم في قضيا ومسائل متنوعة وتزخر كتب الفقه بغديد القضايا التي عرضت من العامة تطلب من القاضي الفتوى والنصح والإرشاد، نورد بعضا منها حتى نضطلع عن واقع القضاء في الأندلس والقضايا التي لها علاقة ببحثنا أقصد بذلك العقار.

منها قضية وارث غائب في الشرق وله شرك في دار، وطلب الورثة قسمة الدار وأفتى الفقهاء ببيع الدار وحفظ حق الوريث الغائب في قيمة ميراثه، وذلك لأن الدار لا تحتمل القسمة[1]، وتدخل القاضي في قضية قسمة دار الوزير ابن عامر بين ابنيه الحاضر والغائب في إشبيلية سنة **460هـ/1067م**[2].

ويمنع القاضي الضرر الواقع على الأفراد، مثلما فعلت عاتكة عند الوزير القاضي أبي حسن بن ذكوان حيث أحدث أحد الأشخاص بالقرب من دارها فرنا يؤذيها دخانه، وأنه يحط من ثمن دارها، فمنع القاضي عنها الضرر[3].

وكان القاضي يستعين في أمر الملكيات الزراعية بأصحاب الخبرة بها، ففي مجال تقسيم الأرض واعتدال القسمة :شهد عند القاضي بكر بن حامد وصاحبه أنهما نظرا إلى الفدان الذي أمرهما القاضي أحمد بن محمد قاضي الجماعة بالنظر إليه ومعرفة اعتدال قسمته، وهذا الفدان بقرية شقندة، وشهدا بتفاصيل ما شاهدا أمام القاضي،وما حدث من القسمة للفدان.

وكان القاضي يعاين بعض القضايا التي تحتاج إلى معاينة مثلما فعل في دعوى خندق بين فداني رجلين حفر أحدهما فيه فاشتكى الآخر أذاه، ويتحرى كذلك صدق التملك قبل القسمة، فلا يجوز للقاضي إذا سأله الورثة أو بعضهم أن يقسم بينهم أرضا أو دارا في قرية أو غيرها، أن يأمر بقسم بذلك حتى يثبت تملك المتوفى له، فلا يجوز له أن يأمر بقسمتها حتى يأتي الورثة ما كان للمالك من حوز وصفته

1 . ابن سهل: **الإعلام**، ج**1**، ص**445**.

2. ابن سهل: **المصدر نفسه**، ج**1**، ص**445**.

3 . ابن سهل :**المصدر نفسه**، ج**2**، ص**805**.

وتسميته ومساحته ويشهد على ذلك شهود في كتاب أن الأرض أو الدار كانت بيد المتوفي خيفة أن يدخل في قسمته ما ليس لهم من حق[1].

ومن القضايا التي يختص بها القاضي(ما كان من أحكام الأيتام من تسفيه أو إطلاق أوتوكيل عليهم للنظر لهم، وكذلك الأحباس المعقبة لا يكون النظر فيها إلا للقضاة، وفي دواوينهم توضع وأموال الغُيَب والوصايا والأنساب[2].

وكان من مسؤوليات القاضي الإشراف على بيت المال، ومراقبة المسؤول عنه وتفقد أمر العاملين فيه لمراجعة المنصرف في كل عام، ولو أمكن كل شهر[3]، وكان القاضي أحمد بن زياد أول من امتحن الأمناء في الودائع التي لديهم وحصرها وحتى إنه أرسل إلى الفقيه أحمد بن عبادة الذي ورد اسمه في الديوان بقبض مال اليتيم ولم يجد له براءة، فقال له الفقيه: اليتيم حي رشيد، وقد أطلقته من الولاية وتسلم كل ما كان عندي[4].

وتدخل القاضي في جنة ابتاعها مسلم من بعض أهل الذمة ثم قام ابن أخ بائعها يدّعى أنه كان قد حبسها عليه قبل بيعها[5].

ويساءل القاضي العمال والولاة بسبب شكاوى الرعية مثلما فعل القاضي سليمان بن أسود مع يوسف بن بسيل العامل المعزول عن شذونة بما نسب إليه من اغتصاب مال وأملاك بعض أهلها وأشياء كثيرة في مجال استغلال السلطة[6].

1. ابن سهل:**الإعلام** ، ج**1**، ص**663**.
2. ابن سهل :المصدر نفسه، ج**1**، ص**28**.
3. ابن عبدون: **ثلاث رسائل في الحسبة**، ص **10**، **22**.
4. الخشني: **تاريخ قضاة قرطبة**، ص**110**.
5. ابن سهل: **الإعلام**، ج**1**، ص**661**.
6. الخشني: المصدر السابق، ص**77**، **78**، النبهاني: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص **56**، **58**.

ويكون تحت يدي القاضي محفوظات بيت المال أو الأحباس الموجودة في مقصورة مستقلة في مسجد قرطبة الجامع تحت حراسة أمنية، حاول قاضي الجماعة النصر بن سلمة في عهد الأمير بن عبد الله أن يحول المال المحبس بالجامع إلى بيت المال فرفض الفقهاء ذلك، فأبى القاضي أن يحكم بصرفه إلى بيت المال إلا باجتماع أهل العلم، فعزل عن القضاء[1] ، أما في عهد قاضي الجماعة موسى بن محمد زياد فقد حكم بضم مال الأحباس بالجامع إلى بيت مال المسلمين رغم معارضة أهل العلم[2].

ورفض قاضي الجماعة أبو بكر بن محمد بن أحمد بن ذكوان طلب حاكم قرطبة في عصر الطوائف الوليد بن جهور في أخذ مال الأحباس لصرفها على الصالح العام[3].

وعندما أراد أهل قرطبة أموال الأحباس لدفعها لجنود الفرنجة المرتزقة لمناصرتهم في حرب البربر في دولة محمد هشام بن عبد الجبار رفض القاضي ابن ذكوان وقع مال الأحباس فكسر العامة باب المقصورة وأخذوا أموال الأحباس[4].

ونالت الفتنة من القضاء في الأندلس، فعندما خرج قاضي الجماعة ابن ذكوان مع بعض الفقهاء إلى سلمان المستعين ورؤساء قبائل البربر وطلبوا الأمان فأمنوهم، وطلبوا منهم أمولا عظيمة، أعزم منها ابن السرح وحده مائة ألف دينار، وأغرم كل واحد من الناس فوق طاقته[5].

---

1 . ابن عدارى المراكشي: **البيان المغرب**، ج**3**، ص**98**، الخشني: **تاريخ قضاة قرطبة**، ص**93**.

2 . الخشني: المصدر السابق، **94**.

3 . القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مدهب مالك**، تحقيق: أحمد بكير محمود، ج**4**، دار الحياة، بيروت، د ت ، ص**785**.

4 ، ابن عدارى المراكشي: **البيان المغرب**، ج**3**، ص**98**.

5 . ابن عدارى المراكشي:**المصدر نفسه**، ج**3**، ص**112**.

وخرج قاضي تطيلة محمد بن عيسى مع المهدي فقيل بعقبة البقر سنة **400هـ/1009**م، وتوفي كذلك قاضي لإلبيرة عبد الله بن عبد العزيز[1].

واستقضى المهدي الفقيه عبد الله بن ربيع بن عبد الله (**415هـ/1024م**)من أهل قرطبة بكورة شذونة والجزيرة[2]، واستقضى المهدي الفقيه أبا الوليد ابن الفرضي على قضاء بلنسية، وتوفي يوم دخول البربر قرطبة(سنة **403هـ/1012م**)[3] وقلد المهدي الفقيه أحمد بن مبشر قضاء كورة جيان(**403هـ/1012م**)[4].

وفي الخلافة الثانية لهشام المؤيد تولى خطة القضاة ابن وافد أبو بكر يحي بن عبد الرحمان اليحصبي، وكان من أجلِ قضاة الأندلس علما وهديا ودينا واستقضى مرتين بقرطبة في خلافة هشام المؤيد، ومدة عمله في القضاء في المرتين عشرون شهرا[5] ومات محبوسا من البربر **سنة404هـ/1013**م.

وأعاد علي بن حمود القضاء وأحياه وولي الفقيه المشاور عبد الرحمن من بشر سنة 407هـ/**1016**م، فكان اخر قضاة الخلفاء، وأقره القاسم بن حمود[6]، ثم المعتلي بالله يحي بن علي في ولايته، وبقي على قضاء الجماعة حتى **419هـ/1028**م,حين عزله الخليفة المعتد بالله سنة **422هـ/1030**م ,و تولى قضاء مالقة سنة **426هـ/1024**م محمد بن الحسن الجذامي[7].

---

1. ابن الأبار: **التكملة**، ص **1937**.
2. ابن بشكوال: **الصلة**، ص**1447**.
3. ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص**572**.
4. ابن بشكوال:المصدر نفسه، ص**44**.
5. ابن بشكوال: المصدر نفسه، ص**1457**، النبهاني: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص**88**.
6. ابن بشكوال: **الصلة**، ص**698**، ابن بسام: **الدخيرة في محاسن الجزيرة**، ق**1**، ج**1**، ص**1973**.
7. النبهاني: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص**89**، عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص**104**.

وتولى قضاء الجماعة سنة **419هـ/1028م** القاضي يونس بن عبد الله بن مغيث، وكان خاتمة قضاة بني أمية في الفتنة، وتولى أعمالا كثيرة في القضاء بالكور والخطط الأخرى[1].

1-ب-أهم من تولى القضاء في العهد الموحدي:

بسقوط دولة المرابطين، قامت على أنقاضها دولة الموحدين اتخذت نظاما قضائيا مشابها لنظام المرابطين، وقد أحاط خلفاء الموحدين النظام القضائي بالهيبة والجلال، حيث حرص الخلفاء على تعيين كبار القضاة بأنفسهم[2] ، وأهم من تولى القضاء في الأندلس [3]:

ـ ابن القاسم أحمد بن محمد بن يقي قاضي الجماعة بمراكش وهو من أهل قرطبة[4] والقاضي أبو جعفر أحمد بن مضاء من أهل مدينة قرطبة وتولى القضاء للخليفة يوسف بن عبد المؤمن في فاس ثم انتقل الى قضاء الجماعة بمراكش[5] وغير هؤلاء من قضاة الأندلس.

ـ ابن رشد كان يجمع بين وظيفتي القضاء بالمغرب والأندلس وقد عينه بعد استدعائه الى المغرب الخليفة عبد المؤمن ليضيف اليه قضاء المغرب[6] .

1. الحميدي: **جدوة المقتبس**، ص**820**.

2 - الضبي: **بغية الملتمس**، ص**441**، ابن بشكوال: **الصلة**،ج**2**، ص**580،579**، النبهاني، **تاريخ قضاة الأندلس**، ص**97**.

3 - حسن علي حسن : **الحضارة العربية**، ص158.

4 - النبهاني: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص117.

5 - المراكشي: **المعجب**، ص**47**، ابن عذارى: **البيان المعرب**، ج**2**، ص**73**، ابن الآبار: **التكملة**، ص**109- 110**، ابن ابي زرع: **الأنيس**،ج**2**، ص**175**.

6 - عباس المراكشي: **الأعلام**، ج**3**، ص**47- 48**.

ـــ أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمان بن حوط الله الأنصاري، حيث ولي القضاء بمدن أندلسية ومغربية فكان ينتقل بين المدن المغربية والأندلسية، كإشبيلية، وميورقة ومرسيه وقرطبة وسبتة وسلا ثم عاد من سلا واليا قضاء مرسيه وتوفي بغرناطة ربيع الأول سنة **612هـ / 1215م**.[1]

ـــ والقاضي مروان بن محمد بن علي بن مروان ولي القضاء بتلمسان وسبتة وغرناطة ومرسيه[2] .

ـــ القاضي محمد بن داود بن عطية بن سعد الجراوي استقضي بتلمسان ثم اشبيلية ثم بفاس وتوفي سنة **525هـ/ 1130م**[3] .

ـــ القاضي أبو موسة عيسى بن عمران بن داقال الوردميشي ولي القضاء بإشبيلية ثم مراكش توفي سنة **578هـ/ 1182م**[4] .

1-ج-الموثقون:

كان مع القاضي في الغرب الإسلامي موثقون، وهم الذين كانوا مكلفين بالإشراف على سير الدعاوي وكتابة الشروط[5] ، ومن هؤلاء الموثقين علي بن عبد الله بن إبراهيم بن عبيد الله الأنصاري من الجزيرة الخضراء وكان موثقا له تأليف عظيم في الوثائق وقد استوطن سبتة وكتب للقاضي أبي موسى عمران بن عمران وتوفي سنة **570هـ / 1174م**[6] ، وكذلك الموثق أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمان المقري

1 – النبهاني: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص**112**.

2 – ابو زكريا: **بغية الرواد**، ج**1**، ص**32**.

3 – أبو زكريا: المصدر نفسه،ج**1**،ص**26**.

4 – ابن القاضي: **جذوة الاقتباس**، ص**157**.

5 – روجيه لونورنو: **فاس في عصر بني مرين**، ص**84**.

6 – ابن القاضي: المصدر السابق، ص**305**.

الصنهاجي كان موثقا بمدينة سلا وتوفي سنة **529**هـ/ **1183**م[1]، ويبدو أن عددهم كان كبير في العواصم الكبرى مثل اشبيلية إذ كان لهم رئيس أو كبير[2]

1-د-إضافات الموحدين في القضاء:

وبجانب المهمة الأساسية للقضاة من اقرار العدل في المجتمع، أُضيف لبعضهم بعض المهام المتعلقة بشؤون الدولة، فقد أعطى المنصور الموحدي القضاة الحقّ في مراقبة جميع العمال والولاة بإعتبار القضاة ممثلين للشريعة وأن على العمال والولاة الخضوع والأمتثال لأوامرهم[3] .

2-الحسبة:

الحسبة من الوظائف القضائية الدينية ،وهي وسط بين القضاء و لمظالم[4] ،واختصت – فيما يخص الملكيات – بالأمور الاقتصادية مع غيرها من نواحي الحياة الاجتماعية ،فيلازم المحتسب الأسواق للاطلاع على السوقة الباعة، وتفقد الدكاكين والطرقات، ومراقبة الموازين والماكييل، وما فيها من متاجر مختلفة وأطعمة، كما يمنع الغش والتدليس والتلاعب[5].

1 – ابن القاضي: **جذوة الاقتباس** ، ص**321**- **322**.

2 – ابن عبد الملك المراكشي :**الذيل والتكملة**، ج**5**، ص**310**، برهان الدين ابن فرحون: **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، القاهرة،مطبعة السعادة، **1351**هـ ، ص**53**.

3 – محمد الرشيد ملين: **عصر المنصور الموحدي أو الحياة السياسية والفكرية والدينية في المغرب من سنة 580هـ -595هـ** ،مطبعة الشمال الإفريقي، الرباط، الطبعة الثانية،دون تاريخ طبع، ص**50**- **99**.

4 . حسن علي: **الحياة الدينية في المغرب**، ص**32**.

5 . ابن خلدون: **المقدمة**، ص**225**.

خطة الحسبة من الخطط التي لصاحبها حق إصدار الأحكام[1] ،ويعرف صاحبها بصاحب السوق أو صاحب الحسبة ،وصاحبها أكثر نظرة فيما يجري في الأسواق من غش وخديعة وتفقد المكاييل والموازين[2].

وتكمن أهمية خطة الحسبة أنها إذا صلحت صلح به العالم والرئيس والناس أجمعون،لأنه في هذا الباب تدخل إقامة أبواب من الدين من الفرائض والسنن وعمل الأبدان والصناعات، ومما يعيش فيه الإنسان، وهذه هي أحوال الناس كلهم،لأنه حكمه ونظرة ليس في رفات الأموال وفي باب من الخصام إلا فيما يلزم الإنسان من شريعة الإسلام[3].

وللحسبة أوضاع وقوانين يتداولها ويتدارسها المحتسب كما تتدارس أحكام الفقيه لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات[4].

ومن أهمية خطة الحسبة اشتراط في صاحبها أن يكون من أهل العلم والعدالة والفطنة ذا مهابة وحلم وتيقظ ،وأن يكون فهما عارفا بجزئيات الأمور، لا يميل ولا يرتش فتسقط هيبته ويسستخف به، وأن يمحص نفسه ويترك شهرته ويتبع الغرض ويحكم بالسنة وأن يستعمل اللين في غير ضعف والشدة من غير عنف[5].

1 . ابن سهل: **الإعلام**، ج**1**، ص**28**.

2 . النبهاني: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص**5**.

3- ابن عبدون: **في قضاء الحسبة ضمن ثلاث رسائل في الحسبة**، تحقيق ليفي بروفسال، القاهرة، **1955**م.

4 - المقري: **نفح الطيب**، ج**1**- **218**- **279**.

5 - ابن عبدون: **في قضاء الحسبة ضمن ثلاث رسائل في الحسبة**، ص **5**- **20**- **68**.

2-أ-جهاز الحسبة في العهد الموحدي:

وفي دولة الموحدين برزت وظيفة المحتيب، في أكثر من خبر، فالمنصور الموحدي كان يحاسب أمناء الأسواق في كل شهر مرتين وهذا ما يؤكده المراكشي: "وكان – أي المنصور- قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الخضر الحضر في كل شهر مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم"[1]، وأمناء الأسواق كانوا من أعوان المحتسب[2].

وجدير بالذكر أن الباحث يُلاحظ الفقر الواضح في تأليف كتب عن الحسبة في عصر الموحدين، بالرغم من وجود وظيفة المحتسب في دولة الموحدين، وربما كانت هناك مؤلفات وضاعت أو أن الموحدين انصرفوا عن التأليف في الموضوع لأنه ارتبط في الأذهان بالمذهب المالكي، وبأمهات فروع الفقه وكانت على مقت وإنكار من الموحدين الذين رفعوا لواء فكرة الرجوع إلى الأصول الحقيقية للتشريع الإسلامي[3] وتجنب كل مسائل الفروع التي كانت محل جدل واختلاف واضاعة للوقت حسب نظرهم.

2-ب-أشهر من تولى الحسبة:

وتولى خطة الحسبة في عهد القاضي معاذ بن عثمان سنة **223هـ/837م** ابراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل (**ت 249هـ/843م**)[4] وقد هدم حوانيت لبني قتيبة[5] ،وجمعت له خطة الشرطة مع السوق[1].

---

1 – المراكشي: **المعجب**، ص**285**.

2 – حركات: **المغرب عبر التاريخ**، ص**339**.

3 – موسى لقبال: **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الأولى، **1971**م، ص**49**.

4 . القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج**2**، ص **136- 137**.

5 . الخشني: **قضاة قرطبة**، ص**56- 57**.

وتولى خطة الحسبة –أيضا – حسين بن عاصم (**ت 263هـ/876م**) وكان شديدا على أهل السوق، وسار على شدته ولده ابراهيم (**ت 259هـ**)[2]، وممن تولى خطة الحسبة سعيد بن السليم (**ت302هـ/914م**)[3]، الذي وقف أمام تجاوزات كبار العبيد الصقالبة، مثلما حدث مع خصي المطرف ابن الامير عبد الله، وأغلظ لصاحب السوق في القول، فما كان من صاحب السوق إلا أن ضربه مائتي شوط ،ثم سجنه، فاستحسن الأمير فعله[4].

وتعددت ممارسات المحتسب الفعلية والعملية، وهي أقرب الخطط إلى الممارسات الاقتصادية للناس، منها:

مشكلات الغش التجاري، وتلاعب الصناع والتجار في السوق، فيحكم المحتسب ومعاونوه الرقابة عليهم، ويحدث الغش في عملية الصناعة، أو في المادة المصنعة، أو بخلط السلعة، أو القاص الوزن و الكيل.

وأوردت كتب الحسبة نماذج كثيرة للصناعات والصناع وحيلهم مثل: الخياطين ولصباغين، والرفائين، والدباغين, والطرازين، والقراقين، والحصارين، والقطانين، وبائعي القصب، والحدادين، وعملة المفاتيح، والناشرين للخشب، والناحسين، وبائعي الفخار، وحاملي اللحم وخدمة الحمامات، وصانعي غرابيل الشعر والدهان وغير ذلك[5].

---

1 . القاضي عياض: **ترتيب المدارك**، ج**3**، ص **136**.

2 . ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ص**351**.

3 . ابن القوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص**103**.

4 ابن حيان: **المقتبس في تاريخ رجال الأندلس**، ص**5**.

5 . ابن عبدون: **في قضاء الحسبة ضمن ثلاث رسائل في الحسبة**، ص **36- 43- 48- 50- 53- 55** . السقطي: **آداب الحسبة**، ص**63- 72**.

ويختص المحتسب بمراقبة الموازين والمكاييل، فيختبر كل صنف لوقوع أشكال من الحيل والخدع في الموازين والمكاييل، ومنها وضع بعض التجار الزفت في مكاله، ومن فعل ذلك يطرد من السوق، أما إذا انقض الوزن فيضرب ويجرس في الأسواق،وإذا تكرر ذلك ينفي من البلد[1] وينظر المحتسب في توحيد المكاييل والموازيين في البلد الواحد[2].

ويشرف المحتسب على المأكولات مثل دابحي الجذور، وبائعي اللحم والطيور والصيد والحوت، وطرق تنظيف اللحوم بعد ذبحها، وأوضحت كتب الحسبة أنواع اللحوم وأماكن ذبحها[3]، وتمنع ذبح الاناث وبهائم الحرث، وتشرف على اللحم مطبوخا أو نيا، أو مشويا، وطازجا، أو بائتا، و أسعار اللحوم[4].

وينظر المحتسب في بيع الفواكه والخضروات مثل التين والبلوط والفسطل، أما من غش في اللبن بوضع الماء، بوضع الماء ،فيحرم صاحبه منه، ويتصدق به على المساكين،كما يراقب المحتسب الخبازين وعملة الدقيق والخبز وأوزان الخبز، و بائعي الحنطة والبيض .

ويشرف المحتسب على الصناعات الغذائية مثل: المجبنات وهريسة القمح وهريسة الشحم، والمركاس، والأحراش، والكرعك والمسمنات، والاشراف على الطباخين ونظافتهم ونظافة قدورهم وحوانيتهم وصلاحية المواد الغذائية، وكدلك يشرف المحتسب على بائعي الحطب، ومكان بيعه وطريقة ذلك، فيباع على الارض

1 . السقطي: **آداب الحسبة**، ص**8**، **20**.

2 . خلاف: **وثائق في شؤون الحسبة في الأندلس**، ص**58**.

3- ابن عبدون: **في قضاء الحسبة ضمن ثلاث رسائل في الحسبة**، ص **44- 47- 53**.

4 - السقطي: **آداب الحسبة**، ص**35- 40**، المقري: **نفح الطيب**، ج**1**، ص**219**.

حتى يظهر ما يداخله، ويراقب الفحم أثناء وزنه حتى لا يغش بالبلل الذي يثقله ويفسد عند الوقود.

ويشرف المحتسب على العطارين والصيادلة ، فتمتحن عناصر الصيدلة من عنبر وكافور وزعفران وعود، وأوضحت كتب الحسبة أمثلة للمعاجين والمركبات والاشربة، وحيل التجار في خلطها وبيعها .

ويراقب المحتسب من يقوم بالتطبيب من الكحالين والجراحين وغيرهم، كما يراقل الصناعات مثل المسامير، والاكواب، وأطراف المقابض، وصفائح الدواب، و السلالم الخشبية، وأحمال الجير، وغرابيل الحنطة، وطبخ القراميد، وبيع مواد البناء المختلفة من الجبس والجير والطوب.

ويحمي المحتسب مصالح المسلمين العامة مثل الطرق، ومثل ذلك حدث من تعدى الوزير الحاجب ابن السليم على المحجة العظمى بقرطبة وضمه إلى جنته اللاصقة بمنية المغيرة، وحكم المحتسب بعودة ما اخذ من محجة المسلمين، ومثلها التنازع في طريق إلى كرم داخل كروم، أو أرض بين أرضين ويمكن المحتسب مالك الارض المحصورة التي لا منفذ لها إلا أرض الجار من الانتفاع بها الانتفاع غير المضر وقد نزلت هذه النازلة بياسة بارض الاندلس سنة **444ه/1052م**. و أشرف المحتسب على تنظيف الطرق من الاقذار، والزبول، والماء, وسائر أضرار الطرق والشوارع.

ويحتاج المحتسب إلى مجموعة من الأعوان الأمناء وأرباب المهارة في الصنائع، يجمعون إلى الخبرة في العمل الورع والحزم، وهم بمثابة العيون له، وذلك لأن أهم اختصاصات المحتسب رعاية الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وجعلها تسير في إطار الشريعة الاسلامية والأخلاق الفاضلة.

في الدولة الموحدية كان الخليفة هو المشرف عليها بنفسه، وهذا ما نص أكده نص المراكشي حيث كان الخليفة يشرف بنفسه على أعمال حسبة السوق، وهو مظهر من مظاهر الحكم المطلق الذي باشره الخلفاء في دور الازدهار[1].

ويبرر أحمد موسى عدم إفادته من كتب الحسبة التي وصلتنا، لأن هذه الرسائل على حد قوله كتبت قبل الفترة الموحدية بقليل أو على أبعد الفروض بعد قيام الدولة بيسير، ويضيف أنه كانت هناك رسائل تتداول بين الناس عن الحسبة وربما كانت نفس رسائل الحصر المرابطي أو قد تكون غيرها[2].

ويقول ابن سعيد المغربي عن هذه الرسائل أنه كان لأهل الأندلس"في أوضاع الاحتساب قوانين يتداولونها ويتدارسونها كما تتدارس أحكام الفقه لأنها عندهم تدخل في جميع المبتاعات"[3]، وابن سعيد عاش في أواخر العصر الموحدي ولم نجد ما يفيد أن هذه القوانين هي القوانين ذاتها التي كانت سائدة قبل الموحدين[4] أم أنها تغيرت.

3- النظر في المظالم:

ولاية المظالم لون من ألوان القضاء تمتزج فيه قوي السلطة بنصف القضاء ،وتحقق ما عجز القضاء عن تحقيقه، ومحاكمة أصحاب النفوذ وكبار الموظفين الذين يستغلون مناصبهم، ولذلك صاحب المظالم يحد كثيرا من تعدي ذوي الجاه والسلطان[5].

---

1 - عز الدين أحمد موسى: **الموحدون الغرب الإسلامي**، ص**208**.

2 - عز الدين أحمد موسى: المصدر نفسه ، ص**208**.

3 - المقري: **نفح الطيب**، ج**2**، ص**103**.

4 - عز الدين أحمد موسى: المصدر نفسه ، ص**209**.

5 - حسن إبراهيم: **النظم الإسلامية** ، ص**353- 354**، حسن علي: **الحياة الدينية** ، ص**315** ومابعدها.

ويختص صاحب المظالم فيما يتعلق بموضوع الملكيات الزراعية بالنظر في الشكوى التي ترفع من الأفراد والجماعات لانصافها من العمال، أو جباة الخراج إذا حابوا جماعة وظلموا أخرى، وتشددوا في الضرائب وجمعها، وعمال الدواوين إذا حاولوا التدليس والغش في أموال الناس بالنقص أو الزيادة.

وهي من الخطط الدينية التي لصاحبها حق إصدار الأحكام مع خطط القضاء والشركة والمدينة والسوق والرد[1].

ويشترط فيمن يتولى خطة المظالم شروط القاضي من علم وفقه في المسائل والشروط، وأن يكون جليل القدر، نافذ الرأي عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع،كثير الورع، لأن الغاية من هذه الخطة أن يحاكم الموظفون وأصحاب النفوذ في الدولة مثل الولاة والوزراء إذا اعتدوا على حقوق الرعية[2].

وأهم اختصاصات صاحب المظالم هي : النظر في تعدي الولاة على الرعية ، ومراقبة كتاب الدواوين في الداخل والمنصرف، والنظر في تظلم المسترزقة من نقص وتأخر أرزاقهم، ورد الغصوب إلى أربابها، ومشارفة الأحباس،وتنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه، والنظر فيما عجز عنه الناظرون في الحسبة، ومراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والأعياد والحج والجهاد، والنظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين.

وكان بعض الأمراء ينظرون في المظالم وكذلك القاضي، ففي عهد الأمير الحكم بن هشام تظلم رجل من اهل جيَان توفي، واغتصب ضيعته العباس بن عبد الله بن مروان، ورد القاضي الضيعة لاصحابها، ولم يتدخل الأمير الحكم بل قال : ما أشقاه من لطمه قلم القاضي، وعندما اغتصب عامل جيَان جارية من صاحبها

---

1 – ابن سهل:**الأحكام الكبرى** ،ص**49**.

2 – السيد داود: **القضاء والقضاة في الأندلس** ،ص**137**.

وصيرها للأمير في قرطبة، وحازت مكانة طيبة لدى الأمير إلا أن القاضي ردها لصاحبها، ورفض أن يعوض صاحبها بالمال وهي في حوزة الأمير.

وعندما أخذت أملاك حسانة التميمية ردها إليها الأمير الحكم الريضي غير ان العامل على إلبيرة جابر بن لبيد أمر الحكم الريضي، فأمر الأمير بتنفيذ مظلمة المرأة وعزل عامله على إلبيرة، ورد القاضي معاذ بن عثمان مالا وأراضي اغتصبها الحاجب بن رستم من رجل تظلم إلى القاضي[1].

وأرجع القاضي عمرو بن عبد الله أرضا ومنزلا اغتصبهما شخص من عمال الامير وكان مرشحا لخطة المدينة, وكذلك أرجع القاضي سليمان بن أسود لامرأة منزلا وأرضا اغتصبها وصيف الأمير بدرون الصقلبي، ولما شكا الفتى الصقلبي للأمير قال له الامير :

"يا بدرون اخفض عليك فمحلك مني تعلمه، ما سألنا حوائجك إليها ما خلا معارضة في شيء من أحكامه، فإن هذا باب فد أغلقناه، فلا نجيب إليه أحدا من أبنائنا ، ولا من إخواننا ولا من أبناء عمنا فضلا عن غيرهم ،و القاضي أدرى بما فعل" [2]،وأعاد القاضي سليمان بن أسود لرجل أموالا قد غصبها يوسف بن بسيل عامل شذونة، وعزل عن شذونة.

و ينصف الأمير محمد قضايا المظالم المرفوعة إليه، فحقق الأمير ورد الضيعة إلى صاحبها ، وعندما غصب والي جيَان عامر بن كليب أرضا ومنزلا من رجل، فأمر الأمير القاضي بالنظر في القضية، فثبت لدى القاضي صحتها وحكم برد الملك المغتصب لصاحبه.

---

1 - ابن حيان: **المقتبس** ،ص **68- 71**، والحاشية رقم **175** ومصادرها.

2 - النباهي: **تاريخ قضاة الأندلس**، ص**58**.

وقد أفردت خطة المظالم منذ سنة **325هـ/936م** وأول من تولاها منفردا هو محمد بن قاسم بن طماس، وكان على خطة العرض، وتولاها سنة **328هـ/939م** أحمد بن عبد المالك بن شهيد مع خطة الشرطة العليا،

وفي عصر الفتنة البربرية تولى محمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان أحكام المظالم، وكان محمودا في أحكامه، حسن السيرة، غير أنه نفي إلى العدوة، ولما عاد رفض تولى الخطط، وتولها محمد بن علي بن هاشم بن عبد الرؤوف، وكان صلبا في الحكم، شديدا على أهل الإستطالة[1].

وممن تولى خطة المظالم أبو عبد الله بن عبد الرؤوف سنة **409هـ/1018م** ,و شغلها كذلك قاضي القضاة أحمد بن ذكوان، وتولها الخليفة المعتمد بالله، وتولى خطة المظالم بشاطبة.

وهناك قضايا عرضت على صاحب المظالم منها:

أثبت عبد الرحمان وفطيس ابني عيسى بن عبد الرحمان بن فطيس عند صاحب المظالم عقدا استرعاء بملك أبيهما لأرض بقرية دوش الجبل من إقليم الجنسطمار من عمل قرطبة وذكر أن عبد الواحد بن محمد بن موهوب التجيبي (ابن القبري) و توفي سنة 406هـ/1015م[2]، و كان عبد الله بن محمد بن أدهم صاحب المظالم في قرطبة، ثم تولى القضاء سنة **468هـ/1075م**، وكان من أهل الصرامة في تنفيذ الحق مظهرا له ، مقصيا للباطل وحزبه، قامعا لأهله، وتولى المظالم والرد ببلنسية الفقيه عبد الله عبد الرحمان بن جحاف المعافري ثم قدم إلى القضاء.

1 – ابن بشكوال: **الصلة**، رقم **1098**.

2 – عياض: **ترتيب المدارك** ،ج**4**، ص**818**- **819**.

وفي خلافة المنصور خصص الخليف أياما معينة للنظر في المظالم[1]، وكان الناس يقدمون على الحضرة بظلاماتهم[2] أو يكتبون إلى الخلفاء عنها، فقد كتبت امرأة شلبية إلى المنصور تتظلم من ولاة بلدها وصاحب خراجها[3] فأنصفها المنصور.

رابعا: توظيف الموحدون للعقار سياسيا

لم يسلم العقار من التوظيف السياسي عند الموحدين وقد تغير تبعا للأحداث وواكب كل الظروف حربا كانت أو سلما وفي طوري الثورة والدولة:

1_ طور الثورة:

كان الإقطاع إحدى الوسائل التي استعملها الموحدون لتمليك الأراضي التي استولوا عليها لقبائلهم والذي يدلل على ذلك أن المصطلحات تكشف ذلك فالرواية المعاصرة تسمي اقطاع دور الثورة جوائز أو إقطاعاً[4].

وأقطع الموحدون خلال ثورتهم الأراضي التي فتحوها لقبائلهم على أسس قَبَلية: فكانت جوائز لكل قبيلة جائزة[5] . وكان يتولى تقسيم الإقطاع أيام ابن تومرت أبو يوسف أيوب الجدميوى، وهو من أهل الجماعة – أي الهيئة التنفيذية في الثورة الموحدية– [6] . وربما كان هذا إقطاع تمليك، إذ كانت الثورة في بدايتها وقد أراد الموحدون تملك ما يفتحون. غير أن هذه النظرة الى الإقطاع تغيرت مع تحول الثورة إلى دولة وتبدل مفهوم التوحيد من ديني إلى سياسي، بعد ثورة قبائل البلاد

---

1 - المراكشي: **المعجب**، ص**285**.

2 - عبد الملك المراكشي :**الذيل والتكملة**، ص**241**.

3 - المقري: **نفح الطيب**، ج**6**، ص**29**.

4 - عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي**، ص141 وما بعدها.

5 - ابن القطان: **نظم الجمان**، ص**94**.

6 - المراكشي: **المعجب**، ص**338**، وعن أهل الجماعة أنظر موسى: **التنظيمات الحزبية** ،ص**59**.

الغربية، كما أن الغاية من الإقطاع قد اختلفت، بحسب مقتضيات المرحلة وضرورات الواقع.

2_طور الدولة:

أصبح الاقطاع جزءا من مدخول الدولة الإقتصادي لتفادي وقوع ثورة الجياع حيث تغيرت وظيفة الإقطاع إلى راتب يدفع أو تسكينا لثائر أو تأليفا لوجية أو مقابل خدمة للدولة وهذا ما أكدته المصادر العربية المعاصرة حيث سمت إقطاع مابعد الثورة فترة الدولة – إسهاما–

ويمكن توضيح بعض الأمثلة من الإقطاعات:

أ_ إقطاع الرواتب: تردّد المصادر في حديثها عن الرواتب ثلاثة مصطلحات سوى الإقطاع: البركة والمواساة والإحسان. والبركة هي راتب الجند وعطاؤه.

ويسميها المراكشي بمصطلح مشرقي هو" الجامكية"، ويقول انها تخرج ثلاث مرات في العام، مرة كل أربعة أشهر[1] .ورواتب غير الموحدين مشاهرة – وهذا هو وضع أرباب الخطط المخزنية[2] . قد أدرج المنصور الأغزاز في هذا الصنف عندما ألحقهم بالجيش الموحدي[3] . وأما المواساة والإحسان فتفرقان كل سنة، على حسب

1 – عبد الواحد المراكشي: **المعجب**،ص**290–322– 34**، وفي رواية ابن القويع عن حفصي تونس أن البركة عندهم تخرج أربع مرات في الفطر والأضحى وربيع أول ورجب حسبما قرره ابن تومرت : **مسالك الأبصار**، (أيا صوفيا)،ج**4**،ص**33**، القلقشندي :**صبح الأعشى**، ج**5**،ص**137– 140** وقد تصور روايته هذه تطورا لاحقا لأن المراكشي قد عمل في الدولة الموحدية.

2 – ابن تومرت :المصدر السابق (أيا صوفيا) ،ج**4**، ص**35**.

3 – عبد الواحد المراكشي: **المصدر السابق**، ص**290**.

أقدارالناس. فالأولى غلة تفرق عند تحصيل الغلات في المخازن، والثانية مبلغ من المال[1] .

وكان للجند الموحدي الى جانب " البركة" إقطاعات تمثل جزءا من راتبهم .

ب_ إقطاع التسكين: وقد يقطع الموحدون من يخشون فتنته تسكينا لنفسه واستجلابا لطاعته، نظير ما فعل عبد المؤمن مع رؤساء بني هلال في البلاد الشرقية[2]، ومثلما فعل المنصور مع أعمامه لما تلكأوا عن بيعته ثم استجابوا[3]، ومثل فعله مع ابن منديل المغراوي في وادي شلف[4]،

ج_ إقطاع التأليف: اتبع الموحدون سياسة مختلفة عن سياسة المرابطين مع الحكام السابقين أو أبنائهم أو الثوار المستسلمين ان أخذت ديارهم صلحا. فقد كانوا يكرمونهم[5] ويقطعونهم ما يقيم أودهم[6] لأنهم أبناء ملوك سابقين[7]. ويلاحظ أن إقطاعاتهم عادة ماتكون في البلاد الغربية تغريبا لهم كيلا تحدثهم نفوسهم بالثورة في مناطقهم السابقة. وهذا نفس ما فعله عبد المؤمن مع بني أمغار قرابة ابن تومرت لما

---

1 – ابن تومرت:**مسالك الأبصار** (أيا صوفيا)، ج**4**، ص**34**. ويبدو أن المواساة هذه اتبعت من قبل عند ملوك الطوائف، فقد رتب بنو زيري في غرناطة لقاضيهم ابن القليعي "مسانحة ومشاهرة" (التبيان، ص**116**)، والمساهنة هي التعامل بالسنة (راجع التاج واللسان)، وقد تكون هي الغلات.

2 – عبد الواحد المراكشي :المعجب، ص**225**.

3 – عبد الواحد المراكشي :المصدر نفسه، ص**265**.

4 – عزالدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي** (خلال القرن السادس الهجري)،ص**145**.

5 – راجع أمثلة في **المعجب** ،ص**199- 200-207-211- 250- 253- 255- 315- 318**.

6 – أقطع عبد المؤمن يحي صاحب بجاية ، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص**207**.

7 – انظر تعليق ابن مسعدة الشاعر، المقري: **نفح الطيب**،ج**3**،ص**419** .

خالفت عليه هلاغة، فأقطعهم في فاس بدلاً عن إقطاعهم الذي كان في مراكش قرب مواطن هرغة[1] .

د_ إقطاع الخدمة: وهو الذي يحصل عليه مقابل خدمة قدمت للدولة[2] .

هـ_ إقطاع هبة:[3] فواضح أن الغاية من الإقطاع اختلفت في حالي الثورة والدولة. ففي الحال الأولى كان الإقطاع احدى الوسائل التي اتبعت لتمليك الموحدين قبائلهم للأراضي المفتتحة، بينما في الثانية أصبحت الغاية من الإقطاع دفع جزء من الرواتب أو تسكيناً أو تأليفاً أو لقاء خدمة أو هبة. والمصطلحات تكشف عن اختلاف طبيعة الإقطاع في الدّورين. فالرواية المعاصرة تسمى إقطاع دور الثورة جوائز[4] أو إقطاعا[5]، بينما تستعمل المصادر المغربية المعاصرة إقطاع فترة الدولة "إسهاما"[6]. وتشير المصادر الغربية- التي كتبت في المشرق- والمشرقية المعاصرة والمغربية المتأخرة أن المصطلحين مترادفين[7].

خامسا: الأثر السلبي للثورة على العقار

---

1 – عزالدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي**، ص**147**.

2 – راجع ابن القطان :**نظم الجمان**،ص**137**.

3 – ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**،ص**438**،الحميري: **الروض المعطار**، ص**121**.

4 – ابن القطان :المصدر السابق، ص**94**.

5 – عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص**338**.

6 – ابن صاحب الصلاة : **المن بالامامة**، ص**229- 429- 438**.

7 – ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج**6**، ص**43**.

لم تكن الثورة وما حققته من أهداف أسلوبا حضاريا لتغيير الشعوب والأمم، وإنما عادة ما ينجم عن مثل هذه الثورات والفتن والاضطرابات، خراب يصيب العمران والأرض، فما هي آثار الثورة السلبية على الفرد والمجتمع؟

أ-الخراب والإفساد في الحرث والنسل: يصف لنا أحد المشاركين في الثورة حجم الدمار الذي تعرضت له الأندلس بفعل الثورة والإنتقال من المرابطين إلى الموحدين حيث يقول ابن القابلة[1]، في رسالة وجهها ُاى الأمير أبي زكريا يحيى بن غانية يقول فيه:"ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ليذيقهم بعض الذي عملو لعلهم يرجعون، وأنه قد عمّ الرزايا والمصائب، وشملت الفتن المشارق والمغارب، وهلك فيها إلا ما شاء الله الشاب والشايب، وعادت زاهرات الأمصار موحشة خرائب، وعامرات الأقطار سباسب.

وزاد في خراب الأرض والديار توالي هجمات ألفونسو ملك قشتالة وغيره من ملوك النصارى، كل على الأرض المجاورة له، فخربوا القرى وانتسفوا الزرع، وقد أغرت الغنائم النصارى على تكرار الهجمات، فقام ماك قشتالة بالإغارة على الأودية الكبيرة الخضراء، وأثخنوا في الحقول والحدائق والقرى، والناس والدواب، وأضرنوا النار في المحاصيل، وامتد هذا العبث الذي كانت تقوم به في مختلف الأنحاء السرايا الخفيفة من الفرسان فيما بين قرطبة وإشبيلية"[2].

واشتد هنريكيز ملك البرتغال على ما جاوره من أراضي الغرب، فدأب على العبث بالأراضي وتخريب بسائطها، وإتلاف مزروعاتها، وتشتيت أهلها[3].

1 – ابن سعيد المغربي: **المغرب**، ج**1**، ص**351**.

2 – ابن القطان: **نظم الجمان**، ص**197**، يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ص**173**..

3 – ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب**، ص**53**.

وعم الخراب كل المناطق ولم ينج منها في هذه الفترة من الخراب والتدمير غير منطقة وادي آش، وبعضا من مناطق الشرق، فكان ابن ملحان الطائي المترأس لوادي آش خبيرا بالزراعة، وأساليبها، فاستغل خبرته في إنعاش الحالة الزراعية بإمارته وتولى فلاحتها بنفسه، يقول ابن الخطيب: فاقتنى الضياع الواسعة وتولى فلاحتها، وحرثها بنفسه حتى غدا من أغنى أهل زمانه[1].

أما منطقة الشرق وهي إمارة محمد بن مردنيش والتي امتدت من أحواو طرطوشة شمالا حتى أحواز قرطاجنة ولورقة جنوبا، فقد كانت منطقة غنية بزروعها، غير أن ابن مردنيش فرض ضرائب كبيرة على الأراضي الزراعية حتى أصبحت منتوجاتها تفي بدفع ما عليها من قبالات مما أجبر العديد من الفلاحين وصغار الملاك على ترك مزارعهم وضياعهم والهرب عنها، فما كان من ابن مردنيش إلا أن أصدر قانونا يبيح للمخزن–الدولة–الاستيلاء على المزارع التي يتركها أصحابها وتصبح ملكا للدولة، مما أضر كثيرا بالفلاحة والأراضي الزراعية وفلاحيها[2].

ومع دخول الموحدين الأندلس زاد التدهور في الوراعة، وخربت الأرض، وهجرها أهلها بسبب الحروب المتصلة سواء الثوار بعضهم البعض، أو بسبب هجوم النصارى المدمر للمحاصيل خصوصا وقت الحصاد أو نتيجة هجوم الموحدين. فالنصارى عندما علموا بوصول الموحدين أثناء استيلائهم على قرطبة، لم يتركوا المدينة إلا بعد أن دمروا كل ما وصلت إليه أيديهم في طريقهم من قرى ومزارع حتى أقفرت الأرض وعمّ البلاء العظيم[3].

---

1 – ابن الخطيب: **أعلام الأعمال**، ص**264**، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج**2**، ص**89**.

2 – ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج**2**، ص**124**.

3 – ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب**، ص**42**، **43**.

ومما زاد في خراب السهول الخصبة الممتدة بين إشبيلية وقرطبة إلى غرناطة توالي هجمات ابن همشك قائد ابن مردنيش في وقت قرب نضج المحصول حتى قضى على الأخضر واليابس مدة سنوات متتالية فعمها الخراب وهجرها أهلها[1]، وذاقت قرطبة وأهلها من سوء الفتنة مالم يذقه أحد من أوائلهمفي الفتنة الحمودية[2].

ب-ضياع الحقوق: وفي زمن الفتنة وما أعقب ذلك من اضطرابات وانفلات للأمن فتضرر الناس، وكثر الاستغلال والتعدي على أملاك الناس العقارية كالدور والأراضي الزراعية، يتبين ذلك من كثرة النوازل في موضوع الغصب، وبيع المضغوط، ومسائل الرهن وبيع الغبن[3].

ولجأ ضعفاء الناس إلى بيع أراضيهم بسعر زهيد وانتهز هذه الفرصة بعض الأشخاص زاشتروا أملاك الكثيرين، وهو ما سماه ابن خلدون "حوالة الأسواق"[4].

ج-إنقلاب الموازين: حيث أفل نجم الكثير من الأغنياء وبزغ نجم آخرين، وأتت الفتنة على كرام القوم وأفاضلهم ولم يرع العامة لهؤلاء الفضلاء الحكمة الجارية والمشهورة "ارحموا عزيز قوم ذلّ" وتغلّب زعماء الفتنة على أملاك الناس، وصاروا من أكبر الملاّك بعد أن كانوا لا يملكون شيئا مثل ابن ملحان[5]، وابن عزون[6]، وابن

---

1 - ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب** ، ص**74**.

2 - ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص**128**، **137**.

3 - الونشريسي: **المعيار المعرب**، ج**5**، ج**6**، ج**9**، ص ص

4 - ابن خلدون: **المقدمة**، ص**870**، **871**.

5 - ابن الخطيب: **أعلام الإعلام**، ص**246**.

6 - ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص**226**،**225**، ابن الآبار: **الحلة السيراء**، حققه وعلق حواشيه: حسين مؤنس، ج**2**، الشركة العربية للطباعة والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة الطبعة الأولى، **1963**م ، ص**242**.

مردنيش[1]، وابن همشك[2]، وصدق الله العظيم القائل:"وتلك الأيام نداولها بين الناس"[3].

---

1 - عبد الواحد المراكشي: **المعجم**، ص**249**.

2 - ابن عبد الملك: **الذيل والتكملة**، ج**5**، قسن**2**، ص**660**.

3 - آل عمران: الآية **140**.

المبحث الثاني

الأبعاد الاجتماعية

إذا أردنا أن نرسم معالم المجتمع الأندلسي في أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، فقد كان مزيجا متنوعا في الأصول والعقائد والثقافة، بين عناصر مسلمة تجسدت في أهل البلاد الأصليين ويطلق عليهم "عجم الأندلس" ونقصد بهم الإسبان الذين أسلموا، والوافدين من العرب القادمين من المشرق والمغرب الذين قدموا من شمال إفريقيا والمولدين، وأخرى غير مسلمة تمثلت في المستعربين(**los mozarabes**) واليهود وهو ما يطلق عليهم بأهل الذمة، وسنسلط الضوء على هذه العناصر بما يستفرغ له الجهد.

وكان يمكن لهذا التنوع والخليط من الأجناس أن لا يعرف المجنمع استقرارا في هذه البلاد نظرا للاختلافات العرقية والسياسية والمذهبية، وكان يمكن أن يكون عامل ضعف، ومصدر قلق لأي سلطة تحل بالأندلس، خاصة إذا كانت سياستها تقريب جنس على حساب آخر مما قد يفجر الثورات في المجتمع، غير أن هذا الأمر لم يحدث في دولة الموحدين، واستطاعت بسياسة حكيمة أن تستفيد من هذا التنوع، وذلك بفضل المبدأ الذي قامت عليه دولتهم وفكرتهم التوحيدية(التي تطورت من الجانب الديني إلى السياسي) فاصطبغت هذه الفكرة في شعورهم ووجدانهم وانعكست في أفكارهم وترجمت في أفعالهم وتصرفاتهم، فكان شغلهم الشاغل البحث عن لململمت شتات المجتمع و رأب الصدع فيه، والبحث عن كل ما من شأنه يساعد في استقراره، وابعاد عنه كل ما من شأنه يزعزع استقراره، فكيف انعكس أثر تنظيم العقار في الأندلس على وحدة وتماسك المجتمع؟ وما هي الاجراءات المتخذة لتحقيق ذلك؟

قبل الاجابة على هذه التساؤلات لابأس باطلالة على تركيبة المجتمع الأندلسي، وأهم فئاته وطبقاته .

أولا: لمحة عن تركيبة المجتمع الأندلسي في أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي،

1-العرب.

مثل العرب بقبائلهم من مضريين ويمنيين، أهم وأبرز عناصر المجتمع الأندلسي، وكانت الطلائع الأولى التي دخلت مع الفاتحين سنة**93هـ/712م** مع موسى بن نصير قلة، وتختلف المصادر حول العدد الحقيقي الذي دخل، وقدّره صاحب أخبار مجموعة فتح الأندلس بـ"ثمانية عشر ألفا"[1]، واستقروا في البلاد ثم تكاثروا بعد استقرار عبد الرحمان بن معاوية(ت. **172هـ)** مجدد ملك بني أمية بالأندلس، لكن ما يهمنا هو أنهم كانوا حجر الزاوية، في الحياة الأندلسية سياسيا واجتماعيا وعلميا واقتصاديا، وتفاعلوا مع الأحداث وتمركزوا في المناطق الحساسة فاختار"العرب السكن في منطقة ضيقة على الشواطئ الشرقية والجنوبية ثم في سهل قرطبة"[2] لأن هذه الأماكن تشبه بلادهم في المشرق في كثير من الخصائص والمميزات.

وقد كان يطلق على العرب الوافدين مع طارق بن زياد بـ"البلديين"[3]، والذين جاءوا مع بلج بن بشر بـ"الشاميين"[4]، وهذا ما يؤكده حسن يوسف دويدار في معرض حديثه عن الفوج الذي قدم مع بلج بن بشر سنة**14**هـ حيث يقول: "

1- مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله، والحروب الواقعة بينهم**، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط**2**، **1410هـ/1989م**، ص**24**.

2- محمد سعيد الدغلي: **الحياة الاجتماعية في الأندلس-** وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي، دار أسامة، الطبعة الأولى، **1984**م-**1404**هـ، ص**15**.

3- محمد سعيد الدغلي: المرجع نفسه، ص**15**.

4-محمد سعيد الدغلي: المرجع نفسه، ص**15**.

وأصبح هؤلاء يلقبون بالشاميين تمييزا لهم عن الطلائع الأولى التي كانت في الفتح وبعده مباشرة واستقرت وسميت بالبلديين"[1] إشارة منه لطلائع طارق بن زياد.

فقد استوطن هوازن بن منصور بن عكرمة في إشبيلية"وهم خلق كثير"[2]، وسكنوا في بلنسية وغرناطة.

وفي بلنسية سكنت قبيلة معافر اليمنية، وقوم ينسبون إلى أبي بكر"ولهم منزل بجوفي بلنسية على ثلاثة أميال"[3]، وكذلك في إشبيلية.

وسكن بنو حزم إشبيلية، وهذا ما يؤكده المقري في معرض حديثه عن العرب الذين استوطنوا إشبيلية"ومنهم بنو حزم وهم بيت غير البيت الذي منه أبو محمد بن حزم الحافظ الظاهري"[4]،

وبدخول الموحدين الى الاندلس نقلوا معهم أعداد كبيرة من العرب أنزلوهم في الكثير من المدن الأندلسية ففي سنة (**555**هـ / **1159**م) ترك الخليفة عبد المؤمن بن علي جماعة من العرب ضمن الجيش المجاهد الذي كان بجبل الفتح[5] وأنزل جماعات أخرى بقرطبة وشريش واشبيليا[6] وبلنسية[7] وسار بعده ابنه يوسف على نهجه، حيث عمل على توطين العرب بر الاندلس، فأنزل أعداد كبيرة منهم بشرقة[8] وكان يرسل مجموعات من العرب بصفة مستمرة الى ثغور الاندلس، وكثيرا ما كان

1-حسن يوسف دويدار: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (422-138هـ/755-1030م)**، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى، ص**15**.

2-المقري: **نفح الطيب**، ج**1**، ص**291**.

3-المقري: المصدر نفسه، ج**1**، ص**291**.

4-المقري: المصدر نفسه، ج**1**، ص**291**.

5 - ابن عذارى: **البيان المغرب**. قسم الموحدين، ص **70** .

6 - المراكشي: المصدر السابق، ص **262** .

7 - البيدق: **أخبار المهدي بن تومرت** ، ص **131**.

8 - عز الدين أحمد موسى: **النشاط الإقتصادي**، ص **97** .

الخلفاء الموحدون يصرخون برغبتهم في مشاركة ومساندة العرب الهلالية في عملية الجهاد بالمنطقة[1].

2- البربر.

أصل كلمة "بربر" هو إسم صوت غير مفهوم كان يحدثه هؤلاء القوم حين يتكلمون،"كانوا يبربرون في كلامهم"[2]، وهم على حد قول ابن حزم"بقايا ولد حام بن نوح، وقد اختلطوا منذ القدم بأصول سامية، وأهم بيوتاتهم بالأندلس: مكناسة، وزناتة، ومصمودة، وصنهاجة"[3] حيث قام الفتح على كواهل كثير من قبائلهم.

ويعود تاريخ دخول البربر المغاربة إلى الأندلس منذ الفتح، وكانت أعدادهم في تزايد مستمر، حيث تشير المصادر التاريخية أن أول دخول للفاتحين بزعامة طارق بن زياد كان"سبعة آلاف من المسلمين جلهم من البربر والموالي، ليس فيهم عرب إلا قليل"[4]، وانخرط البربر في الحياة الاجتماعية وبرزوا في وظائف مختلفة حيث كان جلهم "صناعا وعمالا وفلاحين اتخذوا المناطقة الجبلية الوعرة سكنا لهم، فأصلحوا أرضها وغرسوا فيها كل أنواع الشجر، ويربون فيها أدغالهم حتى أصبحوا مهرة"[5]، ونبغوا في علوم شتى، وانتشروا في كافة المدنالأندلسية، وانصهروا في المجتمع عن طريق الزواج، واتقنوا اللغتين "العربية والرومنثية"[6] لأن لغتهم لم تكن مفهومة.

---

1 - ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص **251 -311**.

2-ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج6**، ص**176**.

3- ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص**495- 499- 501**.

4-مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**, ص**6**- الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ص9- المقري: **نفح الطيب**، ج**1**، ص**231**- ابن عذاري: **البيان المغرب**، ج**2**، ص**6**.

5-مريم قاسم طويل: **مملكة غرناطة في عهد بني زيري**، مكتبة الوحدة العربية- الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى،**1414**ه/**1994**م، ص**244**.

6- مريم قاسم طويل: المرجع السابق، ص**244**.

وظلت بعض الأقليات البربرية محافظة على عاداتها وتقاليدها، يتزعمهم زاوي بن زيري"واستطاعوا أن يؤسسوا في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي إمارة مستقلة بغرناطة"[1]، وأصبحوا يشكلون جزء لا يتجزأ من المجتمع الأندلسي عامة والغرناطي بصفة خاصة.

لم يكن وجود البربر بالأندلس محببا للأندلسيين اللذين كانوا يعتقدون أنهم الأكثر نطور وحضارة، وأن البربر ليسوا إلا بدوا أبهرتهم مظاهر الحضارة بالأندلس ،ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب، فكثير ما وصف أهل الأندلس البربر بارذل الصفات وما يدل على ذلك الامثلة التي تدولوها[2]، وكان ما ساد بالعداوة المغربية في الفترة الانتقالية من دولة المرابطين إلى دولة الموحدين من فتن وحروب كثرت فيها المجاعات والاوبئة التي ذهب ضحيتها اعداد كبيرة من المغاربة سببا اخر للخروج من المغرب متجهين إلى الأندلس مبتعدين بذلك عن الموت والهلاك، واكبر هجرة للمغاربة تجاه الأندلس كانت سنة (**535 هـ \1140**م) حيث يذكر أحد المؤرخين أن في تلك السنة كان الجلاء العظيم إلى الأندلس[3].

وعند قيام دولة الموحدين لم تتوقف وفود المغاربة المتجهة إلى الأندلس، فالخلفاء الموحدون اتبعوا سياسة توطين القبائل البربرية ببعض الحواضر الاندلسية، فيوسف بن عبد المؤمن ترك في "شرق الأندلس من كل قبيلة، فأسكن زناته والعرب ببلنسية، واسكن صنهاجة وهسكورة في شاطية ومرسية ،وفي أورقة أنزل أهل تيمنل، وفي المرية اسكن برشاته وكومية"، وفي سنة(**0570هـ \1174**م)استعاد الموحدون مدينة باجة من أيدي النصارى وأعادوا إليها أهلها واسكنوا معهم جماعة من

1-مريم قاسم طويل: **مملكة غرناطة في عهد بني زيري**، ص**244**.

2 – الزجالي :**امثال العوام في الاندلس** مستخرجة من كتابه:**رى الاوام وبلوغ الحرام في نكت الخواص والعوام**، تحقيق محمد بن شريفة ،مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية.فاس المغرب، **1971**، ص **45**.

3 – ابن عذارى: **البيان المغرب**،ج**4**، ص**98** .

الموحدين، وفي سنة (611هـ \121م) ارسلت مجموعة من قبائل كومية الى الاندلس لتعزيز بذلك تواجد البربر بالأندلس امتهن البربر الذين نزلوا ببلاد الاندلس منها كثيرة منها الفلاحون وحلب البقر، وصنع السمن، والزيت، والعسل، والصوف وفي خدمة الفحم والخشب، وحراسة الدروب وهذا النوع من الحرف يدل على أنه البربر استقروا بالوادي، وأما من سكن المدن منهم فقد عمل بضفر الحلفة، وخدمة الاوعية، وصيد الطيور، وبيع السلع في الاسواق وأعمال اخرى كثيرة.

3- الصقالبة.

كان لفظ صقلبي يطلق في القرن الرابع الهجري(العاشر ميلادي) بالأندلس على الرقيق المجلوب من أوروبا وكذلك من المناطق الشمالية في إسبانيا[1]، واسم الصقالبة(**slave**) يعود إلى إحدى القبائل التي تسكن في القسم الشرقي من أوروبا، حيث تعرضت بلادهم إلى غزو جرماني متبربر، نهبوا خلالها خيرات البلاد[2].

أما عن أصولهم فتعود إلى "صقلب بن لنطي، من مار بن يافث بن نوح وإليه ترجع جميع أجناس الصقالبة"[3]، وكان أغلبهم يؤتى بهم أطفالا من حوض نهر الدانوب وبلاد الفرنجة، ويربون تربية عسكرية"ليكونوا جندا في الحرس أو الجيش"[4]، ويدربون على الخدمة في القصو، بعد إخصائهم للقيام بخدمة الحريم، وكان يقوم بهذه المهمة اليهود وهذا ما يوكده ابن حوقل"وجميع من على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان من حلب الأندلس، لأنهم عند قربهم منها يخصون ويفعل ذلك بهم تجار اليهود"[5]، وقد عرفوا بحسن الخدمة.

1-ينظرحسن يوسف دويدار: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (422-138هـ/755-1030م)**، ص51 وما بعدها.

2- خميسي بولعراس: **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، ص47-48**.

3- ابن الاثير: **اللباب في تهذيب الأنساب**، دار صادر بيروت، 1980م، ج2،ص 244- المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، المجلد الثاني، ص32.

4-حسن يوسف دويدار: المصدر السابق، ص53.

5-حسن يوسف دويدار: المصدر نفسه ، ص53.

كما اشتهروا بالشدة في الحروب، وهذا ما يؤكده ابن عبدون في معرض حديثه عن العبيد وفيما يصلحون له من شؤون"...ومن أرادهم للحرب والشجاعة فالترك والصقالبة"[1].

وأول من استكثر منهم واتخذ منهم حرسا الأمير الحكم بن هشام حيث"جلب خمسة آلاف وأطلق عليهم إسم الخرس لعجمتهم"[2]، ثم ظلت في تزايد خاصة في عهد عبد الرحمان الناصر، ووصلت"نحو ثلاثة عشر ألفا وسبعمائة وخمسين"[3].

وقد نبغ عدد كبير منهم، ووصل إلى مناصب هامة في الإدارة، والجيش وخاصة في عهد الناصر مثل: "نجدة الصقلبي قائد الجيش، والدري صاحب الشرطة، وأفلح صاحب الخيل، وخلف مدير الطراز سنة**313**هـ، وقند حاكم طليطلة سنة **336**هـ"[4].

وقد نبغ طائفة منهم في العلم والأدب إلى جانب الحرب والسياسة، وقد لعب الصقالبة دورا هاما في الحياة السياسية بالأندلس في هذا العصر حيث تدخلوا في تولية الأمراء وعزلهم وشاركوا مثل: البربر في غمار الفتن والمؤامرت التي اندلعت في قرطبة وغيرها، وكان أشهر زعمائهم فيها خيران القلبي"[5].

1- حسن يوسف دويدار: المرجع نفسه، ص**55**.

2-وأطلق عليهم أسماء أخرى مثل: الأبناء، والفتيان، والحلفاء، والعلوج، والمجابيب,... ، ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مج**4**، ص**127**.

3- حسن يوسف دويدار: المرجع السابق، ص**55**.

4- حسن يوسف دويدار: المرجع نفسه، ص**55**.

5-حسن يوسف دويدار: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، (**422-138**هـ/**755-1030**م)، ص**57**.

درب الصقالبة على أعمال القصر والحراسة والجيش وأعمال أخرى كثيرة[1] ، أما من أوكلت لهم حراسة الحريم فهم من عرغوا بالخصيان، أو الفتيان وكانوا بضاعة خاصة يتاجر بها اليهود، وهذا اللفظ أي الخصيان لم يستعمل كثيرا في قصور المسلمين، إذا ماقورن بمدى استعماله في بلاط الأباطرة الروم[2].

كان استخدام الصقالبة في الأندلس منذ أيام الحكم المرابطي[3] ، وكان عددهم كبير بها، وتعود كثرتهم الى الإقبال الكبير على اقتنائهم، وذلك لأنهم كانوا يتقنون ألوان عدة من الأعمال وفنون الأدب والموسيقى والألحان الكثيرة والرقص ، حتى قيل اللحن الصقلي ،ولوجود أبرع الشعراء والأدباء بينهم ،فقد تنافس الامراء والملوك على اقتنائهم وملأ بلاطهم بمثلهم، هذا بالنسبة للأندلس وخاصة في عهد الخلافة الأموية بها[4] أما فيما يخص المغرب غانهم كانوا قلائل، وكان أول من جلبهم إلى المنطقة هو الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، حيث اشترلا **240** فارسا روميا، وهذا دون أن نعد الجواري الموجودات في المنطقة، واللائي كان بينهم الكثير من كانت أم ولد لخليفة أو أمير[5] فعلي بن يوسف نفسه كان من جارية رومية، وقد نشا بالأندلس واكتسب الأخلاق والعادات الأندلسية.

6–الغز:

[1] – الموسوعة العربية الميسرة،مج **2**، دار الجيل، بيروت،**2001**، ط**2**، ص **1046**.

[2] – المصدر نفسه:ص 1047.

[3] – جودت الركابي :**في الادب الاندلسي**، دار المعارف، مصر ، **1960**، ص **40**.

[4] – احمد مختار العبادي :**في تاريخ المغرب والاندلس**، ص **199**.

[5] – ابن القطان: **نظم الجمان**،ص **245**.

هم جنس من الترك ،تقع بلادهم في اقصى المشرق على تخوم بلاد الصين[1] ،وقد عرفوا في المصادر العربية بالعديد من الأسماء ومنها الترك والأكراد،[2] واستعمل المشارقة الترك في جيوشهم لما عرف عنهم من باس وشكيمة ، وتميزوا بالخشونة والمظهر المروع والمخيف[3].

وقد دخل الترك الى بلاد المغرب في البداية في شكل رقيق،[4] غير ان اعدادهم لم تكن كبيرة لكن بقيام دولة المرابطين بالمغرب دخلت اعداد كبيرة من هذا الجنس في شكل جماعات غازية، وتمكن الغزي شاه ملك مع جماعة من اتباعه من دخول طرابلس والبلاد الجريدية في (**488**هـ/**1095**م)، الا ان يحي بن تميم الحمادي تمكن من هزيمته، وضم اعداد كبيرة في جيشه، وبهذا كان اول من ادخل هذا العنصر في الجيش المغربي،[5] وتبعخم في هذه العادة المرابطون الذين شكل الاغزاز جزاء من جيشهم.[6]

وفي عهد الموحدين عاد الاغزاز الى سابق عهدهم في الغزو،اذ خرج الغزي بهاء الدين قراقوش المظفري التقوى مولى تقي الدين عمر بن اخ صلاح الدين عام (**574**هـ**1179**م)،فيقول المراكشي عن ذلك"وفي ايام يعقوب ورد علينا بالمغرب اول من وردها من الغز وذلك في اخر سنة **574**هـ**1179**م ومازالو يكصرون عندنا الى

---

[1] - عمر فروخ :**معالم الأدب العربي في العصر الحديث** ،ج **1** ،دار العلم للملايين بيروت، ط**1**، **1985** ،ص **162**.

[2] - ليفي بروفنسال :**رسائل موحدية** ، ص **101**.

[3] - التادلي :**التشوف إلى رجال التصوف**، نشره وصححه، دولف فور مطبوعات إفريقية الشمالية الفنية، الرباط ، ص **349**.

[4] - عز الدين احمد موسى :**النشاط الإقتصادي**، ص **123**.

[5] - ابن ابي زرع :**الأنيس المطرب** ، ص**129-140**.

[6] - المراكشي:**المعجب** ،ص 256.

آخر أيام أبي يوسف[1] وعند نزول هذا الأخير ببلاد المغرب تحالف مع خصوم الموحدين من بني غانية واتفقا على تقسيم المغرب بينهما، إلا أن ذلك لم يتم وتمكن منهم الموحدون وضموا منه أعداد كبيرة إلى جيشهم [2]كما نقل الخليفة المنصور الكثير منهم إلى مراكش وكان الأغزاز يتيزون عن غيرهم من المغاربة بضفرهم إلى شعورهم،[3] ومع تولي الخليفة المنصور تكاثر الغز في بلاد المغرب ،وازدادت أعدادهم به، خاصة أن المنصور اتبع سياسة جسدت ذلك فقد وضفهم في الجيش وبالغ في تكريمهم حتى انه ميزهم عن باقي الجند من الموحدين فيقول :المراكشي" فأحسن نزلهم – أي الغز –و بالغ تكريمهم وجعل لهم مزية ظاهرة على الموحدين وذلك ان الموحدين يأخذون الجامكية ثلالث مرات في كل سنة، وفي كل اربع اشهر مرة. والجامكية الغز مستمرة في كل الأشهر لا تختل"[4]

وأرجع ذلك الى كون الأغزاز غرباء على المنطقة، ولا سند لهم بها غيره. وأقطعهم الكثير من الاقطاعات مثلهم في ذلك مثل الموحدين وأكبر، وحتى عندما كان هذا الخليفة يحتضراوصى بعدم قطع مرتباتهم،و كذلك بالاحسان إليهم إذ قال :كهؤلاء الأغزاز أمرنا لهم بهذه البركة يأخذونها فاتركوها على مارتبنا وربطنا،[5] وبقى عدد الأغزاز في تزايد مستمر ببلاد المغرب[6].

---

[1] - المراكشي :**المعجب** ،ص **256**.

[2] - ابتسام مرعي خلف الله: **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، 524** هـ - **936** ، **1130**- **1529**م ،دار المعارف، مصر ،**1985**.ص **151**- **152**.

[3] - ابن الاثير:**الكامل في التاريخ**،ج**9** ،ص **171**- **172**.

[4] - المراكشي :المصدر السابق، ص**289**.

[5] - المراكشي: المصدر نفسه ، ص **265**- **366**.

[6] - عز الدين عمر موسى :**الموحدون في المغرب الاسلامي**، ص **224-225**.

لم يقتصر تواجد الاغزاز بالمغرب فقط. فقد انتقلت اعداد منهم الى الاندلس، الا ان الاندلسيين كثيرا ماحطوا نت شأن الاغزاز وتعالوا عليهم في معظم الاوقات[1].

7-المولدون(Los Muladus).

يقصد بهم الجيل المولود من آباء مسلمين، سواء كانوا عربا أو بربر، وأمهات أعجميات سواء كنّ إسبانيات أو غيرذلك، ونشأ على الإسلام، بعد ما أقبل الفاتحون من العرب والبربر على مصاهرة الإسبان من أهل البلاد، فتزوجوا منهم واختلطوا بدمائهم[2].

وقد كان يشكل هذا الجيل الأغلبية، في عهد خلفاء بني أمية، وادعى بعضهم النسب العربي"كما فعل ابن حزمحيث ادعى نسبه إلى المشرق"[3]، غير أن الكثير منهم احتفظ بنسبه الإسباني ك"بني اجلين، وبني القبطرنة، وبني ردلف، وبني مردنيش، وبني غرسيه، وبني فرتون، ....إلخ"[4].

وقد أدوا دورا كبيرا في حركية المجتمع الأندلسي، بمشاركتهم في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية، وتزخر كتب التراجم والسير الأندلسية بأسماء كثيرة ك "أبي بكر بن القوطية صاحب كتاب افتتاح الأندلس"[5]، ناهيك أن جلّ أمراء الأندلس وخلفائها من هذه الفئة، وعلى سبيل المثال لا الحصر عبد الرحمان الداخل"فقد كان من أم ولد بربرية تسمى رداح، وابنه هشام من أم ولد تسمى حلل أو حوراء،

---

[1] - الزجالي: **امثال العوام في الاندلس** مستخرجة من كتابه:**رى الاوام وبلوغ الحرام في نكت الخواص والعوام**، ص **95**.

2-حسن يوسف دويدار: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي** ، ص**41**.

3-ياقوت الحموي:**معجم الأدباء**، ج**12**، ص**250**.

4- انظر ابن حيان: **المقتبس في تاريخ رجال الأندلس**، ص**16**.

5-حسن يوسف دويدار: المرجع السابق، ص**43**.

والحكم بن هشام من أم ولد تسمى مزنة، وكان هشام المؤيد بن الحكم المستنصر من أم ولد بشكنسية تدعى صبح، وغير هؤلاء كثير"[1].

رغم انصهارهم في المجتمع، وتعاليم الإسلام القاضية بالتعايش مع الأجناس الأخرى، إلا أنهم حافظوا على شخصيتهموتمركزوا في غرناطة وطليطلة وإشبيلية وقرطبة, وقد برزت فيهم الروح الانفصالية"في الحركات الثورية التي قاموا بها ضد الأمويين، وميلهم الإنفصال عن قرطبة"[2]، وكانت أكبر تجمعاتهم في طليطلة،وإشبيلية"معقل من معاقلهم، وقد عملوا في التجارة والإدارة، وكان منهم أغنياء كثيرون"[3]، كما كان لهذه الفئة أكبر الأثر والدور البالغ في نشر تعاليم الإسلام عن طريق الزواج.

8-النصارى.

أطلقت هذه التسمية وغيرها ك: "مشركين، كفرة، ملحدين، علوج، روم، عبيد ومشتقاتها "عبدان" و"عبود"، مسيحيين، ذمة ومشتقاتها أهل ذمة، وذميين ونصارى الذمة، عجم وأعاجم وعجمة، معاهدين وأهل عهد، مستعربين"[4]، على العناصر الأصلية التي استوطنت الأندلس وحافظت على دينها خلال الفتح الإسلامي.

وتوزعوا في سائر المدن الأندلسية وقد استوطنوا "غرناطة وإشبيلية، وبلنسية، والبيرة، وبطليوس، وطركونة، ومالقة، وغيرها كما لوحظ انتشارهم الواسع في

1-انظر المقري: **نفح الطيب**، ج**1**، ص**15**- **160**- عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص**11**-**38**- الضبي: **بغية الملتمس**، ص**12**-**32**.

2- حسن يوسف دويدار: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي** ،(**422**-**138**هـ/**755**-**1030**م)، ص **44**.

3- حسن يوسف دويدار: المرجع نفسه، ص**44**.

4 - عبادة كحيلة: **تاريخ النصارى في الأندلس**، القاهرة، ط**1414**،**1**هـ/**1993**م، ص77، وما بعدها.

الأرياف"[1]، فغدا النصارى جزء لايتجزأ من البلاد الأندلسية، كل ذلك بفضل الفتح الإسلامي والمعاملة الراقية من المسلمين لهم التي تنص عليها تعاليم الإسلام، فزالت كل عوامل الفرقة والتشتت والعنصرية وعقدوا مع المسلمين معاهدات بعدما كانوا مطهدين قبل الفتح الإسلامي كمعاهدة "حرية المعتقد وحماية الممتلكات"[2]، فانصهر النصارى في المجتمع الإسلامي بعدما صاروا يمتلكون ما شاءوا من الممتلكات لافرق بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات، حتى المصاهرةولعل أهم المصاهرات التي تمت بين المسلمين ونصارى الشمال "هي تلك التي ربطت الأسرة الأموية الحاكمة في قرطبة بالأسرة النافارية"[3].

فحاول الملوك كسب ودِّهم والتقرب من كبارهم كما كان منذر التجيبي الذي كان"كثير التودد إلى ملوك النصارى وقد ربطته بهم علاقات وذٌ وصداقة وثيقة"[4]، كما تجدر بنا الإشارة إلى أنالنصارى والمولدون كانوا يشكلون غالبية الزراع والصناع في الأندلس"وعمل النصارى في زراعة الأراضي التي آلت ملكيتها للمسلمين"[5]، ومن المهن التي برع فيها النصارى، واختصوا بها في مبدأ الأمر "مهنة الطب وكانت وقفا عليهم كما ذهب ابن جلجل وهذا ما جعل ابن عبدون يسخط عليهم في القرن الخامس الهجري"[6].

---

1 – ابن عذارى: **البيان المغرب**، ج**4**، ص**36**.

2 – سامية جباري: **الأزمة الأخلاقية في المجتمع الأندلسي كما صورها الأدب**–عصر ملوك الطوائف والمرابطين–،رسالة دكترا غير منشورة، كلية العلوم الإسلامية، **2006/ 2007**م، ص**80**.

3 – ذنون طه: **دراسات في حضارة الاندلس وتاريخها**، دار الكتاب الوطنية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، **2004**م، ص**159**.

4 –عبادة كحيلة: **تاريخ النصارى في الأندلس**، ص**162**.

5 – عبادة كحيلة: المرجع نفسه، ص**112**.

6 – عبادة كحيلة: المرجع نفسه، ص**112**.

وفي ظلِّ هذا التسامح تمتع النصارى بكل حقوقهم، ومارسوا شعائرهم بكل حرية، فقد أبقى المسلمون على المؤسسات النصرانية ولم يمسوها بأذى "بل ساهمت على العكس في تشييد كنائس لهم"[1]، وهذا دليل على حرية المعتقد حيث أن الله سبحانه وتعالى يقرر هذه الحقيقة في كتابه العزيز بقوله: "**لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**"بل أكثر من ذلك حيث لم تحدثنا المصادر"عن كنيسة هدِّمت أوحولت إلى مسجد إلا في حالات نادرة"[2] جدا وهي شاذة لايقاس عليها.

أطلقت على النصارى في فترة العصور الوسطى العديد من الألقاب والأسماء فقد عرفوا بالروم[3] والإفرانج[4]، المعاهدين[5] والمماليك[6] وأسماء أخرى كقيرة, وسكنت هده الطائفة بلاد المغرب والأندلس قبل مجيء المسلمين إليها . وبعد أن أصبحت المنطقة نحن سلطة المسلمين راحت أعداد النصارى من البربر تتناقص خاصة في الحواضر المفربية حتى قامت دولة المرابطين، التي بدأت معها مسيحية تلقى روافد جديدة من خارج بلاد المغرب، وتمثلت هده الروافد في أعداد كبيرة من النصارى الذين جلبوا إلى المنطقة[7] وكان ذلك على يد علي بن يوسف بن تاشفين

1 – سامية جباري:**الأزمة الأخلاقية**، ص**93**.

2 – عبادة كحيلة: **تاريخ النصارى في الأندلس**، ص**184**.

3 - ابن عذاري: **البيان المغرب** ، قسم الموحدين ، ص **31**.

4 - ابن الاثير :**الكامل في التاريخ**، ج**8**، ص**296**.

5 - ابن عداري:**البيان المغرب**،ج**4**، ص**39**.

6 - ابن خلكان:**وفيات الأعيان** ، ج**5** ، ص**51**.

7 - جمال طه احمد طه: **مدينة فاس**، ص**167**.

المرابطي الذي استقدمهم للعمل كجنود مرتزقة، وجمع عنده ما يفوق مئة واربعون فارسا ونحو الالفين العبيد[1]،الذين استخدموا كحرس خاص له[2].

أما في الأندلس فقد عرف النصارى كما سبق وأن ذكرت بالمستغربين. وقد ضمنت مدينة سرقسطة الأندلسة أعدادا كبيرة منهم، وعرفت منطقة الثغر الأعلى بكونها مدانا خصبا تلتقي فيه العناصر المسلمة والمسيحية، في جو يسوده التسامح المطلق, ومع ان الحكام المسلمين كانوا يمنحون النصارى العديد من الصلاحيات، ويهيئون لهم جوا من التسامح الديني، إلا أنهم لن يكسبوا يوما وفاءهم وتعاطفهم في أوقات الشدة، فالنصارى كانوا يغتنمون كل الفرص لمولات بني جلدتهم من النصارى، ويبذلون قصارى جهدهم في مساعدة الملوك النصارى في محاولاتهم لغزو بلاد الأندلس، من أمثلة ذلك أنهم استدعوا ألفونسوا لمحاربة ملك قشتالة وليون لغزو بلاد الأندلس، وعدوه بالإنضمام إليه ونصرته في حال تلبيته ندائهم واختراقه لبلاد المسلمين بالأندلس، وأقدم ألفونسوا المحارب على دلك في سنة(**520**هـ/**2226**م) إلا أن حملته على بلاد المسلمين لقيت فشلا ذريعا,

عند انهيار دولة المرابطين انضم مسيحيوا الجيش المرابطي الى الموحدين, حين ساعدوهم على الدخول إلى مراكش مقابل الحصول على الأمان على حياتهم[3]، وبعد ذلك استعان الموحدون بانصارى من أجل إخماد ثورة ابن هود تاماسي[4]. وفي عهد الخليفة المنصور استخدمهم في وظائف عدة فكانوا جنودا وحرسا وأسكنهم قصرا من القصور التي يمتلكها وتزايدت أعدادهم فيما بعد أيام

---

[1] - ابن عذاري: **البيان المغرب** ،ج4، ص**23**.

[2] - رضوان البارودي: **اضواء على المسيحية في المغرب في العصر الاسلامي** ، دار الفكر العربي ، القاهرة، مصر، **1990**،ص**23**.

[3] - ابن الاثير : **الكامل في التاريخ**،ج**9**،ص**204**.

[4] - ابن عذاري: **البيان المغرب** ، قسم الموحدين،ص**31**.

المنتصر (**610**هـ-**620**هـ)(**1213**م-**1222**م)إذ أصبحت جموع النصارى المنخرطين في الجيش تنقسم إلى مجموعتين,الأولى وجدت في مكناسه وكانت تحت إمرة القائد القشتالي الذي اعتنق الإسلام فيما بعد، والثانية بمراكش كانت تحت امرة إمير برتغالي[1].

وتضاعفت أعداد النصارى بالمغرب أيام المأمون، الذي يكتف بما حواه جيشه من النصارى وطلب مساعدة من دار الحرب من أجل أن يتمكن من اعتلاء عرش الخلافة[2]، وكانت مساعدتهم له مرهونة بشروط عدة منها السماح لهم ببناؤ كنيسة يزاولون فيها طقوسهم الدينية[3]، وزادهم المامون على ذلك، إذ منح لهم حق إنشاء مدارس خاصة بهم، وأصبحت لهم بالبلاد تجمعاتهم الخاصة[4]، وإعطائهم حق زيارة الأسرى المتواجدون لدى الموحدين من المسيحين، وتبدلا إجراءات التسامح والعفو التي عومل بها النصارى، سمح البابا هونوريوس **111**(سنة **626**هـ-**2339**م)بتغير لباسهم واطالة لحاهم ماداموا في المغرب، مع العلم أنهم كانوا يحلقون لحاهم وشواربهم، وترادفت رسائل الشكر لأمراء الموحدين على حسن معاملة النصارى المتواجدين في أراضيهم[5].

ومع كل الإجراءت والتسامح فإن الكنيسة التي ينبت في مراكش لم تعمر طويلا إذا هدمت في أيام حكم المأمون سنة(**630**هـ/**1232**م) إلا أن اسقفها

---

[1] - جمال طه :**الحياة الاجتماعية، ص81**.

[2] - Bel alfreid : la religion musliamn en berberie esquise d'histoire et de sociologie et relegieuses;tome1;libarire ouentale paulgen thner;paris ;1938;p259

[3] - مبارك الميلي:**تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ،ص**331**.

[4] - علي عبدالله علام: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عيد المؤمن بن علي** ،ص**242**.

[5] – مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** ، ص **331**.

بقي بمراكش إلى غاية القرن **14** م[1] معتمدة قوة من المتكوعين المسيحين الباقين بالمنطقة، محافظا على حقوقهم[2] ، ونجد أن المصادر العربية تجمع على أن أول كنيسة كانت أيام الخليفة الموحدي المنصور حيث بنى كنيسة خاصة للحرس النصراني الذي كان يحيط به نفسه[3] وقبل ذلك فإنه لم يسمح للنصارى ببناء الكنائس فكان كل نصراني يقيم طقوس دينه بحرية[4].

وقد اتسمت مرحلة ضعف للدولة الموحدية وانحلالها باستعانة الخلفاء بالعناصر الأجنبية المتمثلة في النصارى لقتال بعهم البعض ، وهذا مافعله الرشيد في صراعه مع زعيم خرب الخلط إذ استعان بالنصارى، وحرصهم على قتله[5]، وكان معظم أفراد جيشه من النصارى [6]المرتزقة، وازداد نفوذهم قوة أيام السعيد كثرت جموعهم، واصدر عذا الخليفة مرسوما يسمح للنصارى ببناء الكنائس[7]،

وفي المرحلة الأخيرة من عمر الدولة الموحدية أصبح المال هو الذي يوجه ويحكم في كسب ولاء ووفاء الجنود النصارى، إذ نجد أنهم عملوا إلى جانب كل من هو قادر على ضمان توفير المال لهم، وعند زوال دولة الموحدين انتقل من

---

[1] - Harles andree julian: histoire de L'afrique du nord (désorigines a **1930**.edition a rialages paris **1994**.**03**.farnce.p**469**.

[2] - زاهر رياض : **شمال افريقيا في العصور الوسطى** , مكتبة الانجلو المصرية,القاهرة,**1981**،ص**117**.

[3] - شرقي نوارة: **الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين،** مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في تاريخ الإسلامي الوسيط، غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، ص **77**.

[4] - الونشريسي: **المعيار** ,ج**8**,ص**58-59**.

[5] - ابن عذاري:**البيان المغرب**,القسم الموحدي,ص**242**.

[6] - الوزير السراج محمد بن محمد الأندلسي:**الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مج**2**، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، الطبعة1، **1975**، ص**137**.

[7] - محمد ماهر حمادة: **الوثائق السياسية و الادارية في الاندلس ة شمال افريقيا** , مؤسسة الرسالة,**1980**,طبعة**1**,ص**347**.

كان يعمل بالجيش الموحدي من مرتزقة نصارى إلى خدمة الدولة الجديدة التي تمكنت من التغلب على الموحدين ةالمتمثلة في دولة المرينين[1].

وكل ما سبق ذكره هو أنه تواجد النصارى وكان على الساحة السياسة فقط، والواقع أن النصارى تواجدو بالمغرب بصفات أخرى، ومنها النصرانيات اللاتي وجدن بكثرة في بلاد الموحدين وإن الكثير من الخلفاء في الدولة الموحدية كانوا أبناء أمهات روميات[2] وحتى المنصور الذي اتخذ العديد من الاجراءات الصارمة ضد أهل الذمة كانت أمه أم ولد روميه إسمها سحر[3]، وكذبك زوجة المأمون كانت من الجواري المسيحيات تدعى حبابة . وهذه الأخيرة لعبت دور هاما على الساحة السياسية . إذ كانت تسعى إلى تنصيب ابنها الرشييد خليفة للموحدين[4]، وهناك أمثلة عديدة حول المصاهرات التي كانت بين الموحدين من مختلف شرائح المجتمع والنصارى، كل هذا يفند زغم المصادر الاجنبية التي استقاضت في الحديث بنا لقيه النصارى من ضنك العيش وارذله في عهد الموحدين.

بالإضافة إلى كل ما سبق ذكره، والذي يدل على تواجد المسيحين بالمغرب خاصة في الأندلس وأنهم مارسوا حياتهم بشكل طبيعي، فإن العلاقات التجارية التي ربطت الموحدين بالإمرات المسيحية تعزز ما قلناه، فالخلفاء الموحدون

---

1 - ابن زكرياء حيى بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**.ج**1**,تحقيق عبد الحميد خاجيات,المكتبة الوطنية,الجزائر,**980**,ص**206**.

2 - Brahime harkat:la communaté chiretinne et celle d'orgine chritenne en Espagne musulmane veuspae les sources arabes : de l'occident musulimanes et loccident au moyen age; puplication de la faculte des lettres rabat;**1995**;p**206**.

3 - ابن ابي زع: **الاننيس المطرب** ,ص**97**.

4 - ابراهيم القادري بوتشيش: **اسهامات في التاريخ المغرب**,ص**104**.

يعملون وفق ما يناسب مصالحهم ويخدمها,ولهذا فاساؤتهم تلك أساءة مباشرة إلى اقتصاد الخلافة، وهذا ما لا يرغبون فيه من دون شك.

وفي الاخير نستخلص أن ما حدد وضعية النصارى في عهد الموحدين كان:

-المصالح التي تجمع الموحدين بالدول النصرانية, والتي تلزم بتوفير الحماية لرعاياها القانطين بأراضيها.

-التدخل المستمر الذي شهدته الدولة الموحدية من قبل البابوية عملا على حماية المسيحين بالمنطقة.

-وإنّ المعاهدات المبرمة بين الدويلات المسيحية و الدولة الموحدية، فرضت على الخلفاء العمل على تأمين الرعايا الأجانب ومراعاة مصالحهم[1].

لقد امتلكت الدويلات المسيحية وسيلة ضغط فعالة على الخلفاء الموحدين وهي وجود كتائب عسكرية نصرانية في الجيش الموحدي،كانت الدويلات المسيحية تهدد بسحب كتائبها العسكرية في حالة عدم توفير الأمن لهم.

9- اليهود.

تبرز الجماعة اليهودية للعيان في الأندلس في وقت مبكر من "عصر الخلافة الأندلسية التي أسسها عبد الرحمان الثالث"[2]، وكانوا جنبا إلى جنب مع النصارى وتمتعوا بحقوقهم الكاملة في ظلِّ تسامح الإسلام مع أهل الكتاب أو أهل الذمة.

وتُجمع كل المصادر على أن تاريخ دخولهم يرجع إلى سنين قبل الفتح الإسلامي[3]، وأخضعوا لمرات عديدة "لتشريعات قمعية وأكرهوا على التحول من

---

[1] - إبراهيم القادري بوتشيش : **تاريخ الغرب الإسلامي** ، ص **95** .

2 – سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس**، ج**1**، ص**303**.

3 – ينظر سامية جباري: **الأزمة الأخلاقية**، ص**97**.

دينهم"[1]، فتفرقوا في الأمصار وكلهم أمل في إيجاد مخرج من حياة الرق والعبودية، لكن الإسلام عاملهم معاملة خاصة، فقد كانت مختلفة تماما عن معاملة النصارى إذ كان النبي محمدρ يأمل في هدي اليهود إلى الإسلام ولكن رغم تألمه لرفضهم رسالته كان يراعيهم بوصفهم من أهل الكتاب،"لذا فقد أمر بالتسامح معهم شريطة دفع الجزية"[2]، لذلك ما إن علموا بخبر الفاتحين ولاحت خبر عبورهم جيش طارق بن زياد الأندلس، حتى سارعوا إلى مساندتهم ومد يد العون لهم "فدلوهم على عورات البلاد وثلمات الأسوار آملين في الخلاص ورد الاعتبار للفئة اليهودية"[3].

من هنا نشأت بين اليهود والفاتحين علاقات خاصة وقد سخر اليهود كل الإمكانيات السياسية والعسكرية لخدمة المسلمين فنشأت بينهم ثقة منقطعة النظير فكافؤوهم" باتخاذهم حرسا لما كانوا يفتحونه من بلاد وحصون وأباحوا لهم المحافظة على حريتهم الدينية وعلى عاداتهم وتقاليدهم"[4]، وقد تمركز اليهود واستقروا في كبريات المدن الأندلسية كطليطلة، وقرطبة، وغرناطة التي "دعيت بغرناطة اليهود لكثرة اليهود النازلين بها"[5]، وسكنوا جنبا إلى جنب مع المسلمين دون نشوء صراعات أو قلاقل.

واندمج اليهود في المجتمع وشغلوا مناصب راقية على عهد الطوائف كالإدارة والوزارة وشارك اليهود في الدبلوماسية بين الدول، وشغلوا منصب السفراء مشاركين

---

1 – ريموندشايندلين: اليهود في اسبانيا المسلمة، ضمن كتاب: سلمى الخضراء الجيوسي: المصدر السابق، ج**1**، ص**302**.

2 – ريموندشايندلين: اليهود في اسبانيا المسلمة، ضمن كتاب: سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس**، ج**1**، ص**302**.

3 – سامية جباري: **الأزمة الأخلاقية**، ص**97**.

4 – سامية جباري: المصدر نفسه، ص**98**.

5 – الحميري: **الروض المعطار في خبر الاقطار**، ص**45**.

بذلك في البعثات التي كان يرسلها أمراء الدولة الإسلامية إلى ملوك الدولة المجاورة مثل "سفارة ألفونسو إلى المعتمد بن عباد لأخذ الجزية منه عن ممثله اليهودي ابن شاليب الذي تطاول على المعتمد فلقي حتفه على يده"[1]، وبرعوا وأبدعوا في مهن مختلفة ك "الحرير والزجاج والمواد الصيدلانية"[2]، بينما منعوا منها في العهد المرابطي.

كما عُرفوا بتجارة الورق والرقيق "خاصة الصقالبة"[3]، مما أكسبهم ثقة ملوك الطوائف فتجمع عدد هائل من اليهود في الحقبة مدار الدراسة وشغلوا مراكز نافذة وحساسة في الدولة الإسلامية وأكبر مثال على ذلك إسماعيل بن النغريلة وكانت المصادر لا تذكره إلا مقرونا بالوزارة، وكان ابن النغريلة مثل حسداي شخصية مركزية في المجتمع اليهودي, كما كان يحمل "لقب (ناغِد) أي أمير"[4].

والجدير بالذكر أن ما تمتع به اليهود خلال عصر ملوك الطوائف من سلطة وجاه، وحرية في المعتقد والممارسة والتملك وإن شئت قلت بكل ديمقراطية –في مفهومنا الحالي– لم يكن نفس الشيء ليستمر في العصر المرابطي لاسيما بداياته كما تشير المصادر فقد دارت عليهم الدوائر في عهد يوسف بن تاشفين الذي حمل لواء الجهاد والتمكين لدين الله في الأندلس بعدما رأى تخاذل ملوكها وتفرقهم, ثم تسلط اليهود الذين أباحوا أموال المسلمين ودماءهم، وما إقدام ابن تاشفين على الجهاد إلا استجابة لآهات وأنّات الضعفاء والشيوخ والأطفال والنساء وتلبية لصرخات ونداءات العلماء والفقهاء الناقمين على حكام الطوائف الضعفاء الناقدين

---

1 – أنظر: المقري: **نفح الطيب،** ج**5**، ص**266**– ابن عذارى: **البيان المغرب،** ج**4**، ص**131**.

2– إبراهيم القادري بوتشيش: **مباحث في التاريخ الاجتماعي،** دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، **1997**م، ص**97**.

3 – عبادة كحيلة: **تاريخ النصارى في الأندلس،** ص**48**.

4–ريموندشايندلين: **اليهود في اسبانيا المسلمة،** ضمن كتاب: سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس،** ج**1**، ص**304**.

لسياساتهم لذلك خيّرهم ابن تاشفين بين الإسلام أو دفع الجزية، وهذا ما حذا بالمستشرق بروكلمان إلى أن يقول:"لما تمّ سلطان المرابطين انتهى اليهود إلى حال من العسر بالغة"[1].

وفي الأندلس فقد عاش اليهود منذ العصر القوطي، في الكثير من المدن منها طليطلة وغرناطة، وكان لهم دور في فتح الاندلس، فقد ساعدوا المسلمين في ذلك، ودلوهم على مناطق ضعف القوط الذين اذلوا اليهود واساؤوا معاملتهم[2]، ولم يعرف اليهود نسامحا غي التعامل معهم الا بعد تولي المسلمين مقاليد الحكم غي بلاد الاندلس[3]. ولكثرة اليهود بالأندلس[4] فقد اقترن اسمهم ببعض المدن، فعرفت غرناطة مثلا بغرناطة اليهود[5]، وعرفت مدينة اليسانة القريبة من حضارة قرطبة بمدينة اليهود ايضا[6] ، وقد وجد اليهود ببلاد المغرب منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وازدادت اعدادهم بالمنطقة عندما يزيد الشعور بالسوء منهم والعدائ لهم بعد غزوهم لفلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد، وكانت لهم هجرات اخرى سنة **628** م، تحديدا عندما غادر يهود خبير الجزيرة العربية عبر اليمن قاصدين المغرب، متخذين

---

1 – ريموندشايندلين: اليهود في اسبانيا المسلمة، ضمن كتاب: سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس**، ج**1**، ص**109**.

2 - عبد العزيز بن عبدالله : **المعجم التاريخي** ، مكتبة السلام ، مكتبة المعارف الرباط ، دون تاريخ طبع ، ص **78**.

3 - السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة** ، مؤسسة شباب جامعة اسكندرية ' مصر ، دزن تاريخ طبع، ص **133**.

4 - مجهول : **اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم** ، مطبخ ربذنبر مجريط ، **1867** ، ص **7** .

5 - مسعود كواتي : **اليهود في المغرب الاسلامي** من الملتقى الوطني الثاني حول : عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري و الدولة الموحدية بالجزائر **1998** ، طبعة**1** ،ص**77**.

6 - الحميري: **الروض المعطار** ، ص **23**.

من جباله مقر لهم مبتعدين بذلك عن الناس[1] وراحت، وكان يعود المنطقة من الاثرياء، وهم ما دفع المرابطين الى فرض ضرائب باهضة عليهم فالحتمع لهم منها حوالي مئة الف دينار و **13** الف دينار[2] ، ومع ذلك فقد عرف عصر هذه الدولة بالتسامح مع اليهود , وهذا ما اشادت به الكثير من المصنفات التاريخية[3] ، أما بالنسبة لفترة الموحدين فإن المراجع الغريبة وغيرها تجمع على أن أكبر وأشنع اضطهاد عاشه اليهود كان في عهد بني عبد المؤمن خلفاء الموحدين[4] لكن تتبع تاريخ هده الشريحة داخل المجتمعات وربط اأعمالها بما يدور حولها من ظروف وحوادث يدرك أن طريقة التعامل مع أهل الذمة كانت تفرضه الظروف والأحداث السائدة خاصة وأن سجل التاريخي لليهود لايخلو من الفساد، والأصح أنه ملئ بالمؤامرات وبالخيانة والدسائس والمكر..

فهذا علي بن يوسف بن تاشفين الأمير المرابطي الذي عرف عنه التسامح مع هذه الفئة تحسبا منه لما قد يصدر عنهم حرم عليهم المبيت بمدينة مراكش، ولم يسمح لهم بالهمل فيها إلا نهار ويقول الادريسي في ذلكّ "واغمات ايلان مدينة صغيرة في أسفل درن المذكور...وبها يسكن اليهود تلك البلاد وهي مدينة حسنة كثيرة الخصب كاملة النعم، وكانت اليهود لا تسكن مدينة مراكش عن أمر أميرها علي بن يوسف، ولا تدخلها لها نهارا وتنصرف عنها عشية، وليس دخولهم في النهار اليها لأمور له وخدم تختص به، ومتى عثر علة واحد منهم بات فيها استبيح

[1] - جمال احمد طه : **الحياة الاجتماعية** ، ص **74** .

[2] - ابن عذاري: **البيان المغرب** ،ج **4** ، ص **23**.

[3] - حمدي عبد المؤمن محمد حسنين: **التاريخ السياسي و الحضاري للمغرب و الاندلس في عصر المرابطين** ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ، **1997** ، ص **336**.

[4] - روبار برنسفيك : **تاريخ افريقيه في العهد الحفصي** من ق **13** الى نهاية ق **15** ، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، **1988** ،طبعة**1**، ص**430**.

ماله ودمه، فكانوا ينافرون المبيت فيها حياطه على اموالهم[1]، وتصرفه عذا لم يكن بدون سبب حيث كانت تصرفتاهم المشينة هي ما دفعه إلى ذلك ومنها أن البعض من اليهود ممن ينتحلون الطب تسببوا في موت عدد من مساعدي الدولة المرابطية وذلك بوضع السم لهم في اشربتهم [2] ،ومع هذا كله فإن اليهود في عهد المرابطين احتلة مناصب مرموقة جدا في كل هياكل الدول، منها جباية الضرائب بالأندلس وهو ما أثار المسلمين على المرابطين بها[3].

ولم يكن تذمر المسلمين على المكانة التي وصل إليها اليهود ببلادهم يقتصر على أهل الأندلس والمغرب ولكن ذلك حدث في مختلف المناطق الإاسلامية، ففي مصر مثلا وتحديدا في الخلافة الفاطمية، أبدى المصريون تذمرا وعدم رضى واستنكار حيال ذلك، خاصة عندما بدأ اليهود يتسلطون على المصريين ويتعالون عليهم ويسيئون إليهم[4].

لقد ارتبط تواجد اليهود بالمدن والحواضر ذات الأهمية التجارية التي تمر بها القوافل الذاهبة الى المشرق وأوربا وغيرها، وذلك لأنهم غالبا ما كانوا تجارا وعملوا

---

[1] - الادريسي: القارة الافريقية ، الاندلس ، مقتبس من كتاب **نزهة المشتاق** ،تحقيق اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،**1984**، ص **69** .

[2] - ابن عذارى: **البيان المغرب** ، ج**4** ، ص**67**- **77**.

[3] - السلفي:**أخبار و تراجم مستخرجة من معجم السلفي،** (ت **576**) اعدها وحققها احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، طبعة**1** ،**1963** ،ص**38**، عبروا عن ذلك بالابيات التالية:

يا اهل دنيا لقد خالفتم * حكم الشريعة والمروءة فيها

مالي اراكم تامرون بضدها * امرتم ترى نسخ الاله الدنيا

كنا نطلب لليهود بجزية * وارى اليهود بجزية يطالبون .

[4] - عبد المنعم سلطان : **المجتمع المصري في العصر الفاطمي،** دار المعارف ،مصر ،**1985** ، ص**105** .

كوسطاء بين التجار[1]، وهذا مما يفسره الثراء الفاحش الذي كانت تعيش فيه معظم أفراد هذه الشريحة.ومن الأعمال التي قاموا بها العمل في الذهب والفضة، وما يصاغ منهما، وفي الصيرفة[2]، وعملوا ،يضا بتجارة العبيد بين بلاد السودان والغرب وبلاد ،وروبا،وعملوا بتجارة الملح[3].

كما عملت بالتجارة الطبقة المترفة من اليهود أما الطبقة الوسطى فقد امتهن افرادها العديد من الحرف فنجد عندهم من احترف صناعة القناديل وزخرفة المعادن, وصناعة الحلي[4].وكذلك الخياطة ونسخ العقد والقلانسو تبطيناها وتصفيفها والحجامة, والدلالة في الأسواق وحتى بيع النعال[5]،كما قاموا بلأعمال مبتذلة وحقيرة[6] واشتغل يهود سلجامة بأعمال البناء ووجد بينهم الطبيب والمعندس و المثقف[7] ، ويقول يوسف أشباخ أنه منذ القرن الحادي عشر وضع يهود شويج القاسي قاموسا عبريا ومباحث قيمة في الإنشاء والترقيم واللغة العبرية ولم يطبع منها شيء حتى وقتنا هذا، وفي القرن الثاني عشر ازدهرت المباحث العلمية اليهودية في إسبانيا بنوع خاص[8]، وهذا أكبر دليل على أن اليهود عاشوا بالمغرب الاسلامي

---

[1] - الواجلي: **امثال العوام في الاندلس** ، ص **11- 182**.

[2] - ابو يوسف الحكيم: **الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة** ، تحقيق حسين مؤنس ،مدريد معهد الدراسات الاسلامية ،**1960** م، ص **115- 159**.

[3] - جمال احمد طه : **الحياة الاجتماعية** ، ص **159**.

[4] - التادلي: التشوف إلى رجال التصوف ،ص **259- 260**.

[5] - عبدالاحد السبتي،حليمة فرحات: **المدينة في العصر الوسيط**، قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الاسلامي،

المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، **1994** ،طبعة**1** ،ص**164**.

[6] - الحميري:**الروض المعطار** ،ص**306**.

[7] - ابراهيم القادري بوتشيش: **مباحث في التاريخ الاجتماعي** ، ص**97**.

[8] - يوسف اشباخ:**تاريخ الاندلس في عهد المرابطين و الموحدين** ، ترجمة محمد عبدالله عنان ، مؤسسة الخانجي

كباقي طبقات المجتمع، ولولا ذلك لما تمكنوا من الكتابة والبحث في ديانتهم[1] إلا أن بعض المؤرخين يمكر هذا ويذكر أن أحط فترة عاشها اليهود وأن لها اثرها السلبي على الحياة الثقافية والدينية كانت فترة حكم الموحدين أي في القرن الثاني عشر لميلاد السابع للهجري[2].

إن أغلب المصادر وحتى المراجع المتقدمة تذكر أن الموحدين عاملوا أهل الذمة بطريقة سيئة جدا، خاصة أنهم أعلنوا صراحة أن أي ديانة غير الاسلام لن تقبل على كامل المناطق التي كانت خاضعة لسلطتهم. وذلك يعود إلى أصوليتهم المتطرفة[3] فعبد المؤمن بن علي عند دخوله إلى تونس سنة (**554**هـ/**1156**م)أول عمل قام به كان عرض الإسلام في العلن على من بها من يهود ونصارى ومن امتنع منهم أهدر دمه[4]، وبسبب هذا عملت جماعة كبيرة على إعتناق الإسلام في العلن والبقاء على دينهم في الخفاء محتفظين بذلك على حياتهم ومصالحهم معا[5]. ومن بين أفراد الجالية اليهودية في تلك الفترة نجد الطبيب موسى بن ميمون الذي لم يسلم وحسب بل حفظ القران الكريم أضا . وهدا لم يمنعه من الارتداد عندما غادر بلاد

القاهرة ، **1958**، طبعة **2**، ص**499**.

[1] - حسن علي حسن:**الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس وشمال إفريقيا** ، ص **368**.

[2] - روبار برنشيفك: **تاريخ افريقيه في العهد الحفصي** من ق **13** الى نهاية ق **15**، ص**431** .

[3] - ريموند شانيدلين: **اليهود في اسبانيا المسلمة** ،ترجمة : مريم عبد الباقي ، حسن علي حسن :**الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس** ،ج**2**.

[4] - محمد عبد الله بن محمد أحمد (التيجاني) :رحلة التيجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1957م ، الرسمية، ص **347**.

[5] - عز الدين عمر موسى: **النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي** ،ص **106**.

المغرب[1] ونزوله بأرض مصر، وغادر معه الكثير من اليهود وحتى النصارى بلاد المغرب فرارا من القتل[2]، ويعود كل هذا إلى الظروف التي كانت سائدة انذاك.ويعد إرتداد اليهود إلى دينهم دليلا على إخلاصهم ووفائهم لدينهم ومعتقداتهم وعلى أن إسلامهم ليس إلا حاجة إقتضتها الظروف السياسة للبلاد، وكان هذا من الدوافع التي جعلت عبد المؤمن يرتاب منهم ويتخوف دائما من خيانتهم، خاصة وأن تلك الفترة عرفت إستمرار الصراع الدامي في الأندلس ومساندة غير المسلمين لبني عمومتهم من النصارى واليهود، وتكالب المسيحين على المشرق الإسلامي وتكاثرت حملاتهم العسكرية على المنطقة، والذي رسخ عند عبد المؤمن أن اليهود خونة ومحتالين هو تلقيه المساعدة في فتح مراكش من غير المسلمين، الذين كانوا في خدمة المرابطين ويدينون لهم بالإخلاص[3]، وفي الحقيقة فإن المصادر العربية وحتى الغربية لم يرد في طياتها ذكر الكثير من الأخبار أهل الذمة بصفة عامة في عهد الموحدين وكان أمر عبد المؤمن أول خليفة للموحدين بتخيير غير المسلمين بين الاسلام أومغادرة البلاد أو القتل عملا أخد عليه كثيرا، ومع أن المراكشي يذكر ما يلي[4]،لم تنعقد عندنا ذم ليهودي ولا نصراني منذ ثيام امر المصامدة ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة، إنما اليهود عندنا يظهرون الإسلام ويصلون في المساجد، ويقرؤون أولادهم القران جادين على ملتنا وسنة الله والله أعلم بما تكن صدوركم وتحويه بيوتهم[5]"، ويستفيض اليهود في ذكر مذبحة على حد تعبيرخم قام

---

[1] - قاسم عبد قاسم : **اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العتماني**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر,بيروت، لبنان ،**1980**،طبعة**1**،ص**15**.

[2] - محمد بحر عبد المجيد:**اليهود في الاندلس** ، المكتبة التقافية ، عدد**237**،سنة**197**،ص**88**.

[3] - حسن علي حسن : **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، عصر المرابطين والموحدين , ص **369**.

[4] - طه احمد جمال : **الحياة الاجتماعية** , ص **161** .

[5] - عبد الواحد المراكشي : **المعجب** , ص **305**.

بها عبد المؤمن بن علي عند الاستلاء على دراعة فأسالت الكثير من حبرهم، هادفين من وراء ذلك تأكيد على أن فترة حكم الموحدين كانت فترة وبال على اليهود. فاليهودي ابن عزار الشاعر كتب واسهب حول هذه المجزرة ووحشيتها حسب ما يذكر : "دمهم يسيل كالماء[1]". وركزوا على جمع عبد المؤمن ليهود مراكش، وتخيرهم بين الإسلام والالتحاق بدار الحرب أو القتل[2]. وكل هذا يدل على أن اليهود عاشوا في كنف الموحدين وقول عبد الواحد المراكشي أنه لم تتعقد ذمة ليهودي ولا لنصراني يعود إلى اعتباره تم وجود أهل الذمة وممارستهم لحياتهم الدينية يعتبر نقيضة حق الخلفاء الموحدين وخاصة في تلك الظروف التي كانت سائدة انداك، ولهذا فان أغلب المصادر الموحدية قد أغفلت الحديث على هده الطائفة ولم ترد فيها عنها إلا بعض الإشارات.

ولما جاء عهد الناصر تغير الوضع بالنسبة لليهود، إذ أن هذا الأخير كان لينا معهم بعض الشيء، وهدا ما شجع اليهود على التقرب من الناصر وأن يتوسلوا إليه ليرفع عنهم ما كان المقصود قد ألزمهم به، غير أن الناصر لم يرفع ذلك عنهم, واكتفى بتغير بسيط في كيفية اللبس فقط وأمرهم بلبس ثياب صفر وعمائم صفر[3].

وبقي اليهود في المنطقة يوزاولون نشاطاتهم التجارية وغيرها من الأنشطة، ولم يحد تفيير لباسهم ولو بشكل بسبط على ذلك، أي أنهم بقوا على دينهم وتمتعوا بالحرية الدينية، وكان الأجراء الذي اتخذه المنصور تجاهلهم ليس إلا تطبيقا للوثيقة

---

[1] - ابراهيم القادري بوتشيش: **مباحث في التاريخ الاجتماعي** , ص **105**.

[2] - ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة**، ج**5**، قدم له وعلق عليه محمد حسن شمس الدين , دار الكتب العلمية, بيروت,**1992**,طبعة**1**'ص **281**.

[3] - المراكشي: **المغرب** ، ص **304**.

التي ألزم اليهود أنفسهم بها، واندمج اليهود في أوساط المسلمين تحت سلطة الموحدين وتعاملوا معهم[1] تعاملا عاديا، ومايدل، على ذلك ما جاء في منتصف لابن سعيد المفربي من أن قاضي الجامعة أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن مروان التلمساني نزل على يهودى بتلمسان فاحتفل به وأكرمه واحضر له جميع ما قدر عليه [2]، وهناك حوادث أخرى شبيهة بهذه تثبت اندماج اليهود في المجتمع الإسلامي في عهد الموحدين.

وتخللت فترات استقرار اليهود بالمنطقة بعض الحوادث التي كانت بين الفينة والأخرى تهز استقرارهم[3] ومنها ما قام به الموحدون سنة (**630**هـ/**1232**)من قتل جماعة من أهل الذمة فيهم اليهود وسلب ماكانوا يملكون من أشياء ثمينة [4]، غير أن هذا الحدث لا يمكن اعتباره مقياسا نقيس به وضعية اليهود بالمنطقة لأنه وقع في فترة اضطراب كانت تعيشها الدولة الموحدية، وفي الأخير فإن اليهود عاشوا بمنطقة الغرب الإسلامي حياة عادية، قاموا خلالها بنشاطاتهم التجارية والعقليية بكل حرية.

رغم هذا الاختلاف والتنوع العرقي والمذهبي إلا أنه ساد المجتمع نوعا من التعايش والتسامح الديني، وذلك بفضل جملة عوامل نورد منها:

– تعاليم الإسلام الباعثة على التعايش مع الآخرين، واشاعة الرحمة وأواصر الأخوة بين أفراده.

---

[1] - جمال احمد طه: **الحياة الاجتماعية** ، ص**171**.

[2] - ابن السعيد المغربي: **الغضون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**,ابراهيم الابياري,دار المعارف,مصر,طبعة **2**، **1967**م,ص**33**.

[3] - فيليب فارج,يوسف كرباج:**المسيحيون واليهود في التاريخ الاسلامي العربي التركي**, ترجمة:بشير السباعي, سيناء للنشر , القاهرة,مصر,**1994**,طبعة**1**,ص**78**.

[4] - عبد الكريم التواتي:**مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس** , مكتبة الرتاء.الدار البيضاء , المغرب **1967**,طبعة**1**,ص**401**.

-نظرية الموحدين القائمة على توحيد المجتمع، والتي ألقت بظلالها على كل المجتمعات التي كانت خاضعة لسلطانهم ونفوذهم.

-سياسة الدولة القائمة على العدل والمساواة في الحقوق والواجبات، بين كل أفراد المجتمع، حيث كان الخلفاء الموحدون يشملون في أعطياتهم وهباتهم كافة الناس لاسيما الضعفاء والغرباء منهم حتى بلغ ما ينال الرجل من هذه الأعطيات ثلاثين دينارا[1]، وكذلك هو الشأن بالنسبة لأبناء الحكام السابقين، فقد شملهم الخلفاء الموحدين بعطاياهم وأقطعوهم الأراضي الزراعية وملكوهم المنازل والدور[2].

ثانيا: فئات المجتمع والملكيات العقارية:

أقر الفكر الإسلامي باختلاف أقدار الناس وتفاوت أحوالهم، ورتبهم فئات وشرائح حسب مراتبهم في الكسب والمعيشة وسعة المال، فكان هناك أهل السعة والأملاك من أهل السلطان ومستنفدي أهل القلم وأرباب الخطط الادارية وكبار التجار[3]، وتلى ذلك متوسطو الحال الذي قال فيهم أبو الوليد الباجي: " وأسلم الطبقات الطبقة المتوسطة لا تهتم من دعة ولا ترمق من رفعة"[4]، وهم عند الجاحظ[5]" أورع الناس أبدا وأهنأهم عيشا وآمنهم سربا" فهم قد يتشوفون إلى المزيد ولا يخافون كثيرا النقصان" وفي الدرجة الوسطى يرجو الإزدياد، وبينها وبين المخاوف حجاب [6]، وشملت هذه الطبقة فئات وشرائح العلماء وأهل القلم ومتوسطي

1 - ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص**421**، راجع أمثلة أخرى في المعجب: ص**286- 287**.

2 - عن ابن المردانيش، أنظر **المن بالإمامة**، ص**472- 473**.

3 - اخوان الصفا: **الرسائل** ،ج**1**، ص **248**، ابن رضوان: **الشهب اللامعة** ، ص**318**.

4 - وصيته لولديه ص**45**.

5 - التاج في أخلاق الملوك" المنسوب له" **156**.

6 - الباجى: **الوثائق وعللها**، ص**45**.

التجار، ومعظم هؤلاء كانت لهم أملاك زراعية عملوا فيها بأنفسهم أو أنابوا عنهم وكلاء، وتهبط الفئات والشرائح وقت الأزمات الطبيعية والسياسية والاجتماعية، والاقتصادية إلى درجة العوام، وفي هذا تغير في نسب الفئات الاجتماعية، وينتج عن هذا خطورة على المجتمع، إذ كلما زادت نسبة الفئات والشرائح المتوسطة كلما كان المجتمع أكثر تماسكا وتحضّرا.

ثم تأتي فئات وشرائح العوام، وهي تتصف بعوام الناس أو غمار الخلق [1]أو السواد، وتشمل الصناع والأجراء والخدم والعبيد والفلاحين والباعة وغيرهم[2].

1-طبقات المجتمع الأندلسي في عهد الموحدين والملكيات العقارية

إن اللافت للنظر أن كل دولة تقوم في أي مصر لا تستطيع أن تغير من التركيبة الاجتماعية، ولكنها تحاول أن تغير من طبقات المجتمع أو تعدل فيه وفق ما يخدم سياستها ويضمن استقرارها ويحقق أغراضها، فتلجأ إلى بثّ عنصر ولاء في المجتمع لتمرير أفكارها ولإنجاح مشروعهاأ وكذلك فعل الموحدون.

فهي محاولة منها إلى إعادة تشكيل المجتمع وتغيير بوصلته والقضاء على كل عناصر القوة فيه مما كان سائدا ومتعارف عليه قبل قيامها في الدولة البائدة، وهذه هي سنة الله في خلقه قال تعالى: "ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين"[3].

ودولة الموحدين لم تشذ عن القاعدة فحاولت صياغة المجتمع الأندلسي صياغة جديدة، وفق ما يوافق طموح وسياسة الدولة، فأعادت صياغة تشكيل المجتمع وفق تصنيف جديد.

1 - ابن سيده: **المخصص**، ج**1**، ص **127**.

2 - ابن عبد ربه: **العقد الفريد** ،ج**2**، ص**152**، ابن بسام: **الذخيرة** ،ج**2**،ص**777**.

3 - البقرة : الآية **251**.

هذا وقد تكون المجتمع الأندلسي في عهد الخلافة الموحدية من طبقات مختلفة ومتعددة، فكان فيه طبقة الحكام والأمراء وهي أعلى الطبقات وأرقاها، وقد انحصرت في أسرة عبد المؤمن بن علي الومي وأفراد أسرته وبنيه وأحفاده إلى أن انهارت الدولة، ثم يأتي في المرتبة الثانية خاصة الموحدين من الأعيان والأشياخ ووجهاء الدولة والعلماء والطلبة، ثم يأتي في المرتبة الأخيرة من حيث الاهتمام العمال أو مايعرفون بأصحاب المهن من العامة والدهماء والفقراء.

أ- **الطبقة الحاكمة:**

عرف نظام الحكم في البلاد الإسلامية نظام الوراثة وذلك منذ عهد معاوية بن أبي سفيان الذي استحدث هذه العادة من تحويل الملك من نظام شوري إلى ملك وسار على سنته باقي خلفاء المسلمين في المشرق والمغرب[1] ففي عهد الموحدين انحصر الحكم في أسرة عبد المؤمن بن علي وبنيه من بعده إلى أن انهارت الدولة الموحدية. وحتى وزراء عبد المؤمن وولاته كانوا من أبنائه[2]، فولى على اشبيليا ابنه أبو يعقوب يوسف[3] الذي سيخلفه بعد وفاته(**558هـ-1163م**) وبويع بعد وفاة أبي يعقوب يوسف(**580 هـ-1184م**) لابنه أبو يوسف يعقوب المنصور[4] .

وكان لقبيلة كومية مكانة خاصة في دولة الموحدين. فإليها ينتمي عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين واتخذ عبد المؤمن من افرادها بطانة له، ومنهم كان وزيره عبد السلام بن محمد الكومي[5] واستوزر ابنه عمر وبقي كذلك إلى أن مات

---

[1] - عبد الكريم عثمان: **النظام السياسي في الإسلام**، دار الإرشاد بيروت **1988**. طبعة**1**، ص**107** .

[2] - المراكشي: **المعجب**،ص**123**.

[3] - ابن العذاري: **البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص **65** .

[4] - ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب**،ص**137**.

[5] - البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت**،ص**115** .

عبد المؤمن، وبهذا فإن أسرة بني عبد المؤمن و قبيلته كومية شكلوا أهم أفراد المجتمع في عهد الموحدين ينضاف إليهم من حيث الأهمية طبقة الفقهاء والعلماء اللتين فرضتا وجودهما واحترامهما بما يمتلكانه من علم ومعرفة.

ب–العلماء:

اجتهد الخلفاء الموحدون على استجلاب أكبر عدد من الفقهاء والعلماء إلى حضرتهم مراكش. وخاصة من الأندلس التي حذق أهلها في جل الفنون العلمية منها والأدبية.والكثير من العلماء الذين نزلوا بمراكش، كان نزولهم بناء على رغبة الخلفاء في حضورهم، ومع هذا وجد الكثير منهم من هاجر إلى المغرب في أيدي النصارى الواحدة تلوى الأخرى [1]، ومنهم الفقيه يحي بن رزق من مرية الذي سكن سبتة ومات بها سنة **560**هـ / **1165**م الفقيه يحي بن الحجاج صهر الحافظ أبي العباس ابن خليل من لبلة، الذي اهتم بها المنصور، ورغبه في حضور مجلسه وأن يكون في حملة طلبته (**ت588**هـ/ **1192**م)[2] ، واستدعى المنصور الفقيه عبد الله بن سليمان بن داوود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمرو بن خلف بن حوط الله الأنصاري الحارثي من بلنسية(**ت 612 هـ/ 1215 م**) ، لتأديب أبنائه وكان قبل ذلك قد تولى قضاء مدن كثيرة بالمغرب و الأندلس، ولأنه كان مقربا ومحبوبا لدى الخليفة فقد نال دنيا وجاه عظيمين[3]، عرف من الخلفاء الموحدين حبهم لأهل العلم وإيثارهم لهم تقريبهم منهم

[1] - عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، مؤسسة الخانجي،القاهرة، الطبعة **1968،2**م، ص **648**.

[2] - ابن الزبير: **صلة الصلة**، قسم.ص **255**.

[3] - –ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ص **231**.

وكان عبد المؤمن بن علي جد المنصور قد اقتطع أرضا لأبي النجم هلال بن يونس أرضا ليعيش من حراثتها[1] وهو بهذا سيساعدهم على ضمان مدخول يقتاتون منه، ولا يتعرضون بذلك لذل السؤال. ولم يكتف الخلفاء بذلك إذ أجزلوا لهم الهبات والعطايا حتى أصبحوا من أغنى الناس فعلي بن محمد بن خليد اللخمي(**567 هـ/1171م**) ، الذي استقدمه الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى المغرب وشغله رتب عليا في الدولة نال دنيا عريضة بها[2]. وأحمد بن ابراهيم بن عبد الملك مطرق التميمي من المرية، حدث له على أيدي الخلفاء من مكارم عظيمة(ت **627 هـ/1229م**)[3] والأخوين ابن حوط عبد الله وداود اجتمع لهما من الخلفاء والولاة ما لم يجتمع لأحد قبلهما[4] . وأعطى الناصر مبلغا قدره ألف دينار لعلي بن محمد بن علي بن خروف الخضرمي النحوي من أشبيليا مكفأة له تقديمه له نسخة من كتاب " شرح كتاب سيبويه[5] .

ج–العامة:

مثلث هذه الشريحة أكبر شرائح المجتمع، وقد تسموا بالعامة لكثرة أعدادهم. وقد كانوا مختلفين عن الخاصة في أغلب الأمور، وأخبار هذه الشريحة شحيحة في المصادر التاريخية وحتى إن وردت إشارات خاصة بهم فإنها غالبا ما تذمهم وتنعتهم بأرذل الأسماء والصفات، كالأوباش والرعاع والسفهاء وحتى الأنذال،[6] وهذا يعني أن

---

[1] - الغبريني: **عنوان الدراية**، ص **169** .

[2] - ابن عبد الملك: **الذخيرة**،ق **01**،ص **304** .

[3] - ابن الآبار: **التكملة لكتاب الصلة**.ج**1** . ص **168**.

[4] - السيوطي: **طبقات الحفاظ** ،ص **492** .

[5] - عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، ص **684** .

[6] - –إبراهيم القادري بوتشيش: **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الاندلس**، ص**169** .

هذه الفئة عاشت في ظروف قاسية و صعبة و يذكر في الروض الهتون أن عوام مكناسة رفعوا شكواهم إلى الناصر، ضد الوالي أبي الربيع بن أبي عمران الذي أساء معاملتهم كثيرا[1]وكانت السلطات تفرض عليهم الضرائب الباهضة، التي لم يكن بمقدورهم دفعها، وكثر هذا في أواخر الدولة الموحدية، وبداية الاضطرابات بها، فعندما قامت الدولة وبدأت تنظم أمورها سن الخلفاء قوانين وأنظمة عادلة تضمن لها الرقي والازدهار، وتمكن العامة بذلك من العيش في كنف سلطة عادلة[2] فقد ألغى الخلفاء الموحدون كابوسا كان كاتما على أنفاس العامة، والمتمثل في ضريبة القبالة التي يفرضها المرابطون في أيامهم والتي أثقلت كاهل الرعية[3].

لم تكن الضرائب وحدها من أضر هذه الشريحة، ففترات الانتقال من دولة آفلة إلى دولة قائمة كانت وبالا عليها إذ أنه لا يتم أي انتقال، و قيام أي دولة إلا بحصاد أعداد كبيرة من هؤلاء الذين يقتلون عند حصار المدن ومحاولة اخضاعهم للنظام الجديد، فالموحدون أنفسهم قتلوا أعدادا كبيرة من الناس عند افتتاحهم المدن، فيذكر أن مدينة مكناسة بعد حصارها من الموحدين بدت خالية وظلت خالية إلا من فل من الموت قتلا وجوعا[4] ونفس الأمر حدث في الفترة الانتقالية من الموحدين إلى المرينيين فقد كان للمرينيين غارات عدة على الموحدين ذهب ضحيتها الأهالي[5]

---

[1] - ابن غازي: **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور،المطبعة الملكية، المغرب،الطبعة **3**،**1999**م، ص **12** .

[2] - إبراهيم القادري بوتشيش: **إسهامات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي لمدينة مكناسة خلال العصر الوسيط**، تقديم محمد المنوني، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، المغرب **1997**،ص **40** .

[3] - القبالة: هي من الأصل الضريبية التي تدفع لبيت المال و استعمل هذا اللفظ على الضرائب الذائدة على ما يقضي به الشرع، ودلت في المغرب و الأندلس على الضرائب التي يدفعها اهل الحرف و بائعوا السلع الرئيسية أنظر الونشريسي: **المعيار**، ج**8**،ص **202** .

[4] - ابن غازي: **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون** ، ص**27**

[5] - ابن غازي: **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون** ، ص**27**.

وكانت فترات الاضطراب التي مرت بها دولة الموحدين أشد وقعا على هذه الشريحة من المجتمع بالمقارنة مع أثرها على باقي الشرائح فالخلافات تبدأ داخل القصور، وتنتقل إلى القاعدة الشعبية، وعندما تنقسم هذه الشريحة مرغمة لينضم كل قسم منها طرف من أطراف النزاع[1]وفي هذه الظروف الصعبة التي تسودها الفوضى وعدم الاستقرار، فإن من يضحي بهم هم عامة الشعب[2].

وكان استقرار العرب الهلالية نذير شؤم على بعض المدن المغريبية إذ أن سلطة الموحدين لم تتمكن من ضبطهم وردع أعمالهم الفوضوية، وأعمال الشغب التي كانوا مداومين على القيام بها خاصة في فترة انحصار سلطتهم وتراجعها، حيث أنهم راحوا يغيرون على المدن والبوادي ويأتون على اليابس قبل الأخضر[3] وهذا ما زاد من صعوبة العيش وتعسره في أواسط الأهالي.

أما الأندلس فبحكم موقعها الجغرافي الذي جعلها مجاورة لدار الحرب – للنصارى– فان أهلها بكل طبقاتهم عانوا من غاراتهم المتكررة عليهم وعلى مدنهم، والتي تسببت في خراب ودمار كبيرين[4]، وكانت هذه الغارات أشد وطأة على الطبقات الدنيا من المجتمع، عكس طبقات المرفهين التي امتلكت دائما ما تواجه به فترات الأزمات والاضطرابات السياسية وحتى الطبيعية، من جفاف ومجاعة وغيرها، وكانت الكوارث الطبيعية من زلازل ومجاعات ذات أثر سلبي كبير على الحياة الاجتماعية بالمغرب والأندلس، إذ أثرت على كل شرائح المجتمع الغني منهم والفقير

---

[1] - الذهبي: **تاريخ الإسلام** ، ص 314 .

[2] - ابن العذارى: **البيان الموحدي**، ص **326** .

[3] - ابن عذارى : المصدر نفسه ،ص **326** .

[4] - المراكشي: **المغرب**، ص **281** .

العالم منهم والجاهل. الصغير قبل الكبير. غيير أن أثرها كانت شديدة وقاسية على الفقراء والطبقات الدنيا في المجتمع.

في تلك الفترة ضربت المغرب والأندلس مجاعات كثيرة أهلكت أعدادا كبيرة من الناس، ومنها المجاعة التي ضربت مكناسة، والتي تزامنت مع دخول الموحدين وكانت هذه المجاعة شديدة إلى درجة أن الناس اضطروا إلى أكل الخسيس من الحيوان، وحتى هذا نفذ من عندهم فمات الكثير من فرط الجوع[1].

وحدثت مجاعة أخرى سنة(**616 هـ/ 1218م**)، تعسرت جراءها الأوضاع، واشتد بلاؤها على الجميع فغلت الأسعار كثيرا و ازدادت الأمور سوءا، فبعد سنة واحدة من بدايتها بالمغرب، شملت المجاعة بلاد الاندلس أيضا وتناهى بهما غلاء السلع وقلتها إن لم نقل ندرتهما[2]، كما حدثت مجاعة أخرى سنة (**624 هـ/1226 م**) وفيها بلغ ثمن فقير القمح خمسة عشر دينار،[3] ويذكر ابن عذارى أنه " كانت في أيام الرشيد مجاعة عظيمة لم يبق شيئا إذ لم يبق سيد ولا لبد ولا طارف ولا تالد ولا ذخيرة ولا مال ولا عقار واستولت المجاعة على جمهور الناس ورأوا محنا يستعاذ بالله منها"[4] وغلت الأسعار فيها كثيرا لانعدام موارد العيش، كما اضطر العامة إلى أكل خبز بيع في الأسواق صنع من تابودا التي تنبت في الصهاريج، وفي الأنهار والسواقي وأكلوا أيضا عصائد من نوار الخروب[5]، وحتى أصول النباتات في الأيام العصيبة[6].

---

[1] - ابن الغازي: **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون** ،ص**09** .

[2] - ابن العذارى: **البيان المغرب،** قسم الموحدين ، ص **266-267** .

[3] - ابن العذارى: **المصدر نفسه،** قسم الموحدين ، ص **266-267** .

[4] - ابن العذاري : **المصدر نفسه**،ص **35** .

[5]- ابن عذارى: **المصدر نفسه،** ص **351** .

[6] - ابن الزيات: **التشوق إلى رجال التصوف،** ص **252** .

وكانت كل مجاعة تحدث إلا تحصد عددا كبيرا من الناس خاصة العامة لأن هذه الشريحة في الظروف العادية وأيام الشرف والازدهار كانت تتدبر أمورها بصعوبة شديدة. فكيف تتمكن في أيام الأزمات التي تهز حتى الفئات البرجوازية بالمجتمع.

والمجاعات التي كانت تضرب المغرب والأندلس في عهد الموحدين لم يكن سببها الطبيعة دائما فالفترة التي انتشرت فيها تلك المجاعات هي فترة حكم الخلفاء المتأخرين المستضعفين الذين كانوا منشغلين في تصفية حسابات خاصة بالسلطة وإخماد فتنها متناسين ذلك أمور الرعية ومشاكلهم[1].

وفي سنة(**651**هـ/ **1253** م) ضرب البلاد زلزال عنيف، وكان من نتائجه ذهاب أعداد كبيرة من الناس ضحايا وغالبيتهم من العامة[2]

إن هذه الشريحة من المجتمع لم تكن لتعرف حياة البذخ والترف، إلا أن أيام ازدهار الموحدين وتطورهم عادت عليهم بالخير، فقد انحصرت مشاكلهم، وكان وقع الأزمات أقل وطأة عليهم.

إن عجز هذه الفئة من الناس عن تجاوز مشاكلها كان سببا لتبنيهم الفكر الغيبي و المعتقدات الشعبية وذلك محاولة منهم نسيان واقعهم المزري والمر، وبسبب انعدام الوعي انتشرت في هذه الأواسط ممارسات بعيدة عن الشرع والدين كالسحر والشعوذة وساد الاعتقاد بالجن[3]والتبرك بالصلحاء واعتبار مكان دفنهم مزارا للتبرك

---

[1] - ابن عذارى:**البيان المغرب**، قسم الموحدين، ص **351** .

[2] - ابن عذارى: المصدر نفسه، ص **402** .

[3] - المحمودي أحمد: **المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى في العصر الوسيط من مجلة التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور**، منشورات مخبر الدراسات التاريخية و الفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة أفريل **2001**، ص **119** .

بهم والدعاء بعد موت الولي الصالح[1]وانتشرت أيضا ظاهرة التنبؤ بالغيب وأمور أخرى عديدة كانوا يتخذون منها الملجأ والمفر لنسيان الحياة التعيسة التي يعيشونها[2].

وكان أكثر المهتمين بهذه الشريحة وتقديم المساعدة لأفرادها الأولياء الصالحين والمتصوفة، فكان أبو مدين شعيب مثلا كان عند إعطائه الدروس للأطفال يتقاضى أجرا من أبناء الأغنياء ليقدمه لتلاميذه من الفقراء ، ولم يقتصر إحسانه على هذا بل تعداه إلى قيامه بخياطته لثيابهم لهم و غيرها من الأعمال[3] وباع متصوف آخر أرضه وتصدق بثمنها على المعوزين من الناس[4] وآخر كان يتصدق عليهم ما يقع بين يديه[5] وهناك أمثلة أخرى كثيرة توضح العلاقة المتينة التي ربطت بين هاتين الشريحتين.

وامتهن أفراد هذه الفئة من المجتمع العديد من المهن واحترفوا الكثير من الحرف، فكان فيهم العديد من التجار الصغار، والبناؤون، والفلاحون، والصيادون، و الرعاة، والباعة المتجولون، والدلالون، ومارسبعضهم العديد من المهن الوضيعة6.

وظهر بينهم المتسولون الذين كانوا يجتمعون بالمساجد يستجدون عطف وكرم الناس7، ومنهم من كان يقصد المنازل نفس الغرض، وللفوز بفرصة أكبر في جني

---

[1] - محمد العبدري البلنسي: **الرحلة المغربية**، تحقيق أحمد بن جدوا، كلية الآداب مطبعة البعث قسنطينة الجزائر ،ص **09** .

[2] - المحمودي أحمد: **المظاهر الذهنية لعامة المغرب الأقصى في العصر الوسيط من مجلة التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور**، ص **119** .

[3] - ابن قنفذ القسنطيني: **أنس الفقير و عز الحقير** ،ص **30** .

[4]- ابن زيات: **التشوف الى رجال التصوف**، اعتنى بتصحيحه ادولف فور، مطبوعات إفريقيا الشمالية الفنية، الرباط، **1958**م، ص **282**.

[5] - ابن مريم:**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، اعتنى بمراجعته وطبعه محمد بن أبي شنب ، الجزائر،دون تاريخ طبع ،ص **70** .

6 – إبراهيم القادري بو تشيش: **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس**، ص **170** .

7 –محمد قجة: **الشيخ محي الدين بن عربي وأثره الحضاري في حوض المتوسط**، مجلة ثقافتنا ،مج **1**. ع **2**، **2004**، ص **129**

صدقة أكبر، وآخرون كانوا يتحينون فرص لقاء المتصوفة لطلب المعونة منهم، وذلك لعلمهم أن المتصوفة لا يردون السائلين أبدا[1]، وهناك من المتسولين من اتخذ من هذه الطريقة في العيش السهل حرفة لهم، ووضعوا لها قواعد وأسس خاصة، وهذا ما جعل الناس يحتاطون منهم ولا يصدقون ادعاءهم الفقر دائما[2].

ونستنتج مما سبق ذكره أن هذه الشريحة كانت ولا تزال على مر العصور دائما كبش فداء. والمتأثر الأكبر بالتغييرات التي تطرأ على المجتمع سواء كانت سياسية أو اقتصادية وفي أي دولة كانت وفي فترات الرخاء كما في فترات الأزمات والإضطراب.

2-المساواة في توزيع الاقطاع والانتفاع به:

انتفع بالاقطاع في العهد الموحدي أغلب الفئات التي كانت تعيش ضمن اطار الدولة الموحدية أو من وفد عليها من البلدان الأخرى بالمساواة ودون تمييز، حيث كان الموحدون لا يفرقون في منح الإقطاع بين الموحدين وغيرهم من الغرباء الوافدين عليهم، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ثلاثة نماذج للتدليل على كلامنا، واخترت ثلاث فئات من المجتمع على سبيل المثال لا الحصر وهم: الخاصة من الموحدين كالأعيان والأشياخ والكبراء ووجهاء الدولة والعلماء وفقراء العامة من المجتمع، وسنرى هل كانت الدولة عادلة معهم في منح الاقطاعات أم لا؟

أ-**الخاصة من الموحدين:** كان في مقدمة المنتفعين بالاقطاع الخاصة من الموحدين من الأعيان الأشياخ والكبراء ووجهاء الدولة، فقد أقطعهم الخليفة عبد المؤمن بن علي اقطاعات واسعة من الأراضي المزروعة بشتى أنواع المحاصيل الزراعية

---

[1] - الهواري: **مناقب أبو العباس السبتي** ، ورقة 31 ب

[2] - إبراهيم التادري بوتشيش: **ظاهرة التسول في العرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، مجلة التغيرات الاجتماعية نفس العدد ص **102** .

من الأشجار المثمرة والفاكهة في مدينة الفتح التي أنشأها في جبل طارق سنة(**556هـ/1160م**).

كما خصص خلفاء الموحدين أراض واسعة لأشياخ الموحدين الكبار، فكان لكل فرد منهم عشرون فدانا لزراعتها والاستفادة منها، كما خصصو لكل فدان أسان من البقر للمساعدة في حراسة الأرض وسقي المزروعات ونقل المحصول بعد نضجه[1].

ب–العلماء: انتفع العلماء كغيرهم من فئات المجتمع الموحدي من الاقطاعات، حيث أقطعهم خلفاء الموحدين عدد من الأراضي الواسعة ذات الدخل الجيد لتحسين حياتهم وظروفهم المعيشة وتشجيعهم على طلب العلم والتفرغ له والاستزادة منه للمساهمة في بناء الدولة وتطويرها من خلال النهوض بواقعها الفكري عند تعليمهم أبما أبنائها شتى أنواع العلوم والمعارف، يأتي في مقدمة هؤلاء العلماء أبو الحسن الاشبيلي(**ت.567هـ/1171م**)[2] ، كان من علماء البلاط الموحدي البارزين، من خلال دوره المهم في تدريس طلبة الحضرة مبادئ وتعاليم الدعوة الموحدية وأهدافها فنال احترام وتقدير الخليفة عبد المؤمن الذي خصه بعدد من الاقطاعات التي كانت سببا في ثرائه ورفعة جاهه، كما حظي بتكريم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن له لمهارته في التعليم فزاده في الاعطيات والاقطاعات[3].

---

[1] - القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج**5**، ص**140**.

[2] - فقيه وحافظ ومتحققا من علم الكلام قربه عبد المؤمن وجعله شيخا للحضرة وخطيبا وأكرمه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، توفي سنة(**567هـ/1171م**)، أنظر المراكشي: **الذيل والتكملة** لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: احسان عباس، ج**5**، القسم**1**، بيروت لبنان، ص**304**.

[3] - عبد الملك بن محمد ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، الطبعة الثالثة، دار الغرب الاسلامي، بيروت– لبنان **1987**م، ص 224-225.

ج- **فقراء العامة:** لم يستثنوا من القاعدة ونالوا حظهم من الاقطاعات، فقد اقطع فقراء العامة عددا من الأراضي لزراعتها والاستفادة من خيراتها، كغيرهم من فئات المجتمع الموحدي، تنفيذا للسياسة الموحدية الرامية إلى شمول كل فئات المجتمع والمساواة في الحقوق والواجبات دون تمييز، ولقد جسد ذلك الخليفة عبد المؤمن ذلك عندما مر بقرية من قرى المغرب[1]،ونفس السياسة كانت في الأندلس.

الآثار السلبية للملكيات الزراعية

نال الجند في العهد الموحدي الإقطاعات كرواتب تجاوزا للأزمة، وتسهيلا لحياتهم ومعاشهم، إلا أن هذه الإقطاعات لم تعد بالنفع على الخلافة الموحدية في الأندلس، فما هي الآثار السلبية لهذا الإجراء.

إقطاعات الجنود في الأندلس

منح أبو الخطار الشاميين اقطاعات من الأرض الأندلسية تحت قيادة رؤسائهم، وراعى موافقة المكان مع الجند الأصلي، وكانت اماكن الاستقرار كالاتي : جند دمشق في إلبيرة، جند حمص في إشبيلية ونبله، وجند قنسرين في جيان، وجند فلسطين وزع بين شذونة والجزيرة الخضراء، وجند الأردن في رية، ووزع جند مصر بين اشكونبة وباجة وتدمير[2].

وكان هذا إقطاعا عسكريا ليكون العسكر جاهزا عند الحاجة[3]، وكان الأمراء يقصدون الألوية الغازية من هؤلاء الجند، فكان هناك لواء غازيا وآخر مقيما يستبدل كل ثلاثة أشهر، أما البلديون فتستبدل كل ستة أشهر.

---

[1] - ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب**، ج**3**، ص**57**.

2 - العذري : **نصوص عن الأندلس** ،ج**1**، ص**110**،**90** ، ابن غالب : **فرحة الانفس** (تحقيق لطفي عبد البديع ،مصر ،**1956** م) ص 283، ابن عذارى : المصدر السابق ،ج 2، ص**33** ، المقري : **نفخ الطيب**، ج**1**- ص**237** .

3 - العذري : **نصوص عن الأندلس** ،ج1، ص90- 110 ، ابن غالب :**فرحة الانفس** (تحقيق لطفي عبد البديع ،مصر ،1956 م)ص 283، ابن عذارى : **البيان المغرب**، ج2- 33 ، المقري : **نفخ الطيب ج**1- ص237.

وكانت مراتب الجند الشامي معروفة، فلواء جند دمشق ألبيرة يأتي ضمن أول الألوية في الميمنة يتبعه لواء جند حمص" أي اهل كورة إشبيلية، ومعهم جند لبلة، ويتبعهم جند قنسرين، وهم أهل كورة جيان، ثم يأتي لواء جند فلسطين، أي شذونة والجزيرة الخضراء، ثم جند الأردن في كورة رية وجند مصر وهم أهل كورة باجة[1] .

وهذا بخلاف المتطوعة فقد نفر من أهل قرطبة عدد ولم يوقف على قدره، وكان هذا العدو الذي غزا به بعد أن رفع الضريبة التي كانت على أهل قرطبة وأقاليمها، وغيرها من البلاد، وقطع عنهم الحشود التي كانو ياخذونها بتجديدها في كل سنة للصوانف لدار الحرب، وأسقطها منهم ووكلهم إلى اختيار أنفسهم في الطواعية للجهاد من غير بعث، فحسن موقع ذلك منهم، وتضاعف حمدهم وشكرهم [2].

ملكيات الجند العسكر

تكونت ملكيات العسكر عن طريق الإقطاع الإستغلالي، إلى جانب إقطاع الثغور مقابل الخدمة العسكرية، واغتصب بعض الجند جزء من الأرض، ولكن ذلك يثبت أن أشكال التملك كانت ثابتة بدليل الاغتصاب، فالاغتصاب يتم لملك الغير ،فهذا إن أثبت تجاوزات، فهو يثبت أيضا التملك[3].

---

[1] – ابن حيان: **المقتبس** ،(ت الحجي ،دار الثقافة ،بيروت 1983م) 57، العذري :**نصوص عن الاندلس** ، ص 95،الحميري : **الروض المعطار، ص** 20- 23.

[2] - ابن عذارى : **البيان المغرب**، ج2،ص109.

[3] – العباس بن ابراهيم : **الامتاع** ، ص5.

المبحث الثالث

الأبعاد الاقتصادية

تمهيد

جاءت دولة الموحدين لتطبق شرع الله عز وجل فنقمت على سابقتها الدولة المرابطية في تقصيرها في هذا الجانب خاصة في آخر أيامها في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي كبّل سكان الأندلس بجملة من الإجراءات التعسفية وكل ذلك من أجل تدارك النقص وتغطية الثغرات التي وجدت في بيت المال ففرض على أهل الأندلس ضرائب جائرة ناهيك عن الأموال الشرعية، مما شكل تذمراً وتململا من طرف الكثير من الأندلسيين لذلك ما إن لاحت بوادر الثورة الموحدية في الأفق إلا وهللو لها وباركوا مسعاها بل لم يترددوا في مبايعة الخلفاء الموحدين بالولاء والطاعة رجاء أن يحقق لهم الموحدون ما عجز عن تحقيقه المرابطون خاصة الأعباء المالية الزائدة الغير شرعية لاسيما وأن شعار الثورة الموحدية إقامة شرع الله واماتة البدع .

أولا: سياسة الموحدين الاقتصادية بعد الثورة

كان لزاما على الموحدين أن يوفّوا بشعاراتهم التي رفعوها قبل الثورة وإلا انفضّ الناس عنهم وشبهوهم بأسلافهم المرابطين.

لذلك وقع الموحدون في موقف حرج، ففي الوقت الذي كان فيه بيت المال يحتاج إلى تعدد مصادره وتجددها وتنوعها بعد الخراب الذي نتج عن الثورة، كانت أموال الموحدين شحيحة، لذلك كانوا في حاجة إلى قرار جريئ يخرجهم من مأزقهم ويفك عنهم الأزمة، خاصة أن الأنصار بعد الثورة تراهم في حالة ترقب من تقسيم الغنائم نظير المساندة والتاييد وهو:

وضع أو إعفاء الناس من الضرائب غير الشرعية وفي الوقت نفسه كان لابد من إيجاد بدائل اقتصادية عاجلة وفعالة، وإلا ستتفجر ثورة الجياع على الموحدين فتخسر كل شيئ.

لذلك كانت بحاجة ماسة إلى سياسة حكيمة قائمة على تأمين الناس وضمان أقواتهم وفي نفس الوقت إيجاد حلول سريعة وناجحة، لذلك اتخذت الدولة اجراءات تعوض بها هذا النقص:

1_ إعادة النظر في أراضي الإقطاع.

مراجعة سياسة الاقطاعات بما يتماشى وحاجيات الدولة ومتطلباتها:

العسكرية كتجهيز الجيش باعتباره القوة الضاربة التي تحمي الدولة من الأعداء.

والاقتصادية كتغطية نفقات المشاريع العمرانية التي بدأ الخلفاء الموحدون ببناءها خاصة المؤسسات التي أصبحت ضرورة في إدارة أمور العامة والاشراف عليها، وفرض الضرائب على الإقطاعات، لذلك فقد قام الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي بمراجعة الإقطاعات التي أقطعها وعمل على فرض الضرائب على بعض الأراضي وذلك من أجل توفير المال اللازم لتغطية نفقات الدولة فبدأ أول اجراءاته بمسح شامل لأراضي البلاد وألزم كل قبيلة دفع قسطها من الزرع والمال[1].

والاجتماعية من خلال تحسين الوضع المعاشي للرعية وتقديم خدمات أفضل لهم.

هذا وقد اتبعت الدولة الموحدية نظاماً آخر هو: مشاركة الدولة للملاك، فيذكر عز الدين موسى " أن الموحدين بهذا النظام-الإقطاع- عادوا إلى نظام

[1] - أكرم حسين غضبان: **الاقطاع في عهد الموحدين**، مجلة آداب البصرة،العدد **51**، **2010**م، ص**117**

الإقطاع العامرى مستعملين اصطلاحا آخر وهو الإسهام، وعلى هذا يكون للدولة حصة من دخل الأرض"[1].

2-تنظيم موارد ومصادر المخزن (بيت المال) وأثره في انتعاش الاقتصاد

1-ضبط النظام المالي: فكلما كانت المصادر المالية منظمة ومرتبة ومضبوطة، ينعكس ذلك على الحياة الاقتصادية ايجابا وتكون مستقرة ومزدهرة، ويتناسب هذا العامل طردا مع الحياة الاقتصادية.

2-جرد وإحصاء الأراضي الزراعية: فكلما كانت الأراضي الزراعية مدونة وموثقة، كانت الضرائب وجبايتها سهلة يسيرة، وكلما كانت غير مضبوطة فانه يعسر على الدولة متابعة ذلك، وهو ما يعرف في عصرنا بالتهرب الضريبي، ويكبدها خسائر بالغة.

3-تشجيع وتحفيز المستثمرين الناجحين: ومنحهم إمتيازات خاصة وتسهيلات مادية ومعنوية.

4-السياسة الضريبية: إعتماد سياسة ضريبية جديدة قائمة على شرع الله وإلغاء الضرائب الجائرة تخص الأراضي الزراعية والاقطاعات، وقد صدرت الرسائل الرسمية تعبر عن رفض الخليفة لكل أنواع الضرائب والمكوس والقبالات التي فرضها المرابطون[2]، ومن هذه الرسائل الرسالة الصادرة من تينمل في السادس عشر من ربيع الأول سنة **543**هـ وهي موجهة إلى جميع الطلبة بالأندلس ومن صحبهم من الأشياخ والأعيان وقد جاء فيها:"ولقد ذكر لنا في أمر المغارم والمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغيرها ما رأيناه أنه أعظم الكبائر جرما وإفكا وأدناها إلى تولاها

1 – عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي** ،ص 141 ومابعدها .

2 – أنظر رسالة العدل في **نظم الجمان** لابن القطان، ص **156- 158**، ومجموعة **رسائل موحدية** لمؤلف مجهول، ص**21- 22**.

رمادا وهلكا"[1] ، غير أن هذه السياسة لم تستمر طويلا إذ سرعان ما تغيرت وتبدلت سنة**555هـ/1160**م حيث فرض الخليفة عبد المؤمن بن على الخراج[2] على الأرض.

5-استحداث منصب صاحب الأعمال: نظرا لأهمية الجباية ودورها في انتعاش إقتصاد الدول حرص الموحدون على تنظيم أعمال الجباية وحفظ الأموال، فكان في ديوان الجباية كتاب في جميع جهات الولاية الواحدة يقيدون المتحصل ويضبطونه ويرفعونه إلى الخليفة فيختمه بخاتمه مما ييسر محاسبة العمال، فلا يتعدون على الناس وينهبون أموال الدولة وإن فعلوا عوقبوا[3]، وكان يطلق على من يتولى جباية الأموال اسم صاحب الأعمال عند الموحدين[4] وأحيانا أطلق عليه اسم المشرف[5] ، ويذكر ابن خلدون أن الموحدين أطلقوا على تلك الوظيفة أيضا اسم " صاحب الأشغال"[6] وقد أشار المقرى إلى تلك الوظيفة بقوله" وصاحب الأشغال الخراجية في الأندلس أعظم من الوزير، وأكثر أتباعا وأصحابا وأجدى منفعة، فإليه تميل الأعناق، ونحوه تحد الأكف، والأعمال مضبوطة بالشهود النظار، ومع هذا إن

---

1 - ابن القطان: **نظم الجمان**، ص**156- 157**.

2 - عن مسح الأراضي الزراعية ، والخراج: أنظر: ابن زرع: **الأنيس المطرب**، ص**198- 199**، السلاوي: **الاستسقاء**، ج**2**، ص**125**، يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلس**، ج**2**، ص**57- 247**.

3 - ابن سعيد: **المغرب في أخبار المغرب**،ج**2**، ص**162- 205**، ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب**، ج**4**، قسم**3**(قسم الموحدين)، ص**110**، المقري: **نفح الطيب**، ج**2**، ص**235**، ابن الأبار: **الذيل والتكملة**، ج**4**، ص**214**.

4 - البيذق: **أخبار المهدي**، ص**65- 101**، ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب**، ج**4**، قسم المحدين، ص**18**، **19**، **112**، **14**، ابن سعيد: **المغرب**، ج**1**، ص**249**، ج**2**، ص**169**، ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ص**235- 296**، المقري: **نفح الطيب**، ج**2**، ص**235- 236**.

5 - المن بالإمامة: **ابن صاحب الصلاة، ص457**.

6 - ابن خلدون : **العبر**، ج**1**، ص**245**.

تأثلت حالته واغتر بكثرة البناء والإكتساب نكب وصودر، وهذا راجع إلى تقلب الأحوال وكيفية السلطان"[1] .

ومن عمال الجباية الذين تولوا الإشراف على الأموال وجباياتهم في إقليم غرناطة في العصر المرابطي، عيسى بن الوكيل[2] ومحمد بن سعيد الغرناطى[3] وعبد الملك بن سعيد الغرناطي[4] يقول ابن سعيد : " وكان مقدما عند يحيى بن غانية في مدة الملثمين، ثم ولاه بنو عبد المؤمن أعمال أشبيلية وغرناطة وسلا"[5] وفي مدينة تولى أعمال الجباية يزيد ابن طبقلاب[6]، وقد تولى أعمال المرية في عهد المنصور الموحدى.

أما في عهد الناصر فقد تولى محمد بن عبد الرحمان الغرناطي أعمال الجباية من غرناطة[7]، أما مدينة مالقة فقد تولى أعمال الجباية فيها في عهد الناصر الفقيه أبو عامر محمد بن حسون[8] وأبو علي بن يبقى[9].

---

1 - المقري: **نفح الطيب** ،ج**1**،ص**217**.

2 - الحميري: **الروض المعطار**، ص**197**.

3 - يذكر ابن سعيد أنه كان صاحب أعمال غرناطة في مدة الملثيمين ،انظر عنه المقرى : **نفح الطيب** ،ج**3**، ص**61** .

4 - المقري: **نفح الطيب** ،ج**2**، ص**337**، يذكر المقرى أنه كان وزيرا جليلا بعيد الصيت عالي الذكر رفيع الهمة كثير الأموال، انظر: المقرى: المصدر السابق ،ج**2**، ص**335- 337** .

5 - ابن سعيد : **المغرب**، ج**2**، ص**163**.

6 - ابن سعيد : المصدر نفسه ، ج**2**، ص**206**.

7 - ابن الخطيب : **الإحاطة** (مخطوط الرباط رقم **2704**ك) ورقة **65**.

8 - عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة**، لكتاب الموصول والصلة السفر الرابع تحقيق إحسان عباس ص**214**.

9 - ابن سعيد : **المغرب**، ج**1**، ص**249**.

وقد كانت هذه الأموال تجبى سنوياً، فقد أشار ابن خلكان والنوبرى إلى أن جباة الأموال كانوا يصعدون إلى الجبل كل عام لجباية الأموال[1].

6-محاربة الفساد الإداري: من خلال تشديد عبد المؤمن على الجباة، الذين يجمعون الخراج، بعد اكتشافه لبعض مظاهر الفساد المالي في البلاد، فبعض الجباة والعمال كانوا يفرضون على الناس المغارم والمكوس ويدّعون أنها للمخزن وقد تعرض التجار للضرائب الباهضة من قبل عمال الجباية الذين كانوا يدّعون أنها تخص الدولة، حيث جاء ذلك صريحا للخليفة بقوله:"وإن من ذلك الرأي الزميم والسعي المنقوم ما ذكر لنا في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم......ينسب إليهم قوم من هولاء الظلمة الدخلاء، الذين يضعون الغش فيما يوهمون به النصيحة ويستنبطون المكر في تصرفاتهم القبيحة، فيقولون للرجل منهم عندك من حقوق الله كيت وكيت وإن للمخزن جميع ما به أتيت ويقرنون بهذا من الوعيد والإغلاظ الشديد ما يرضى له المذكور بالخروج عن جملة ماله، ويعتقد السلامة من ذلك الظالم الغاصب أعظم منا له وإنها لداهية عاقرة قصمة للظهر فاقرة"[2]

غير أن هذه النقطة-الخراج- ربما شكلت حرجا للخلافة الموحدية مع أنصارها ومن أيدها في ثورتها، فكأني بهم ندموا على ثورتهم ضد المرابطين ذلك أن أساس الثورة كان رفضا لهذه الضرائب الجائرة المخالفة لشرع الله، وشكلت هذه الضرائب محل انتقاد الكثير من الباحثين المؤيدين للدولة المرابطية، غير أن المراكشي يقول أن الخراج لن يفرض في عهد عبد المؤمن بن علي، بل كان مفروضا منذ عصر المرابطين في أيام علي بن يوسف بن تاشفين[3]، والجدير بالذكر أن الخليفة عبد

1 - ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج**4**، ص**142**، ، النويرى: **نهاية الأرب مخطوط**، ج**22**، ص**85**، مطبوع ج**24**، ص**282** تحقيق حسين نصار.

2 - ابن القطان : **نظم الجمان**، ص**157**، **158**.

3 - عبد الواحد المراكشي: **المعجب في أخبار المغرب**، ص**241**.

المؤمن بن علي لم يتخذ هذه الاجراءات إلا بعد أن استقرت الأوضاع في البلاد وصار في موضع القوة بلا منازع بحيث يفرض ما شاء من أنواع الضرائب، ولذا لم يتخذ هذه الخطوة إلا بعد سقوط دولة المرابطين بأربعة عشر عاما[1] سنة **555**هـ/**1660**م، ومن هذا التاريخ أصبح الخراج إجراء ثابتا وتقليدا قارا وقاعدة سار عليها خلفاء الموحدين من بعده وأصبح من المصادر الثابتة لجباية الأموال مثل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن[2] "كان جماعا مناعا ضابطا لخراج مملكته"[3] وكذلك الخليفة المنصور الذي سار على نفس سياسة أبيه وجده في جباية الأموال[4].

ومهما قيل عن شرعية هذا الخراج أو عدمها إلا أنه كانت تفرضه ضرورات المصلحة ومتطلبات الواقع، خاصة مع اتساع الدولة وزيادة نفقاتها، فقد تحتاج إليه لسد الكثير من العجز الذي قد يصيب بيت المال.

رغم هذه الاجراءات التنظيمية إلا أن الدولة الموحدية لم تكن بدعا من الدول فقد تأثر بيت مالها وخزانتها المالية بحالات الحرب والسلم، فكيف كان ذلك؟ وما هي الاجراءات التي اتخذتها حيال ذلك، وكيف استغلت تلك الوفرة المالية.

3-تأثر خزانة الدولة أو بيت المال بحالة السلم والحرب:

أ-حالة السلم: تكون الاوضاع مستقرة والدول عامرة، والخير وفيرا، والأمن منتشرا والدولة باسطة نفوذها على كل الأقاليم والأراضي. وينعكس ذلك سلبا أو إيجابا على السياسة المالية للدولة خاصة في العهود المتقدمة لدولة الموحدين حيث لم ينتهج خلفاء ابن تومرت نفس السياسة التي انتهجها قائدهم الروحي حين أستتب

1 - حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**،ص **197- 198**.

2 - ابن خلكان : **وفيات الأعيان**، ج**6**، ص**130**.

3 - ابن خلكان : **المصدر نفسه**، ج**6**، ص**130**.

4 - ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج**9**، ص**190**.

لهم الأمر واستقرت الأوضاع، بل كان لزاما عليهم أن يفكروا في نظم ووسائل تضمن لهم الإستقرار وتهييئ لهم الظروف لدوام حكمهم وللقضاء على أسباب أي ثورة يمكن أن تقوم فعدلو نظرتهم إلى ملكية الأرض سواء كانت أراضي الدولة أو أراض ذات ملكية خاصة، ونلمس هذا التغيير في عهود الخلفاء الأربعة الأوائل لدولة الموحدين وهم: الخليفة عبد المؤمن بن علي(**558-524هـ/1129**-1162م)، وابنه ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(**580-558هـ/1162-1184م**)، والخليفة يعقوب المنصور(**595-580هـ/1184-1198م**)، والخليفة محمد الناصر(**595-610هـ/1198-1213م**) وذلك أن عهود هؤلاء الخلفاء كانت تمثل بداية نشوء التنظيمات الاقتصادية وتطورها، إضافة إلى أن فترات حكمهم شهدت نوعا من الإستقرار السياسي، وتحسن في الأوضاع العامة للرعية وما رافقها من انتعاش اقتصادي وتقدم حضاري في ربوع الغرب الاسلامي، وقد مثلت فترات حكم هؤلاء الخلفاء العصر الذهبي للدولة الموحدية، حيث اكتملت في عهودهم معظم التشريعات والقوانين لاسيما الاقتصادية منها على عكس فترات حكم الخلفاء الذين جاءوا بعدهم والتي حملت في طياتها بوادر الضعف والانحلال[1].

فانعكس ذلك ايجابا على الدولة، حيث سخر العديد من الخلفاء ووجه هذه الأموال إلى التعمير والتشييد، فقد شيد الموحدون مدنا جديدة كرباط الفتح وأخرى جددوها وأعادوا ما تهدم منها كقرطبة زمن المنصور[2]، وشيدوا مساجد كبيرة مثل مسجد إشبيلية، وبنوا مساكن كثيرة لموظفي الدولة حيث يقدر المقري دور الموظفين في قرطبة في أيام الموحدين بستة آلاف وثلاثمائة دار[3]، وكان يوسف من أشهر

[1] - أكرم حسين غضبان: **الاقطاع في عهد الموحدين**، مجلة آداب البصرة،العدد **51**، **2010**م، ص**115**.

2 - عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص**265**.

3 - المقري: **نفح الطيب**، ج**4**، ص **315**.

الخلفاء الذين أنفقوا على البناء من مال المخزن[1]، وكان المنصور أكثر الخلفاء شغفا بالبناء[2]، وكان أكثر ما أنفقه على أعماله من مال الدولة لاسيما من أخماس غنائم الروم يوم الأرك[3]، وكان الخلفاء ينفقون على تعمير البلاد بعد خرابها في فتنة أو ثورة، وذلك ما فعله الناصر عندما أنفق ما قيمته "مائة وعشرون حملا من الذهب"[4] في اصلاح ما أفسده بنو غانية في افريقية.

ب–حالة الحرب: والثورات والإضطرابات تفقد الدولة سيطرتها على الأقاليم وليس ذلك فحسب بل قد تهدد مواردها الثابتة، فينعكس ذلك سلبا على اقتصاد الدولة، فترخس الأسعار والسلع والدور، حيث وجهت أفكار ابن تومرت الموحدين لامتلاك أراضي المخالفين، وكفر ابن تومرت كل من لم يؤمن بأفكاره، فأحل دمه وماله واسترقاق نسائه وأطفاله[5]، خاصة أمراء المرابطين والفقهاء المالكيين المتعاونين معهم[6]، يقول المراكشي:"ولما كانت سنة**517**ه جهز(يقصد المهدي بن تومرت) جيشا عظيما من المصامدة جلهم من أهل تينمل، مع من انضاف إليهم من أهل السوس، وقال لهم: اقصدو هؤلاء المارقين المبدلين الذين تسمو بالمرابطين، فادعوهم

---

1 – ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص**485**.

2 – عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص**292**.

3 – ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص**152**.

4 عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص**318**، **نهاية الأرب**، ص**230**.

5 - محمد بن تومرت مهدي الموحدين: **أعز ما يطلب**، تقديم وتحقيق عمار طالبي، عن وزارة الثقافة الجزائرية، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، **2007**م، ص **245- 250- 261- 276**. **روض القرطاس**: ص**114**، **المعجب**: ص**195**.

6 - المهدي بن تومرت: المصدر نفسه، ص**258- 262- 290- 296**. ابن القطان المراكشي: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق، محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، **1410**هـ/**1990**م، ص**42- 46- 85**. ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج**3**، ص **68**،نزه الادريسي أبي عبد الله: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** – صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، تحقيق: دوزي ودي خويه، ليدن**1866**م، ص**68**، المراكشي: **المعجب**، ص**260**.

إلى إماتة المنكر، وإحياء المعروف، وإزالة البدع، والاقرار بالإمام المهدي المعصوم، فإن أجابوكم فهم إخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن لم يفعلوا فقاتلوهم فقد أباحت السنة قتالهم"[1] وقسم ابن تومرت أموال المخالفين أو المنكرين بعد تخميسها على الموحدين[2]، يقول ابن القطان في معرض حديثه عن حروب الموحدين ضد مخالفيهم:"فقتل منهم في ذلك اليوم نحو خمسة عشر ألفا، وقتل من ذلك القبيل كل من حضر في ذلك اليوم بتينمل وسبى حريمهم وغنمت أموالهم فقم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه وأصفى ديارها جوائز، جوائز لكل قبيلة"[3]، واتبع عبد المؤمن نفس السياسة لما فتح البلاد المغربية[4]، هذا في طور الثورة والحرب.

ثانيا: الأوقاف ودورها الاقتصادي.

شرعت الأوقاف لتؤدي دورا مهما لا غنى عنه، ولتقدم مساعدات وخدمات سواء اقتصادية أو اجتماعية على أساس صفتها الدينية التي تمثلت في أنها صدقة محرمة لا تباع ولاتوهب ولا تورث أبدا، في ذلك حكمها حكم سائر الصدقات ،والمعروف أن تصرفات الأفراد تقوم على أساس النية الصادقة.

وأعتبر الوقف من أعظم المؤسسات "المدنية" التي أسهمت بشكل كبير في تعمير البلاد الإسلامية، وتحسين ظروف عيش الناس وتنمية مستوياتهم العلمية ورعاية أحوالهم الصحية. وقد شكل أيضا وسيلة فعالة لإشاعة ثقافة الخير والقيام بأعمال البر والإحسان التي حث الدين الإسلامي عليها ورغب فيها بإعتبارها من

1 - المراكشي: **المعجب**، ص**260**.

2 - ابن كثير:**الكامل في التاريخ**، اعتنى به أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، دون تاريخ طبع ، السعودية ، ج**10**، ص **572-573**، **نظم الجمان**: **94**، **البيان المغرب**: ج**4**،ص **69**، **نهاية الأرب**: ص**191**.

3 - ابن القطان: **نظم الجمان**، ص**93**.

4 - ابن ابي زرع : **الأنيس المطرب**، ص**186-187**.

الصدقات الجارية التي يؤجر عليها صاحبها في حياته وبعد مماته. وقد سارع المسلمون إلى التنازل عن أملاكهم وتوقيفها على أبواب الخير المختلفة، رغبة منهم في تزكية النفس، والقيام بفروض الطاعة، وتوجيه الهمة للدار الآخرة وثوابها، وشكر المنعم المتفضل ونيل رضاه سبحانه وتعالى .

ومن المعلوم أن الجهد الشعبي والرسمي أسهما في تعزيز مؤسسة الوقف بالتكثير من أصولها والرفع من مواردها مما كان له الأثر المباشر في تماسك مكونات المجتمع وتحقيق شبكة من العلاقات الاجتماعية تغطي دوائر مختلفة ومستويات متباينة بدءا من دائرة الأسرة من خلال الوقف المعقب ووصولا إلى دائرة الأمة من خلال الوقف الموجه لخدمة أبناء الأمة ككل. وتعكس هذه الأنواع من الأوقاف مدى أهمية الصدقات الجارية في تعزيز الأواصر بين الأفراد سواء على مستوى الحي أو الجهة أو البلد والأمة، ولهذا شكل الوقف قاعدة صلبة من قواعد بناء المجتمع ودعامة أساسية في تحصينه من آفات الفقر والخصاصة والجهل والمرض وغيرها .

1-غياب الأحباس كمصدر مهم لبيت المال في سياسة الموحدين الاقتصادية.

قال محمد ابن مزين "حين تم افتتاح المسلمين الأندلس قسمها موسى ابن نصير البكري التابعي بين الجيوش الذين دخلوها كما قسم بينهم سبيها وسائر مغانمها، وأخرج من أراضيها ورباعها الخمس كما أخرجه من سبيها ومتاعها واختار من خيار السبي وصغاره مائة ألف وحملهم إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وترك سائر الخمس من كل وسبي ووخش الرقيق في الخمس من الأرضين يعمرون بالأخماس وأولادهم بنو الأخماس، وقال: أما سائر الناس النصارى الذين كانوا في المعاقل المنيعة والجبال الشامخة فأخرجهم موسى بن نصير على أموالها ودينهم بأداء الجزية، وهم الذين بقوا على ما خير من أموالهم من أرض الشمال لأنهم صالحوا على

جزء منها مع أداء الجزية، في سبيل أرض التمر وأرض الزرع على مافعله خير من افتدى به الرسول ρ يهود خيبر في نخيلهم وأرضهم..."[1]

وهي عبارة يفهم منها أن موسى بن نصير اعتبر الأندلس ماعدا نواحي الشمال قد فتحت عنوة، فأخذ خمسها لبيت المال ووضع الباقي بين الفاتحين وأما من فتح صلحا فقد تركه بيد أصحابه على أن يؤدي الجزية، فقال بعض السلف بأرض الأندلس أن أكثرها إنما فتح صلحا إلا الأقل من المواضيع المعروفة[2]، وفي أيام سليمان بن عبد الملك أشهد على جماعة من وجوه إفريقيا وأقطع الواردين إقطاعات غيرها[3].

أما من استقر من العرب في الريف في بعض نواحي الشمال فالأغلب أنهم نزلوا مواضع لم تكن مأهولة أو في أرض المواقي التي حددها أبو يوسف في ما سيظل بسواد العراق بقوله:" أصفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عشرة أصناف، أرض من قتل في الحرب وأرض من هرب وكل أرض كانت لكسرى، وكل أرض كانت لأحد من أهله، وكل مغيض ماء وكل دير بريد"[4]، وبطبيعة الحال فنحن فيما يتصل بالأندلس أملاك الملوك وأهل بيتهم، وأن العشر كان هو القاعدة السارية عاى من تملك الأرض من البلديين والبربر[5]. ولا شك أن الحياة الاقتصادية أثرها البالغ في الحياة الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات، فمن قواعد الاجتماع والعمران

[1] - نقلها مؤنس:**فجر الأندلس**،ص**624**.

[2] - مؤنس :المصدر نفسه،ص**626**.

[3] - مؤنس :المصدر نفسه،ص**627**.

[4] - ابو عبيدة القاسم بن سلام :**كتاب الأموال**، تحقيق:محمد عماري،دار الشروق،بيروت،**1989**م،حديث**697**،طبعة**1**،ص**375**.

[5] - جاء في بيان الخراج ليحي بن ادم ''اخبرنا اسماعيل،حدصنا الحسن قال:حدثنا يحي،قال حدثنا قيس عن برد ابي:جمل رزق هذه الامة في سنابك ضلها،وازحة رماحها مالم يزرعوا فاذا ازرعوا العلاء بن مكحول،قال:قال رسول كانوا من الناس''راجع التفاصيل:يحي بن ادم القرشي:**كتاب الخراج**،تحقيق احمد محمد شاكر،القاهرة،**1918**م، ص**80-81**.مؤنس:**فجر الاندلس**،ص**635**.

المقررة أنه اذا كثرت الأموال في أيدي الناس فإنهم يتوسعون في الإنفاق وينعمون بالعيش بصفة دائمة .

وتسهم نصوص الفتاوى بتقديم معلومات عن حكم أرض الأندلس وهل أفتتحت صلحا أم عنوة، ويأتي في طليعة هذه النصوص نص عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس الذي يشير أن أكثر البلاد الأندلسية أفتتح عنوة، ولكن نصوصا أخرى ترجع بالمسألة إلى عدم إمكانية الجزم القاطع من ذلك ماورد في جواب القاضي عياض قاضي المرابطين في سبتة والأندلس على أحد مسائل أحباس النصارى في الأندلس الذي يشير: "... أن الفقهاء أصحاب التاريخ والخبر يذكرون أن الأندلس منها عنوة ومنها صلح،وأكثر أموال المعاهدين إنما هي فيما دعي أنه عنوة، لكن أقول أن هؤلاء النصارى لما أشكل الأمر فيهم، وفيما وجدنا بأيديهم من الأموال وجب كون ما بأيديهم من الأموال بحكم وضع اليد وصحة الحوز الذي لم يجد مايزيله ولا قامت حجة تبطله"[1] .

وقد وضع الأمويون أساس النظام المالي في الأندلس، وكان يتألف من الخزانة العامة وإدارة بيت المال، وإدارة خاصة بالأمير أو الخليفة وكان يشرف على الخزانة العامة أحد كبار الموظفين، ويسمى خازن المال وتودع فيها الأموال التي تجرد من المدن والقرى، ومن أهم هذه الأموال الزكاة والتي يموت أصحابها دون أن يتركوا وريثا

[1] - بلغيث،**الحياة الفكرية بالاندلس**،ص**543**.

والضرائب المفروضة على الأسواق[1] بالإضافة إلى الموارد الأخرى من خراج[2] وجزية[3] وعشور[4] والفيء والغنيمة[5]والزكاة[6]،تحقيقا للمصلحة العامة[7].

أما موارد بيت المال، كما كان يسمى في الأندلس فقد اقتصرت على مايرد عليه من الأحباس، وكان مقر هذا الديوان المسجد الكبير بقرطبة يقوم هذا الديوان على صيانة المنشآت الدينية ودفع رواتب موظفي المساجد، وتوزيع الصدقات والإشراف عليها عن طريق قاضي القضاة ونوابه في الأقاليم برعاية الخليفة[8]، ويشبه هذا الديوان وزارة الأحباس والشؤون الاجتماعية.

وأما موارد الأمير والخليفة فكان يشرف عليها صاحب المدينة[9]، وقد استمر هذا النظام القائم على موارد بيت المال، حتى استولى المرابطون واتبعوا نظاما يقوم على قواعد الإسلام الأساسية وهي الزكاة،كما شكلت المصادرات مصدرا هاما من مصادر الدخل المالي، وكثيرا ما لجأ الولاة والأمراء من المرابطين، إلى سياسة مصادرة أموال عمالهم وجباتهم نتيجة التقصير في المعارك الحربية ضد النصرى أو الإخلال

---

1 - ابراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي و الإجتماعي** ،ج**4**،ص**342**.

2 - الخراج:مقدارمعين من المال او المحصول يفرض على الارض التي فتحها المسلمون.

3 - الجزية:مبلغ من المال يدفعه اهل الذمة وهي تسقط بالاسلام خلاف الخراج.

4 - العشور:الاموال التي تجي من التجار الاجانب(10/1)قيمة البضائع.

5 - الفيء والغنيمة:هو كل ماوصل المسلمين من اعدائهم دون قتال .انظر:علي الجارم،قصة العرب في اسبانيا،دار المعارف،مصر،(د.ت). ص **38-39**.عبد العزيز سالم:**محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية** ،مؤسسة شباب الجامعة،مصر،**1997**م،ص**76** .

6 - الزكاة:وهي ان يؤخذ من اموال اغنياء المسلمين ويرد على فقرائهم.

7 - محمد عابد الجابري: **الديمقراطية وحقوق الانسان**،(المستقبل العربي) العدد**257**،جويلية **2000**م،ص **250** .

8 - ابراهيم حسن: المصدر السابق،ج**4**،ص**342** .

9 - مؤنس: **فجر الأندلس**،ص**493**.Dafonson civilatis صاحب المدينة:حاكم خاص للمدينة

بواجبهم أو التطاول على أموال المسلمين وجورهم للرعية، ففي عهد علي بن يوسف تم مصادرة أموال الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين وحاشيته وذلك لتقصيره في المواقعة التي لقي فيها الجيش المرابطي الهزيمة أمام الفونسو المحارب سنة **514ه/1120م**.

كما أنه في عهده صودرت أحباس أهل الذمة بغرناطة وبيعت الأحباس الموقوفة على الكنائس وذلك نتيجة لنقضهم عهد المسلمين وتقديمهم المساعدة لألفونسو الأول المحارب ببلدة آرغونة أثناء غارته التخريبية على جنوب شرق الأندلس سنة**519ه./1125م**.[1]

فلما اشتدت شوكة النصارى الشيء الذي أجبر علي بن يوسف على مضاعفة النفقات العسكرية، كما أن الخطر الموحدي زاد الطين بلة، إذ إشتدت الحاجة إلى بناء الحصون والأسوار وهي مشاريع مكلفة جدا، ينضاف إلى ذلك الخسائر الجسيمة التي نجمت عن تدهور الزراعات بسبب الاعتداءات المتكررة للقوى النصرانية وعملائها مما أدى الى مصادرة أموال وأملاك الأحباس لدرء الخطر المهدوي، وأيضا عن طريق فرض مغارم غير شرعية، واستقدم الجباة لاستتراف الأغلبية ورغم ذلك فإن كل القرائن تقول أن القاعدة المالية التي قامت عليها الدولة المرابطية، قد انعدمت وبالتالي تفسر التراجع الذي بدا ينخرها[2]، إلا أن أهل الأندلس قد ثاروا على الحكم المرابطي القائم على جمع الأموال فإضطر أبو الطاهر (أحد قادة علي بن يوسف) أن يقمع هذه الثورة إلى أن جاء علي بن يوسف وقضى عليها نهائيا.

---

[1] - ابن عذارى:**البيان المعرب**،ج1،ص**69**، الونشريسي: **المعيار المعرب**،ج**8**،ص39. مؤنس:**فجر الأندلس**،ص**527**. كمال السيد ابو مصطفى:**تاريخ الاندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين**،مركز الاسكندرية للكتاب،القاهرة،دون تاريخ طبع ،ص **272-273**.

[2] - بوتشيش:**المغرب والاندلس في عصر المرابطين**،المجتمع،الذهنيات،الاولياء،دار الطليعة،بيروت،1993م،طبعة**2**،ص**18**.

وكانت مثل هذه الثورات من العوامل الهامة التي جعلت الأندلسين يرقبون الحكم الموحدي ليتخلصوا من وطأة الضرائب التي اشتط العمال في جمعها على أيدي اليهود الذين اشتهروا آنذاك في الشؤون المالية[1]. ولهذا حرص الموحدون على إسناد مهمة الإشراف على الأحباس للفقهاء الموثوقين بأمانتهم ونزاهتهم[2].

لكن الملاحظ أن اهتمام الدولة الموحدية بهذا الجانب كان ضعيفا إن لم نقل معدوما، حيث يؤكد عز الدين أحمد موسى: إنتقاد ابن سعيد لدول الغرب الإسلامي سواء كان المرابطين أو الموحدين في ضعفها في هذا الجانب وعدم اهتمامها به رغم أهميته الاقتصادية ودوره الأساسي في توفير الثروة[3]، ومما زاد في تعقيد المسألة، إلحاق هذه الأحباس بالمخزن[4]، وهو ما حرم الدولة موردا ماليا قارا لا يزول ولا يحول، وهو يشكل في نظري تقصير كبير ونظرة قاصرة من دولة عُرفت بتطور نظمها الادارية وتنوع وتعدد مصادر مالها، لما للأوقاف من أهمية على الدولة والمجتمع.

فهذا الأمر قد يكون أثر سلبيا على سياسة الدولة المالية ويعود بالضرر على توازن اقتصادها.

---

[1] - ابراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي و الإجتماعي**، ج.**4**، دار الجيل ، بيروت، لبنان ،ص **342**،حسن محمود: **قيام دولة المرابطين**، صفحة مشرفة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، دار الكتاب الحديث ،مصر، طبعة 2، 1996م ، ص **358-359**.

[2] - ابن الابار:**الحلة السيراء**، ج**1**،تحقيق،حسن مؤنس،الشركة العربية للنشر والطباعة ،**1963م**،ص**161**.

3 – عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي**، ص**154**.

4 – عز الدين أحمد موسى: المرجع نفسه، ص**156**.

ولهذا فالأوقاف (الأحباس) هي من موارد بيت المال التي لا متولي لها وذلك على شرط واقفه فيها اذا عرفت هذه الشروط [1] فالقوانين وتلك الشروط هي التي كونت مجتمعا ثم انهارت، ثبت بأنه لا يمكن قيام ذلك المجتمع من جديد إلا على أساس تلك الشروط والقوانين[2]،فالأوقاف إذا هي مايعبر عما يقدمه أهل البر والإحسان من تبرعات تدخل بيت مال المسلمين، ويعتبر أحد إيرادته فضلا عن مصادر الدخل السابقة من جزية وخراج وغيرها.

الخراب الاقتصادي دراسة في أسباب سقوط دولة الموحدين

كما أن البناء والتشييد من أسباب الظهور والتمكن والعظمة والازدهار، فكذلك الخراب وتقلص الأراضي وإتلافها سببا من أسباب الأفول والتقهقر والزوال، هذا ما حدث لدولة الموحدين فعندما اضطرب الأمن وسادة الفوضى وتقلصت الأراضي كلها أسباب إجتمعت على دولة الموحدين لتقوض أركان دولتهم وتزعزع عرشهم ولتأتي على اقتصادهم المنهار، فكان انهيارا للمبادئ والأخلاق وفي الأخير في الاقتصاد، فقلت موارد الدولة وشحت فكانت الخزينة خاوية، وكان يحيى كثيرا ما يطلب المال من عرب الخلط وابن وقاريط[3]، لقد منعت الفتن والثورات المجابي كما اوقفت سيطرة العرب غلى البوادي الحراثة فيها[4]، ولا

[1] - الغزالي،**احياء علوم الدين**،ج**5**،مصر،**1348**هـ ،ص**884**.حسن راتب يوسف:**الرقابة المالية في الفقه الاسلامي**،دار النقاش،الاردن،**1999**م، طبعة**1**،ص**54**.

[2] - عمار طالبي: **ميلاد حضارة**،(المعرفة)، العدد**3**، وزارة الاوقاف الجزائرية،**1963**م، ص **18**.

[3] – ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب**، ج**3**، ص**320**.

[4] – عز الدين أحمد موسى: **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، الطبعة الأولى، **1403**هـ – **1983**م ، دار الشروق، بيروت، لبنان ،ص**114**.

يستثنى من ذلك إلا الرشيد[1] لأنه بذل قصارى جهده من أجل القضاء على ثورة يحيئ بن الناصر.

ومنذ وفاة يوسف المستنصر كثرت المجاعات وغلت الأسعار[2]،

وتوقفت حركة العمران التي اشتهر بها الخلفاء الأربعة الأول ودمرت المنشآت القديمة[3].

[1] – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج**3**، ص**352** .

[2] – ابن عذارى المراكشي: المصدر نفسه، ج**3**، ص**347**، **348**.

[3] – ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص**29**.



الخاتمة

رأينا من خلال ما سبق أن الدولة الموحدية استطاعت أن تنظم العقار في الأندلس، من خلال وضع خطة متكاملة الجوانب ومحددة المعالم والأهداف.

-لا ينكر أحد أن مفهوم الدولة كان بسيطا عند مؤسسي وقادة الدولة الموحدية، غير أنه بدأ يتطور وتتضح معالمه شيئا فشيئا، حتى بلغت شأوا عظيما في عهود الخلفاء الأربعة، يشهد لذلك المنشآت العمرانية المختلفة والمتنوعة، والتي حظيت باهتنام بالغ ورعاية خاصة من قبل الخلفاء الموحدين، وذلك من خلال:

أ-تشييدها للمنشآت العمرانية على اختلاف أضرابها وتعدد أنواعها وفي كل المجالات مجسدة في تكاملها صورة المدينة الإسلامية في أزهى عصورها وفي ذروة تطورها، وتسعى جاهدة لتوفير المال الكافي لها أو ترمبمها في حالة تعرضها للأضرار، أو تخصيص تعويضات للمتضررين بفعل الحروب والفتن، أو تقديم تنازلات ضريبية أو تسهيلات معنوية للمتضررين من جراء الجوائح والمسغبات، وهذه الميزة تعكس نظرة الدولة للتعمير والبناء والتشييد.

ب-نوثيقها وضبطها لهذه الملكيات في ديوان خاص بعد أن يمنح المالك وثيقة(ظهير) تثبت وتوثق لما يملك، وهو أسلوب حضاري في التعامل مع الرعية، وضمان قانوني لحماية المالك، أو استظهار هذه الوثيقة في حالة النزاعات إذا اقتضى الأمر، وهي قمة التطور في العمل الإداري وأسلوب تنظيمي راق.

-خطة العقار الأندلسي هي عبارة عن نظرة متكاملة لأسباب ودواعي إزدهار ورفاه وتقدم الدولة الموحدية عن طريق التناسب بين العقار والاقتصاد، بحيث يكون العقار خادما للاقتصاد في جوانبه المتعددة:

أ-زراعيا: كانت الزراعة خادمة لسياسة الموحدين الباعثة على تشجيع الإستثمار في الأراضي الزراعية من خلال منح إقطاعات الأرض مقابل أموال.

ب-صناعيا: للتكامل بين الزراعة والتجارة عن طريق صناعة كل ما يلزم الزراعة من آلات وكل ما يلزم التجارة من مرافق.

ج-تجاريا: تسويق السلع والبضائع عن طريق توفير أسواق وخلق أماكن لإقامة التجار البعيدين فأقيمت الفنادق.

فنلاحظ التكامل بين العقار الفلاحي والعمراني فالزراعة تشجع التعامل التجاري والتجارة بدورها توفر للدولة أموال تعود بالنفع على إقتصادها فينتعش الإستثمار فيها، فتخصص جزءا من هاته الأموال لبناء ما يلزمها من مرافق ومنشآت.

ويكون الاقتصاد دافعا للعقار ومساهما في زيادته وتطويره وسببا في الحفاظ عليه.

-تنظيم العقار يعدّ من أهم العوامل الرئيسية في استقرار المجتمع، ويدفع عنه الكثير من الأخطار ويعصمه من الفتن والقلاقل، ولقد عكس هذا النظام صورة الدولة الحضارية التي لطالما سعى الموحدون إلى قيامها، مطبوعة بطابعهم الثلاثي: العظمة، الدين، التجديد. فقد كانت الدولة الموحدية تبسط سيطرتها على الغرب الإسلامي-المغرب والأندلس- دون منازع، وقضت على كل ثورة تهدد وحدة ترابها، وتقف عائقا أمام مشروعها التوحيدي، الذي تطور عند الخلفاء الموحدين من ديني في عهد ابن تومرت إلى سياسي في عهد خلفائه عبد المؤمن بن علي وأولاده وأحفاده، وجددت في كثير من النظم السياسية والاقتصادية، هذا ويمكن أن نشير إلى أهم العوامل التي ساهمت في استقرار المجتمع من خلال ما سبق ذكره منها:

_التوزيع العادل في الإقطاعات لكل فئات المجتمع أشياخا كانوا أو علماء أو جندا أو عامة الناس.

_التشجيع على استقرار الأفراد بمنحهم وثائق واثباتات وحيازات ملكية موثقة ومكتوبة على ظهير.

_تعزيز مبدأ التوطين وخدمة البلاد من خلال دخول الفرد شريكا مع الدولة في استثمار عقاره ومساهمته المالية في خدمة البلاد وازدهارها.

إن سياسة تنظيم العقار في الأندلس في عهد الموحدين ألقى بظلاله على المجتمع الأندلسي وأثر إيجابيا على كل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

على **الحياة السياسية**: نجحت هذه السياسة في استقرار المجتمع وجنبته الصراعات القبلية والنزاع على الحكم وعصمته من الخلافات السياسية والمؤامرات، بل ساعدت على تحسين العلاقة بين الراعي والرعية.

على **الحياة الاقتصادية**: ساهمت هذه السياسة في ازدهار الحياة الاقتصادية من خلال:

- فرض ضرائب على الشخص المقطع له كاستحقاق للدولة المانحة، وقد حدد الخلفاء الموحدين العشر من الناتج الزراعي الذي تنتجه أراضيهم في حين يذهب الباقي إلى خزانة الدولة الموحدية.
- أما في الأرض المفتوحة فالأمر مختلف لاسيما تلك التي هي بحوزة ملاكها الأصليين إذ أن الدولة دخلت شريكا إقطاعيا مع الملاك الأصليين لها حصة من دخل الأرض.

من **الناحية الاجتماعية**: حافظت هذه السياسة على النسيج الاجتماعي متماسكا، وعززت فيه أواصر التقارب والتراحم والتآخي، وقضت على الطبقية فيه، وشاعت روح المحبة والتسامح بين أفراد المجتمع.

-لم يسلم العقار من التوظيف السياسي في الحروب والفتن والاضطرابات وضاع الكثير منه في الأزمات، وكان سببا في سقوط الدول وإنفراط عقدها وزوالها وذهاب ريحها.

توصية:

لا أزعم أنني تطرقت إلى الموضوع من كل جوانبه بل قمت بمحاولة متواضعة للتعريف به وتنبيه الباحثين إليه وتشجيعهم على خوض غماره ذلك أنه من وجهتي نظري أن البحث في هذا الموضوع يحتاج إلى جهود متظافؤة ذات رؤية متكاملة ذات أبعاد ثلاثية(التاريخية، الفقهية، الأثرية) من أجل تغطيته والإلمام به من كل جوانبه.


الملاحق

الملحق 01

المرجع : عبد الوهاب المراكشي وثائق المرابطين و الموحدين ، تحقيق :حسين مؤنس ص 425

وثيقة كراء الدار

لمحمد ابن احمد اكترى فلان بن فلان من فلان بن فلان جميع الدار التي بحاضرة كذا بشرقيها و غربيها ، بحمولة مسجد كذا و حدود كذا بحقوقها و منافعها ومرافقها الداخلة فيها و الخارجة عنها ، لعام واحد أوله شهر كذا من سنة كذا دفعها المكترى فلان إلى المكرى فلان طيبة جياد مقبلة وافية ، و قبضها منه ، و قبض فلان الدار المذكورة في أول أمد اكترائها ليستوفى الأمد المذكور فيها بعد معرفتهما بقدر ما تعاقدا قيه الكراء المذكور و مبلغه ، اكتراء مبتولا بلا شرط و لا قنيا و لا خيار على سنة المسلمين في اكترائهم شهد على إشهاد المكترى فلان و المكرى فلان ، على أنفسهما بما ذكر عنهما في هذا الكتب بعد اقرارهما بفهم جميعه من عرفهما و سمع منهما ، و هما بحال الصحة و جواز الامر ، و ذلك في شهر كذا من سنة كذا ، و الكتب نسختان .

فان كان قبض بعض الثمن قلت برئ المكترى فلان منها إلى المكرى فلان بكذا و كذا دينار لكذا و كذا شهرا وٍ خر العام أوله و يدفع إليه ما بقى عند انقضاء كل شهر من سائر الشهور ما ينوبه منها و ذلك كذا و كذا ، و لا براءة للمتقبل فلان من الكراء المذكور و لا من شيء منه بانسلاخ نجم و حلول غيره إلا بإقرار المتقبل فلان بقبض ذلك منه أو بينة تقوم له على الأداء إليه ، و فلان مصدق في الانقضاء دون بمن تلزمه في دعوى القضاء باشتراطه ذلك فان كان يدفعها مشاهرة لم يذكر دفع شيء و قلت بكذا و كذا دينارا دراهم بدخل أربعين ، يؤدى المكترى

فلان منها عند انقضاء كل شهر من شهور العام ما ينوب منها ، وذلك كذا و كذا.

و قال محمد بن عمر : لا يصح اشتراط التصديق هاهنا ، لان التصديق وقع لرب الدار في موضع فيه المكترى مدعيا ، و رب الدار مدعى عليه ، تجب عليه اليمين ، فشرط لنفسه التصدق فسقطت عنه اليمين باقتراب انقضاء أمد الاكتراء ، حتى إذا طال إلا مر بعد أمد الاكتراء فالمدعى عليه هاهنا المكترى ، و المدعى هاهنا رب الدار ، فقد بطل معنى التصديق إذ ليس هذا موضعه ، تجب اليمين على المكترى انه قد أدى ما عليه ، فان نكل لم يقض الحام لرب الدار بنكول المدعى حتى يحلف المدعى عليه و هو رب الدار ، لأنه مستحق بيمينه لان المكترى احلفه .

فان كان في الدار شجرة أو شجرة اشترطها المكترى و هي تافهة تبع لكراء الدار جاز اشتراطها و قلت بعد قولك " على سنة المسلمين اكريتهم ، و اشترط المكترى فلان ثمرة ما في هذه الدار من شجرة أمد اكترائها ، بع جان علما إن هذه الثمرة يبدو صلاحها قبل انقضاء هذا الكراء ، و أنها تافهة لا خطب لها " شهد.

الملحق رقم02

ملكية كبرى بحوزة احد الفقهاء

قال احمد ففعلت ذلك فلما نزل بمجريط لحقته بها فاجتمع الناس عليه لقراءة العلم حتى شكى إلى ذلك و قال خرجت و أنا ارج وان أخلو في هذا الموضع للقرآن بأمر من هؤلاء فقلت له هذا أمر يأجرك الله فيه قال احمد و كان مبتذلا متواضعا يحرق بيد و يحصد و ينقل الزبل و يخدم في خدمته كلها و كنا نقرأ عليه في فدادينه و اندره و في الطرق و كان من أحفظ الناس للمبدونة و اضبطهم لها ولم يطلب إلى السلطان في شيء قط و لا احد من أهل الدنيا حتى مات

من مخطوطة "كتاب طبقات المالكية " المؤلف مجهول ص 97 .

الملحق 03

فتوى توضح التجني على قانون ملكية الأرض

" فهمنا وفقك الله ما قام به العطار على النصرانيين و دعواه الغلبة و ثبوتها بما شهد به الشهود فيه و قول النصرانيين إنهما اشترياه من نصرانيين و قول و كيلهما هذا الفدان المعارض فيه ليس إلى شهدت به البينة على استرجاعه بالإكراه فيجب أن تحوز البينة إلى شهدت في الفدان او تقول إن الفدان الذي وقعت فيه المعارضة و هو هذا بعينه أو يقول الوكيل انه هو بعينه أو يحوز الفدان غير هذه البينة انه هو المقوم فيه فتسقط حينئذ الحيازة فان ثبت انه هو ، وجب ذلك استرجاع ذلك بما ثبت له من الإكراه إلا أن يكون للنصرانيين حجة عند الأعذار إليهما ، قاله ابن لبابة و غيره "

من مخطوطة "توازل الأحكام" لابن سهل ص117.

الملحق الرابع

نازلة الفقهاء حول اعتبار المناطق الخاضعة لسلطة ابن حفصون "دار الحرب"

رجل ادعى خادما في مال ابن حفص و قد نقدم هذا المعنى في مسائل العتق قرأنا وفق الله بطاقة ابن بتله المرفوعة عنه إلى الأمير أطال الله بقائه المصروفة إليه المكتوبة في ظهرها أمره إياك بالنظر له بواجب الحق و لازم السنة و فهمنا دعواه في النصرانية بما نطق بت بطاقته فألفيناه قال انه إذا تملكها في حصن بباشتر و أن ابن حفصون أخذها و زوجها ثم انتقلت إليه بنظر القاضي و صرف فروة لها إليه و أحببت إن تعلم ما عندنا فيه فيما رفعه ابن بتلة لتنظر بنظرك للعامة التي قلدك الله النظر لها من الحق و العدل فالذي يقول ب هان بباشتر و ما انضوى إلى المرتد انح فصون من الحصون التي بجواره أو فات عنه موضع فساد و دار حرب و من ملك هنالك مملوكا أو مملوكة لم يستحكم له الملك كما استحكم لمن ملك في موضع الطاعة حيث يجوز أحكام الولاة و الأمير أكرمه الله

من مخطوطة " نوازل الإحكام " لابن سهل ص 206.

الملحق الخامس

وثيقة فيمن اكترى حانوتا من رجل عاما بعينه ثم ذكر مكرى الحانوت بعد عقد الكراء انه قد كان أكراه من غيره و انه بقيت للمكترى الأول من أمد اكترائه بقية فعلم بذلك المكترى الأول فرضي بالالتزام قبالته المدة الموصوفة من بعد انقضاء بقية مدة الأول

شهد فلان بن فلان و فلان بن فلان على أنفسهما شهداء هذا الكب في صحتهما و جواز أمرهما بما يأتي به عنهما فيه و ذلك إن فلان بن فلان كان قد اكترى من فلان بن فلان جميع الحانوت الذي بحاضرة كذا بشرقي مدينتها بربض كذا و على المحجة العظمى التي يشرع باله إليها و حدوده كذا لعام واحد أوله شهر كذا من سنة كذا بكذا و كذا دينار دراهم بدخل أربعين و قبض منه فلان من العدة المذكورة كذا و كذا دينار من الصفة المذكورة مقدمة ثم إن فلان بن فلان ذكر بعد عقده لهذا الكراء الوصوف في هذا الكتب انه قد كان أكرى هذا الحانوت من فلان لعام أوله شهر كذا من سنه كذا و انه بقي لفلان من إتمام أمد اكترائه ثلاثة أشهر يسكنها و كذلك يستوفي حوله المذكور فاعلم فلان بما ذكر فالتزم فلان اكتراء الحانوت لعد انصرام سكنى فلان لهذه الثلاثة أشهر الموصوفة لعامين أولها شهر كذا من سنة كذا بالعدة المذكورة في هذا الكتب و ترك الكذا و الكذا الدينار الموصوفة في هذا الكتب في يد فلان مقدما للعامين مؤرخين في هذا الكتب و يدفع فلان بقية العدة المذكورة عند انقضاء العامين المذكورين و ذلك كذا و كذا اكتراء صحيحا اشهدا به على أنفسهما بعد معرفتهما بقدر ما تعاقدا فيه الكراء المذكور و مبلغه بلا شرط و لا ثنيا و لا خيار على سنة المسلمين في أكريتهم شهد على إشهاد فلان و فلان ثم تكمل الإشهاد .

الملحق 06

وثيقة كراء الأرض بالأرض

اكترى فلان ابن فلان جميع أرضه البيضاء المزرعة بقرية كذا من إقليم كذا من عمل موضع كذا و حدوده كذا لعام أوله شهر كذا من سنة كذا بجميع ارض المكترى فلان بقرية كذا من إقليم كذا من عمل موضع كذا و حدودها كذا ليزرع كل واحد منهما ما صار إليه بالكراء من الأرض بالقريتين المذكورتين في هذا العام في ورقة العام المؤرخ في هذا الكتب زريعة تواصفاها وعرفها قدرها و مبلغها بقاعة كل ارض منها و حرمها و منافعها و حقوقها كلها الداخلة فيها و الخارجة عنها من الانادر و الدور و دخل في خذا الكراء جميع ما لكل واحد منهما في القريتين المذكورتين من شجرة الزيتون و التين و إذا كانت شجرة كل واحد منهما تبعا لأرضه البيضاء و لم يدخل شيء في القمرة الظاهرة فيها في حين ها الكراء في الكراء المذكور و بقيت ثمرة كل واحد منهما لصاحبها اكتراء متبولا بلا شرط ولا ثنيا و لا خيار بعد معرفتهما بقدر ما عقدا فيه الكراء و مبلغه على سنة المسلمين في اكريتهم الجائزة بينهم و نزل كل واحد منهما فيما اكتراه لأول اكترائه وصار بيده شهد على إشهاد المكتريين فلان و فلان على أنفسهما بما ذكر عنهما في هذا الكتب و عرفهما و سمعه منهما و هما بحال الصحة و الجواز الأمر و ذلك في تاريخ كذا .

فان اكترى منه أرضه ليزرعها العام بأرض للمكترى يزرعها الثاني عاما ثانيا فان كانت الأرض مأمونة مما يجوز النقد فيها فذلك جائز و إن كانت عير مأمونة لم يجز ذلك لان زريعته الأرض بمنزلة النقد فان حصد المكترى الأرض فانتثر من الحب ما نبت في العام الثاني فهو لصاحب الأرض دون المكترى .

ثبت المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة.

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المخطوطات العربية

1-مؤلف مجهول: منظومة في الفلاحة الأندلسية، مخطوط معهد المخطوطات العربية برقم28 فلاحة.

2-السيوطي (عبد الرحمان بن أبي بكر) ت911هـ): البستام في أخبار الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم2024.

3-الطغنري محمد بن مالك(كان حيا سنة 480هـ/1087م) زهر البستان ونزهة الأذهان مخطوط بمعهد المخطوطات العربية برقم6، الزراعة والأعشاب

4-البرزلي(أبو القاسم بن أحمد البلوي)ت.841هـ/1438م)) جامع مسائل البرزلي، ج1، مخطوط المكتبة الوطنية الحامة، الجزائر، تحت رقم1560.

:ثالثا: المصادرالعربية:

ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت.658هـ/1260م)):

1- التكملة لكتب الصلة ج2، تحققت عزة العطار الحسيني مكتبة نشر الثقافة الإسلامية. – مصر 1957م.

2- // :الحلة السيراء ج2، حققه وعلق حواشيه د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1963م.

3- // : المعجم، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (1387هـ/1967م).

ابن الأثير (أبو الحسن على ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت . 630هـ/1232م) :

4- الكامل في التاريخ اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية ، د . ط ، السعودية د . ت .

إسماعيل بن عباد:

5- المحيط في اللغة، الجزء9، عالم الكتب، بيروت، 1994م.

الإصطخري(أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي):

6- المسالك والممالك، طبعة لبنان ، 1927م.

الادريسي أبي عبد الله:

7- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، تحقيق: دوزي ودي خويه، ليدن1866م

البكري، (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز):

8- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك)، تحقيقدوسلان، مطبعة أدولف جردان، الجزائر، 1911م.

9- **ابن أبي زرع الفاسي**،(أبو الحسن علي بن عبد الله):

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،طبعة حجرية.

البيدق، (أبو بكر بن علي الصنهاجي):

10- المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1971م.

ابن بسام (أبو الحسن علي بن البسام الشنتريني الأندلسي (ت.542هـ/1148م)):

11- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د.إحسان عباس – لبنان: بيروت. دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى.

الجزنائي،أبو الحسن علي :

12- زهرة الآس في بناء مدينة فاس، اعتناء بيل، مطبعة كابونيل،1922 .

ابن حوقل ، أبي القاسم :

13- المسالك والممالك،طبعة أبريل، 1872.

ابن بشكوال (أبو القاسم خلق بن عبد الملك (ت.578هـ/1183م)):

14- الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم البياري ، الطبعة الأولى, دار الكتاب المصري – القاهرة ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، (1410هـ – 1989م).

ابن الحزم الأندلسي (محمد بن علي بن احمد بن سعيد ,
(ت.456هـ/1064م)):

15- // : المحلي عُني بتصحيحه للمرة الأولى إدارة الطباعة المنبرية، تحقيق احمد محمد شاكر، مطبعة النهضة – مصر. 1337هـ.

16- الرد على ابن النغرلة اليهودي، القاهرة، 1960م.

17- مراتب الإجماع، مكتبة القدسي، مصر، 1357م.

الحميدي (الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي عبد الله بن عبد المنعم (ت. 488هـ/1095م)):

18- جذوة المقتدس في ذكرة ولاة الأندلس، تحقيق إبراهيم الابياري. دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني ط2، القاهرة، بيروت، 1973م.

ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م):

19- الإحاطة في إخبار غرناطة ج4،حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، مصر: القاهرة، مكتبة الخانجي، ج1، الطبعة الثانية (1393هـ – 1973م) .

20- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب، محمد مسعود جبران، ، المطبعة السلفية، 2009م

21- // : تاريخ اسبانية الإسلامية أو كتاب الإعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ – ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار المكشوف، 1956م.

22- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، طبعة جامعة الإسكندرية،1958م.

ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد بن أبو زيد (ت. 808هـ/1405م)):

23- المقدمة ،دار الكتاب اللبناني، ط: بيروت.
24- //:العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت. 681هـ/1282م)):

25- وفيات الأعيان وأبناء الزمان ج5 ، تحقيق د. يوسف علي الطويل، د. مريم قاسم الطويل، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية (1419هـ/1998م).

الخشني،(أبو عبد الله محمد بن الحارث(ت280هـ- 880م)):

26- قضاة قرطبة ، تحقيق إبراهيم الأبياري، الكتاب المصري، القاهرة، 1989م.

الإشبيلي،(أبو الخير(عاش في القرن 5هـ- 11م):

27- كتاب الفلاحة ، تقديم وترجمة وتحقيق، خوليا ما كاراباثا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1991م.

ابن رشد (أبو الوليد احمد بن محمد القرطبي, ت. 520هـ/1126م):

28- فتاوى بن رشد، تحقيق وجمع وتعليق المختار بن طاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1987م.

الزبيدي:

29- تاج العروس ج21- تحقيق : مجموعة من المحققين – دار الهداية.

الزهري(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(عاش في القرن6هـ- 12م)):

30- كتاب الجغرافية، تحقيق إسماعيل العربى، طبعة الجزائر، سنة1982م.

ابن الزيات التادلي، (أبو يعقوب يوسف بن يحي(ت.حوالي 1717هـ)):

التشوف إلى رجال التصوف:تحقيق، احمد التوفيق،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، المغرب، ط2، 1997م.

ابن سعيد المغربي (علي بن أبي موسى بن محمد بن عبد الملك (ت.685هـ/1286م)) :

31- **المغرب في حلي المغرب** ج2، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، الطبعة الثانية، مصر: القاهرة، دار المعارف 1964م.

32- كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م.

السقطي، (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالكي الأندلسي(ت631هـ-1234م)):

33- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، نشر بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي، 1955م.

السلفي، (أبو طاهر احمد بن محمد):

34- معجم السلفي: تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت.

ابن سهل(أبو الأصلع عيسى الأندلسي (ت. 486هـ/1093م)):

35- ثلاث وثائقي محاربة الأهواء والبدع في الأندلس مستخرجة من خطوط الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الله خلاف تقديم محمد علي مكي ومصطفى كامل إسماعيل، المطبعة العربية الحديثة القاهرة، 1981م.

36- وثايق في أحكام قضاة أهل الذمة مستخرجة من الأحكام الكبرى: تحقيق محمد خلاف، الكويت، 1983م.

ابن صاحب الصلاة:(عبد الملك ابن محمد بن أحمد الباجي(ت594هـ-1198م)):
تاريخ بلمن بالإمامة على المستضعفين لمن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الأندلس للطباعة والنشر ،بيروت، لبنان ،الطبعة1، 1964م.
ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي:
37- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية، ط1،1322هـ، ج2.
الضبي (احمد بن يحيى بن عميرة (ت. 599هـ/1202م)):
38- بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق إبراهيم الابياري الطبعة الأولى، لبنان: بيروت، دار الكتاب اللبناني ، مصر: القاهرة دار الكتاب المصري، (1410هـ/1989م).
ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله(توفي في القرن6 في نصفه الأول):
39- ثلاث رسائل في الحسبة ،في آداب الحسبة والمحتسب ، تح: ليفي بروفنسال، نشرت تحت عنوان : ثلاث رسائل أندلسية ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1955م.
ابن عبدون، (محمد بن أحمد):
40- رسالة في الحسبة،نشر إ.ليفي بروفنسال، 1934م.
ابن عذاري (أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي ت. 695هـ/1295م)):
41- البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب ج2، تحقيق ومراجعة ج. س كولان و إ. ليفي يروقنسال، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار الثقافة، 1983.

العذري، (أحمد بن عمر بن انس المعروف بابن الدلائي(ت478هـ-1085م)):

42- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، دت.

العمري،(ابن فضل الله شهاب الدين احمد بن يحي الكاتب الدمشقي (ت 748هـ- 1374م))

43- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق :كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010م، ج1، ج4.

44- وصف إفريقية والمغرب والأندلس، مجلة البدر، العدد11، تونس،د.ت.

ابن غالب، (محمد بن أيوب الأندلسي، عاش في القرن 6هـ- 12م):

45- قطعة من كتاب فرحة الأنفس، نشرها الدكتور أ؛مد لطفي عبد البديع، مجلة معهد المحطوطات العربية، القاهرة، 1956.

ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن أبي قاسم بن محمد الدين (ت733هـ- 1397م)):

46- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الحنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م.

ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت. 403هـ/1013م))

47- تاريخ علماء الأندلس ج2، عُني بنشره وتصحيحه السيد عزت العطار الحسني ط.ح مصر: القاهرة، مكتبة الخانجي، (1408هـ/1988م).

ابن القطان المراكشي(أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي(ت.منتصف القرن السابع الهجري)):

48- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق، محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ/1990م.

ابن القوطية (محمد بن عمر عبد العزيز(ت. 367هـ/977م)):

49- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الابياري ط.ح مصر: القاهرة دار الكتاب المصري، لبنان: بيروت، دار الكتاب اللبناني (1410هـ/1989م).

القلقشندي، (أبو العباس احمد (ت 721هـ- 1418م)):

50- صبح الأعشى صناعة الإنشا،دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/1922م، ج5.

المالكي، (أبو بكر عبد الله بن محمد(ت438هـ)):

51- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، ، 1951م ، مصر.

الماوردي، (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت450هـ)):

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط3، 1393هـ- 1973م.

ابن منظور (الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت. 711هـ/1311م)):

52- لسان العرب ج، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار صادر (1414هـ/1994م).

مؤلف مجهول:

53- الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، دار النشر المغربية، 1986م.

مؤلف مجهول:

54- منظومة في الفلاحة الأندلسية، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية،برقم 28.

مؤلف مجهول:

55- كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، نشر هويشي ميراندا، من صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، بمدريد، مجلد9، 1961-1962.

56- **مجهول**:

رسائل موحدية، الخزانة الملكية ،الرباط،رقم4752.

ابن مخلوف، (محمد بن محمد):

57- شجرة النور الزكيةفي طبقات المالكية، تحقيق عبد المجيد خيالي،دار الكتب العلمية، مج2، طبعة 1، 1424هـ - 2003م.

المراكشي،)أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري(ت 703هـ- 1304م)):

58- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق : احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، السفر الرابع، د.ت.

المراكشي (محي الدين عبد الواحد بن علي (ت669هـ- 1270م)):

59- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم عزب ، طبعة القاهرة، 1414هـ،1994م.
60- وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1997م.
المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد (ت. 380هـ/990م)):
61- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع بمدينة ليون بمطبعة ابريل 1960م.
المقري (احمد بن محمد التلمساني (ت. 1041هـ/1631م)):
62- نفح الطيب غصن الأندلس الرطيب ج8 ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر (1419هـ/1998م).
أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري:
63- تهذيب اللغة ج3، تحقيق : محمد عوض مرعب- دارإحياء التراث العربي –بيروت- الطبعة الأولى-2001.
المقريزي
الناصري: (أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي):
64- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.
النُباهي المالقي (علي بن عبد الله بن محمد بن محمد بن الحسن (ت. بعد792هـ/بعد1390م)):

65- تاريخ قضاء الأندلس، وسماه المرقية العليا فين يستحِق القضاء والفيتيا، الطبعة الخامسة، لبنان: بيروت، دار الأفاق الجديدة، (1403هـ/1983م).

الفتح بن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان (ت. 529هـ/1135م)):

66- مطمح الأنفس ومسرح التآنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق هدي شوكت بهنام ، الطبعة الأولى لبنان: بيروت، دار الغصون, (1409هـ/1989م.

القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى (ت. 544هـ/1149م)):

67- ترتيب المدارك وتقريب المسالِك لمعرفة إعلام مذهب مالِك ج4 بأرضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم محمد بن تلويت الطنجي المملكة المغربية: الرباط طُبع بأمر من من حضرة صاحب الجلالة مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله.

ياقوت الحموي (الإمام شهاب الدين أبي عبد الله (ت . 626هـ/1229م)):

68- معجم البلدان: ج5 مادة غرناطة ،تحقيق :ف.وستنفلد، ليبزيغ، بروكهاس، 1866- 1873.

الفيروز آبادي:

69- القاموس المحيط ج1 ،مطبوعات الهيئة المصريةالعامة للكتاب.

رابعا:الكتب الفقهية:

علي بن سليمان المرداوي:

70- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق الدكتور عبد الله التركي - دار هجر - الطبعة الألأولى- 1414هـ/1993م.

الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني:

71- سنن ابن ماجه -تحقيق، بشار عواد معروف - دار الجيل - بيروت – لبنان - الطبعة الألأولى 1418هـ/1998م.

أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني:

72- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ،ج3 ،تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي–دار العربية–بيروت–1403.

الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ):

73- مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، (د ت).

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ):

74- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د-ت).

75- **ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ)**: سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د ت).

محمد بن تومرت مهدي الموحدين:

76- أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عمار طالبي، عن وزارة الثقافة الجزائرية، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت.450هـ) :
77- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار بن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى، 1409هـ/1989م.
78- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون–بيروت.
79- زكريا بن محمد الأنصاري:أسنى المطالب شرح روض الطالب – دار الكتاب الإسلامي.
80- سليمان بن منصور العجيلي الجمل :حاشية الجمل على شرح الطلاب – دار الفكر.
81- محمد ناصر الدين الألباني : صحيح سنن ابن ماجه ج2، مكتب التربية العربية.
82- محمد بن عبد الباقي الزرقاني- :موطأ الإمام مالك غلى شرح الزرقاني، - دار الكتب العلمية – 1411هـ.
83- أحمد بن محمد الدردير:الشرح الكبير ، مطبوع مع حاشية الدسوقي عليه – دار الكتب العلمية.
84- الرافعي :المصباح المنيرفي غريب الشرح الكبير ج2، المكتبة العلمية- بيروت
85- ، الكسائي: البدائع، ج6، المطبعة الجمالية، مصر 1910م.
86- ابن قدامى المقدسي: المغني، ج5، مكتبة القاهرة، بدزن تاريخ نشر
87- - أحمد بن المرتضى: البحر الزخار، ج4، مكتبة الخانجي، 1948م،

88- عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي :الاختيارلتعليل المختار، تعليق محمود أبو دقيقة،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ج2

89- محمد ع محمد أبو الأجفان: مقدمة فتاوى الشاطبي، تونس، مطبعة الاتحاد العام التونسي، ط1، 1984م، ثمان شبير: المدخل إلى فقه المعاملات ، دار النفائس ، الطبعة الأولى

90- عبد الرحمان بن محمد الدخيل: الفتوى، أهميتها ،ضوابطها،آثارها، بحث مقدم لنيل جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة،الدورة الثالثة، المملكة العربية السعودية،طبعة 2007م.

91- الهروس مصطفى: المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث هجري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1997م

92- محمد بن شريفة: وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض، مجلة دعوة الحق، عدد264، أبريل ، مايو 1987م.

93- محمد أبو الأجفان: مقدمة فتاوى الشاطبي، مطبعة الكواكب ، تونس، طبعة2، 1985.

94- محمد بن عبد الرحمان المغربي الحطاب الرعيني: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل وبهامشه التاج و الإكليل لمختصر خليل ، تحقيق زكريا عميرات،ج7، دار عالم الكتب،1423هـ- 2002م.

95- حمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، دار الهبة للطباعة والنشر، الجزائر، 1990 م ط4 .

96- ابن هبيرة: الإفصاح، المكتبة اللحبية، سنة 1947م، ج2.

97- الشافعي: الأم، ج2، ج4.

98- ابن عبد البر:الكافي في الفقه المالكي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت.

99- ابن جزي: قوانين الأحكام الشرعية ، دار العلم للملايين، 1968م.

100- ابن عطار: كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق شالميتا وكورينطي/ مدريد، 1983م .

رابغا: المراجع العربية المطبوعة

1- إبراهيم السيد الناقة: تاريخ الأندلس للاقتصادي، الأسواق التجارية والصناعية في الأندلس، عصري الخلافة الأنوية والنوحدية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر،2010.

2- إسماعيل سامعي: معالم الحضارة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر.

3- أشباخ (يوسف): تاريخ الأندلس في المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة د – ت ، الشركة الدولية للطباعة، الطبعة الثالثة، 1417هـ/1998م (1423هـ – 2002م).

4- آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، الطبعة الأولى ،مصر القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، 1955م.

5- إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، الطبعة السابعة، لبنان بيروت دار الثقافة 1981م.

6- أحمد بن عبد العزيز العميرة: نوازل العقار دراسة فقهية تأصيلية لأهم قضايا العقار المعاصرة، دار الميمان للتوزيع والنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى1432هـ/2011م.

7- أحمد بن عمر بن أنس العذرى: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع البستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، نشر وتحقيق عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،1965م.

8- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.

عز الدين أحمد موسى:

9- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت ، الطبعة الأولى1403هـ/1983م.

10- الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بدون تاريخ طبع.

11- محمد المنوني : حضارة الموحدين، دار توبقال، للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى1989م.

12- زكريا إبراهيم: ابن حزم الأندلسي (المفكر الظاهرة الموسوعي) الدر المصرية للتأليف والترجمة.
13- عبد الحكيم الذنون: آفاق غرناطة، الطبعة الأولى ، دمشق: سوريا، دار المعرفة، 1408هـ/1988م.
14- شاكر مصطفى: الأندلس في التاريخ، دمشق: سوريا، منشورات دار وزارة الثقافة، دار الاشبيلية، 1990.
15- حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في تاريخ المرابطين، دار المعرفة الجامعية،1997.
16- حسن علي حسن :الحضارة الإسلامية بالأندلس في عصر الموحدين و المرابطين، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الاولى.
17- خليل السامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبغة الأولى، حزيران، يونيو، 2004م.
18- محمد سعيد الدغلي: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م.
19- محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس، 1411هـ/1990م.
20- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مصر: الإسكندرية، مؤسسة شياب الجامعة للطباعة والنشر، 1984م.

21- السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخِلافة في الأندلس(دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)ج2، مصر: الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997م.

22- محمد احمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي (دراسة في التاريخ السياسي الحضاري) مصر: الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1996م.

23- ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس ترجمة ذوقان قرقوط، لبنان – بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.

24- كمال السيد أبو مصطفى: دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة, مصر: الإسكندرية, مركز الإسكندرية للكتاب, 1997م.

25- محمود إسماعيل: دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي، مصر: القاهرة سينا للنشر، الطبعة الأولى، 1994م.

26- كرد علي: عابر الأندلس وحاضرها، المكتبة الأهلية مصر، الطبعة الأولى، المطبعة الرحمانية، (1341هـ/1923م).

27- محمد حسين قجة: محطات أندلسية (دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي)، الطبعة الأولى، جدة/ الدار السعودية للنشر والتوزيع، (1405هـ/1985م).

28- سحر السيد عبد العزيز سالم: مدينة قادس ودورها في التاريخ السياسي والحضاري (للأندلس في العصر الإسلامي)، مصر: الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة, 1990م.

29- سامية مصطفى محمد مسعد: الحياة الاقتصادية لإقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من484-620هـ/1096-1223م

محمد ،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى1423هـ/2003م.

30- دوزي: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، تحقيق كامل كيلاني الطبعة الأولى، مصر، القاهرة، مكتبة ومطبعة عيسى الباني العلي.

31- الخطيب محمد: تاريخ الحضارة العربية، سوريا: دمشق دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، 2008م.

32- مريم قاسم طويل (مريم): مملكة غرناطة في عهد نبي زيري البربر (403 – 483هـ/ 1012 – 1090م)، الدار البيضاء: مكتبة الوحدة العربية، بيروت: لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1414هـ – 1994م.

33- عبد الواحد ذنون طه: دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها، بنغازي – ليبيا، دار الكتب الوطنية، بيروت: لبنان، دار المدار الإسلامي الطبعة الأولى حزيران / يونيو / الصيف 2004 إفرنجي.

34- نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1987م

35- محمد عبدو حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، ج1، مطبوعات الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى1420هـ/1999م.

36- الحضارة الإسلامية بالأندلس في عصر الموحدين و المرابطين، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الاولى،1980.

37- الدولة والمجتمع في العصر الموحدي518هـ - 668هـ/1125-1270م.

38- كحيلة: أندلسيات (مكتبة مدبولي، 1989م)ص134 ومابعدها، المولدون في التاريخ الأندلسي(ماجيستير- آداب القاهرة1978م).

39- شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المطبعة الرحمانية، بفاس، المغرب، الطبعة الأولى،1355هـ /1936م.

40- العلاقات التجارية للدولة الموحدية ، دكتورا غير منشورة ، جامعة وهران، كلية العلوم الانسانية ،اشراف محمد بن معمر.

41- حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية، ج1، 1964م، تونس.

42- بكر بن إبراهيم الإشبيلى: التيسير في صناعة التسفير(نشر عبد الله كانون ، مجلة العهد المصرى،مدريد 1959: 1960).

43- - احمد عزاوي، رسائل موحدية(مجموعة جديدة)، ط1، 1416هـ -1995م، رسالة رقم: 6.

44- السيد عبد العزيز سالم والعبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية ، دون تاريخ نشر، ج1 .

45- كونل أرنست : الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر، بيروت، 1966 .

46- عبد الفتاح رواس قلعة جي: مدخل إلى علم الجمال الإسلامي، دار قتيبة، بيروت،لبنان، الطبعة الاولى، 1991م.

47- محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، دار النهضة العربية، مصر1980.

48- ليفي بروفنسال، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، تر :عبدالهادي شعيرة، مطبعة جامعة الإسكندرية، مصر.

49- علي بن اسماعيل بن سيده: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، مصر، 1963 م.

50- بكر بن عبد الله : فقه النوازل، دار القلم، الجزائر، ط1، 1993م.

خامسا: المراجع الأجنبية

- Fadhel Hamada,Unos del desarrello economico en la epoca de los reyes de taifas(

Actas del IV coloquio Hispano-Tunecino-Palma de Mallorca,1979)Instituto Hispano-Arabé de cultura,Madrid,1983.P:156. L,Bolens,Les méthodes Culturales au moyen-âge d’agronomies,

سادسا: الرسائل الجامعية:

- الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب و الأندلس 238-488هـ/852-1095م دراسة تاريخية مقارنة، ل/ يحيى أبو المعاطي محمد عباسي وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل درجو الدكتراه من جزأين، عن قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة1421هـ/2000م.

-أثر الاقطاع في تاريخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث هجري حتى ظهور الخلافة250-316هـ ل/ ابراهيم القادري بوتشيش، وهي250-316هـ ل/ ابراهيم القادري بوتشيش، وهي عبارة عن رسالة لنيل دبلوم الدراسات العلياء في التاريخ الاسلامي.

-الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة في عصري المرابطين ولموحدين من484 الى620هـ/1092الى 1223م ل/سامية مصطفى محمد مسعد وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتراه من جامعة الزقازيق.

-الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي مابين القرن4-9هـ/10-15م ل/ عبد القادر ربوح، وهي عبارة عن رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية والانسانية جامعة الجزائر، 1426-1427هـ/2005-2006م.

- الملكية الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس، (238- 488هـ) /(852-1095م)، دراسة تاريخية مقارنة وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا عن قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، 1421هـ -200م.

- الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في الاندلس خلال عصر الموحدين:عياد المبروك عمار ، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد حمام،كلية الآداب، الرباط،1424هـ/2002م.

- البيئة في بلاد الأندلس عصري الخلافة وملوك الطوائف:بودالية تواتية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورا في التاريخ الوسيط الإسلامي غير منشورة، تحت إشراف: فاطمة بلهواري، عن قسم التاريخ وعلم الآثار كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران ، الجزائر، 1434هـ - 1435هـ/2013م - 2014م.

بغداد غربي: العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة دكتراه غير منشورة، عن قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة1،وهران.

ـ للإستزادة منهج عمر بن الخطاب في التشريع:محمد بلتاجي،رسالة ماجيستير مطبوعة، دار الفكر العربي.

-واعظ نويرة: أثر ثورة بني غانية على الدولة الموحدية(580هـ-1184م)(633هـ-1235م)، مذكرة ماجستير غير منشورة في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ والجغرافيا المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة الجزائر2007/2008م.

-صديقي عبد الجبار: سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات/ ماجستير غير منشورة قسم التاريخ والآثار جامعة أبي بكر بلقايد/ تلمسان1434-1435/2013-2014م.

المقالات والأبحاث:

أكرم حسين غضبان

1-: الإقطاع في عهد الموحدين، مجلة آداب البصرة، العدد 51، 2010م.

2-التأديب في عهد الموحدين، مجلة آداب البصرة، العدد44، 2007م.

3-الحياة الدينية للموحدين في عهد الخليفة يعقةب المنصور(580-595هـ/1184-1198م)، مجلة أبحاث البصرة(العلوم الانسانية) المجلد38، العدد01، 2013م.

4-إلياس علي قنبر: بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي(508-599هـ/1115-1202م)، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، المجلد العاشر، العدد02.

5-هلا محمد غسان فصفص: ابن العوام وكتاب الفلاحة، دراسة في مفهوم الحديقة الإسلامية iug journal of natural and engineerin studines

Pee-revienbed journal of islamic univrsity-Gaza-vol22.no.2.ppal-à19.2014.

6-عبد الرضا حسن حيّاد: أقطاب المدرسة الصوفية قي المغرب و الأندلس في عهد الموحدين، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني2010م.

7- عباس فضل حسين السعودي: الأمير السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن الموحدي ودوره العسكري والسياسي والحضاري في المغرب والأندلس، مجلة جامعة كربلاء العلمية – المجاد الثامن العدد الثاني2010م.

8-عبد القادر بو باية: مكانة تاريخ الأندلس في الدراسات العليا في الجامعات الجزائرية، مجلة عصور، العدد6-7 جوان- ديسمبر2005م/ ذو القعدة1426هـ.

9- خالد محمد عبد الله وأحمد صالح محمد: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في عهد الموحدين، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المحلد الثالث، العدد العاشر.

10- سادسة حلاوي وفوزي خيري كاظم: الحملات الصليبية على الأندلس في ظل حكم الموحدين، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الثامن السنة الرابعة2012م.

الدوريات والمجلات

- جورج سارطون، ابن بصال: كتاب الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه خوسي ماريا مياس بيكروسا ومحمد عزيمان(231 صفحة بالأسبانية و 182 صفحة

بالعربية)تطوان، المغرب، معهد مولاي الحسن، 1955م.ترجمة مجلة تطوان لمقال الأستاذ جورج سارطون الأستاذ بجامعة هارفارد وهو تعليق صدر بمجلة"أسيس"(ISIS) مجلد 47 الصادر في مارس 1956م.(مجلة تطوان)سنة 1957م.

-إكسبيير اثيون غارثيا سانشير: الزراعة في اسبانيا المسلمة، (ندوة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس- بيروت 1999م).

-عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطوها، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الأول.

-العذرى: نصوص عن الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة 1965م.

-محمد الحبيب الهيلة: مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية من منتصف القرن 11/5 إلى نهاية القرن 15/9،مجلة دراسات أندلسية، تونس، 1993، ع9.



فهرس المحتويات

المقدمة...أ- ي

الفصل الأول:

الحياة الاقتصادية في الأندلس خلال عهد الموحدين...........20-80



ملخص الأطروحة

ملخص الأطروحة:

يجمع الكثير من الدارسين أن التاريخ السياسي المتمثل في توثيق الأحداث ووصف المعارك والحروب والفتن لاقيمة له إدا خلا من مضامين خدمة الإنسانية خاصة فيما يتعلق بحياة الناس وما يحتاجونه في معاشهم ويتعلق الأمر بعصب الحياة ألا وهو الاقتصادية.

لهذا اتجهت الدراسات الحديثة الجادة إلى العناية بالتطورات الاقتصادية وآثارها وأبعادها المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية على الفرد والمجتمع.

ومنذ وقت ليس ببعيد رسمت لنفسي خطا في الدراسات االأكاديمية من أجل الدراسة والتنقيب في تاريخ فردوسنا المفقود وأملنا الموعود، وترسخت الرغبة في دراستها من جوانب متعددة.

متناولا حقبة مهمة عرفت عند الدارسين بعصر الطوائف الثاني لأميط اللثام حول موضوع أحسب فيما تناهى لي من خلال المناقشات مع المتخصصين والمهتمين لم يسبق التطرق إليه، وإن كانت كل الدراسات الفلاحية والعمرانية قد أشارت إليه في مواضيع تتعلق بالدراسات الاقتصادية العامة، ويتعلق الأمر بالعقار الأندلسي في هذه الفترة، ليس وضعيته فحسب وإنما كيف نُظّم وكيف استغل وكيف تصرف فيه.

ذلك لأن دراسة مثل هذه المواضيع يلائم طبيعة الأندلس الجغرافية ذات المساحة الشاسعة والاراضي الخصبة، و لحاجة التاريخ العربي لمثل هذه الدراسات خدمة للبحث التاريخي الذي إتجه إلى معرفة الماضي من خلال وحداته الحضارية.

ولربما أن دراسة الموضوع تسعف في فهم النظم التي سادت في الغرب الإسلامي لخمسة قرون تلت عهد الموحدين:"ذلك لأن النظم الإدارية الموحدية ظل العمل بها في الغرب الإسلامي خلال هذه تلت عهد الموحدين:"ذلك لأن النظم الإدارية الموحدية ظل العمل بها في الغرب الإسلامي خلال هذه الفترة، لاسيما وأن

الدول التي ورثت إرث الموحدين إستمرت في تقليد رسومهم من بينها النصرية في غرناطة.

ويبدو على حد قول عز الدين أحمد موسى، أن كثيرا من نظم الموحدين ظلّ العمل بها حتى بعد أن انقرضت هذه الدول.

لا ننكر أن الفترة الموحدية فترة تراوح حضاري بين المجتمعين المغربي والأندلسي، ورغم تبغية الأندلس إلى المغرب سياسيا وإداريا إلا أنّ تأثير الحضارة الأندلسية ظل بارزا على كل النظم في بلاد المغرب الإسلامي.

وقد استطاعت دولة الموحدين أن تنظم العقار في الأندلس، من خلال وضع خطة متكاملة الجوانب ومحددة المعالم والأهداف.

البناء والتعمير: من خلال تشييدها للمنشآت العمرانية على اختلاف أضرابها وتعدد أنواعها وفي كل المجلات مجسدة في تكاملها صورة المدينة الإسلامية في أزهى عصورها وفي ذروة تطورها، وليس ذلك فحسب بل سعت جاهدة لتوفير المال الكافي لها أو ترمبمها في حالة تعرضها للأضرار، أو تخصيص تعويضات للمتضررين بفعل الحروب والفتن، أو تقديم تنازلات ضريبية أو تسهيلات معنوية للمتضررين من جراء الجوائح والمسغبات.

التوثيق الاداي: من خلال التوثيق والضبط لهذه الملكيات في ديوان خاص بعد أن يمنح المالك وثيقة(ظهير) تثبت وتوثق لما يملكه، وهو أسلوب حضاري في التعامل مع الرعية، وضمان قانوني لحماية المالك، أو استظهار هذه الوثيقة في حالة النزاعات إذا اقتضى الأمر، وهي قمة التطور في العمل الإداري وأسلوب تنظيمي راق.

التنظيم الاداري: من خلال وضع خطة محكمة تعكس النظرة المتكاملة لأسباب ودواعي إزدهار ورفاه وتقدم الدولة الموحدية عن طريق التناسب بين العقار والاقتصاد، بحيث يكون العقار خادما للاقتصاد في جوانبه المتعددة: فكان هنالك

تكاملا بين العقار الفلاحي والعمراني فالزراعة تشجع التعامل التجاري والتجارة بدورها توفر للدولة أموال تعود بالنفع على إقتصادها فينتعش الإستثمار فيها، فتخصص جزءا من هاته الأموال لبناء ما يلزمها من مرافق ومنشآت، ويكون الاقتصاد دافعا للعقار ومساهما في زيادته وتطويره وسببا في الحفاظ عليه.

إن تنظيم العقار يعدّ من أهم العوامل الرئيسية في استقرار المجتمع، ويدفع عنه الكثير من الأخطار ويعصمه من الفتن والقلاقل، ولقد عكس هذا النظام صورة الدولة الحضارية التي لطالما سعى الموحدون إلى قيامها، مطبوعة بطابعهم الثلاثي: **العظمة، الدين، التجديد.** فقد كانت الدولة الموحدية تبسط سيطرتها على الغرب الإسلامي-المغرب والأندلس- دون منازع، وقضت على كل ثورة تهدد وحدة ترابها، وتقف عائقا أمام مشروعها التوحيدي، الذي تطور عند الخلفاء الموحدين من ديني في عهد ابن تومرت إلى سياسي في عهد خلفائه عبد المؤمن بن علي وأولاده وأحفاده، وجددت في كثير من النظم السياسية والاقتصادية.

هذا ويمكن أن نشير إلى أهم العوامل التي ساهمت في استقرار المجتمع من خلال ما سبق ذكره منها:

التوزيع العادل في الإقطاعات لكل فئات المجتمع أشياخا كانوا أو علماء أو جندا أو عامة الناس.

التشجيع على استقرار الأفراد بمنحهم وثائق واثباتات وحيازات ملكية موثقة ومكتوبة على ظهير.

تعزيز مبدأ التوطين وخدمة البلاد من خلال دخول الفرد شريكا مع الدولة في استثمار عقاره ومساهمته المالية في خدمة البلاد وازدهارها.

إن سياسة تنظيم العقار في الأندلس في عهد الموحدين ألقى بظلاله على المجتمع الأندلسي وأثر إيجابيا على كل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

على **الحياة السياسية:** نجحت هذه السياسة في استقرار المجتمع وجنبته الصراعات القبلية والنزاع على الحكم وعصمته من الخلافات السياسية والمؤامرات، بل ساعدت على تحسين العلاقة بين الراعي والرعية.

على **الحياة الاقتصادية:** ساهمت هذه السياسة في ازدهار الحياة الاقتصادية من خلال:

فرض ضرائب على الشخص المقطع له كاستحقاق للدولة المانحة، وقد حدد الخلفاء العشر من الناتج الزراعي الذي تنتجه أراضيهم في حين يذهب الباقي إلى خزانة الدولة الموحدية.

أما في الأرض المفتوحة فالأمر مختلف لاسيما تلك التي هي بحوزة ملاكها الأصليين إذ أن الدولة دخلت شريكا إقطاعيا مع الملاك الأصليين لها حصة من دخل الأرض.

من **الناحية الاجتماعية:** حافظت هذه السياسة على النسيج الاجتماعي متماسكا، وعززت فيه أواصر التقارب والتراحم والتآخي، وقضت على الطبقية فيه، وشاعت روح المحبة والتسامح بين أفراد المجتمع.

هذا وتجدر بنا الاشارة إلى أن العقار لم يسلم من التوظيف السياسي في الحروب والفتن والاضطرابات وضاع الكثير منه في الأزمات، وكان سببا في سقوط الدول وإنفراط عقدها وزوالها وذهاب ريحها.

لا أزعم أنني تطرقت إلى الموضوع من كل جوانبه بل قمت بمحاولة متواضعة للتعريف به وتنبيه الباحثين إليه وتشجيعهم على خوض غماره ذلك أنه من وجهتي نظري البحث في هذا الموضوع يحتاج إلى جهود متظافرة ذات رؤية متكاملة بأبعاد ثلاثية(التاريخية، الفقهية، الأثرية) من أجل تغطيته والإلمام به من كل جوانبه.

كلمات مفتاحية				
العقار	الأندلس	عهد الموحدين	تنظيم العقار	الوثائق والعقود
الاقطاع	التوثيق	الملكية العقارية	الوعاء العقاري	الابعاد السياسية
الايعاد الاجتماعية	الابعاد الاقتصادية	الغرب الإسلامي		